الدكتور محمد علي البار

سُقطرى

الجزيرة السحرية عبر التاريخ

العصر الحديث
للنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م

التوزيع في اليمن

مكتبة المركز العربي
للنشر والتوزيع
شارع حدّة ، بجوار مركز الكميم
ص .ب . ٨٨٩ صنعاء ـ الجمهورية اليمنية
Sanaa p.o. Box 889

العصر الحديث للنشر والتوزيع نشر • طباعة • توزيع بيروت ـ لبنان
هاتف ٨١٤٧١٦ - ٨١٤٦٩٧ • فاكس ٣١٤٢٢٠ • ص.ب ١٤/٥٦٤٥
BEIRUT - LEBANON • TEL: 814697 • P.O.Box: 14/5645

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبيّ بعده وآله ومن والاه .

وبعد ، فهذا كتاب عن سُقُطْرى تلك الجزيرة السحرية التي اهتم بها الفراعنة وأسموها بأنخ أي الجزيرة السحرية ، وأرسل إليها الإسكندر المقدوني مفرزة من قواته وأسكنهم فيها بناء على نصائح أستاذه المعلم الأول أرسطوطاليس (أرسطو) لما فيها من النباتات الرائعة ، والمستخدمة في ذلك الزمان في المعابد والطب مثل الصبر والمرّ واللبان وشجرة دم الأخوين . . وما يستخرج من حيواناتها من الزباد (من قط الزباد) وما يرميه البحر في سواحلها من العنبر . . ولذا اهتم بها شعراء اليونان ووصفها هوميروس في الإلياذه . . واهتم بها الجغرافيون القدماء ، والمؤرخون من أمثال ديودورس الصقلي وبليني . . ووصفها بشغف أعظم عشابي العصور القديمة ديوسقوريدس ، بل إن سقطرى سميت جزيرة ديوسقوريدس نتيجة لاهتمامه وشغفه بها .

ووصف الهنود القدماء سقطرى وأسموها الجزيرة السعيدة ، وسكن كل هؤلاء الأقوام من يونان وهنود وأحباش وفرس في أرياضها مع أهلها اليمنيين من قبائل المهرة ، وكان لها شأن وأي شأن حتى أن الحسن بن أحمد الهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب (قبل ألف ومائة عام) ذكر أن من يحملون السلاح من سقطرى هم عشرة آلاف شخص[1] .

وها هي سقطرى اليوم تقبع في زوايا النسيان ولا يكاد يعرفها غير المختصين ، بل إن كثيراً من أبناء اليمن ذاتها لم يسمع بسقطرى . . واجتهدت في البحث لأجد كتاباً واحداً عن سقطرى باللغة العربية فلم أجد ، رغم أنها قد ذكرت في عشرات الكتب القديمة وأفاضت دائرة المعارف الإسلامية في ذكرها وذكر تاريخها ، كما ذكرتها بشيء من الاستفاضة دائرة المعارف البريطانية ، وذكرها ياقوت في معجم البلدان والهمداني في صفة جزيرة العرب . . وذكر نباتاتها الطبيعية ابن البيطار والبيروني في كتابه «الصيدنة» ، والغساني في «حدائق الأزهار» ، والرسولي في «المعتمد في الأدوية المفردة» ، وداود الأنطاكي في تذكرته . واستفدت استفادة جمة من استطلاع عن سقطرى بقلم الأستاذ سليم زبال نشرته مجلة العربي في عدديها ١٥٢ و١٥٣ (يوليه وأغسطس ١٩٧١) . كما استفدت استفادة جمة من تقرير الحكومة المحلية في عدن عن تطوير جزيرة سقطرى وتقرير وكالات الأمم المتحدة عن بعثة سقطرى ، وكلاهما

(١) الحسن بن أحمد الهمداني ٢٨٠ ـ ٣٣٤هـ مؤرخ نسابة ، فلكي وأديب له عشرات الكتب مثل الإكليل وسرائر الحكمة ، والزيج ، والجوهرتين ، والأيام ، وصفة جزيرة العرب ، والحيوان المفترس ، وديوان في ستة مجلدات ، وأيام العرب ، والإبل . . . إلخ .

كتب عام ١٩٨٤ . وقد قدم لي صوراً منهما الأخ الكريم صديق الصبا وشرخ الشباب السيد عمر أحمد الشاطري فجزاه الله عني خير الجزاء .

وقد أمّدني الأخ الصديق عبد الملك الوادعي بكتاب ابن المجاور «تاريخ المستبصر الذي نشره المستشرق الهولندي أوسكار لوفجرن من ليدن بهولندة عام ١٩٥١ . وكنت أبحث عنه ولم أجده . وهو مرجع لكثير من الكتاب الغربيين . فكان لا بد من نقل كلامه مباشرة بدلاً من ترجمته من اللغة الإنجليزية .

وقد وجدت كتابين هامين صدراً حديثاً باللغة الإنجليزية وهما : «سقطرى جزيرة السكينة» للبروفسور براين دو ، وقد نشر عام ١٩٩٢ في لندن ، ويتضمن دراسات وأبحاث البعثة البريطانية إلى سقطرى عام ١٩٦٧ . والثاني كتاب : «جزيرة العنقاء دراسة سكانية لسقطرى» وهو كتاب ضخم يتضمن أبحاث البعثة الروسية في سقطرى منذ الاستقلال إلى الوحدة (١٩٩٠) ، برئاسة المستشرق الروسي فيتالي نومكين الذي يعتبر اليوم أكبر حجة في سقطرى في العالم . وقد صدر الكتاب بالروسية عام ١٩٩٢ وترجم إلى الإنجليزية عام ١٩٩٣ وصدر من ريدنج بإنجلترا .

ونشرتُ عن سقطرى تعريفاً بها وبثرواتها النباتية والحيوانية في ثلاث مقالات في مجلة (أهلاً وسهلاً) للخطوط السعودية . كما وجدت مقالين نشرتهما صحيفة الحياة عن سقطرى للأستاذ أحمد العبيدلي ، وفيهما معلومات هامة مع بعض الأخطاء البسيطة . وقد استفدت منهما ورجعت إلى العديد من المصادر التاريخية التي

تحدثت عن الغزو البرتغالي لسقطرى ولسواحل جنوب الجزيرة العربية ، وكيف صدّت هذا العدوان الغاشم .

وأرجو بهذا الكتاب أن أكون قد نبهت على أهمية هذه الجزيرة وما فيها من ثروات نباتية وحيوانية وسمكية ، وما تستحقه من مشاريع لإنهاضها من كبوتها وإخراجها من عزلتها ، فهي أشد بلاد اليمن تأخراً وأكثرها عزلة ، ويقول تقرير الحكومة المحلية في عدن أن ٩٠ بالمئة من سكانها يعانون من الملاريا أو السل أو التيفود أو الدوسنتاريا ، وقد يجمع الفرد عدداً من هذه الأمراض !! بينما كانت التقارير السابقة تقول أن صحة أهل سقطرى لا بأس بها وأن الأوبئة بها نادرة .

وهي تحتاج لرعاية صحية واسعة للطفولة والأمومة وتوفير المياه النظيفة الصالحة للشرب ، كما تحتاج إلى إيجاد ميناء يربطها ببقية العالم ، ومطار صغير ممهد ، وعدة مشاريع في مجال الأسماك والزراعة ، والاهتمام بثروتها النباتية والسمكية ، ولها مجالات سياحية رائعة لما تحتويه من شواطئ رملية جميلة ومناظر خلابة ، ونباتات غريبة نادرة .

والله أسأل أن ينفع بهذا الكتاب كاتبه وناشره وقارئه ، عليه توكلت وإليه أنيب .

كتب في جدة في ١٥ شعبان ١٤١٦
٦ يناير ١٩٩٦

محمد علي البار

الفَصْلُ الأولُ

تعريف بسقُطْرَى

سُقُطرَى جزيرة تقع في المحيط الهندي جنوب جزيرة العرب على بعد ٢٥٠ كيلو متر من ساحل الصومال الشمالي ، وعلى بعد ٤٠٠ كيلو متر من الساحل الجنوبي لجزيرة العرب ، وهي تتبع محافظة عدن من الجمهورية اليمنية وتبلغ مساحتها ٣١٠٠ كيلو متر مربع .

وقد اشتهرت سقطرى في التاريخ القديم بأنها جزيرة المرّ واللُّبان والصَبر وشجرة دم الأخوين (العندم) ، ونُسجت حولها الأساطير ، وذكرها هوميروس في «الإلياذة» ، وتغنّى بها قدماء المصريين وأسموها بأنخ أي الجزيرة السحرية . . ودخلت في أساطير اليونان والرومان والبابليين والفراعنة والهنود . وأسماها الهنود الجزيرة السعيدة . ويقال إن اسم سقطرى راجع إلى الإسم السنسكريتي الهندي القديم «دفيبا سخدرا» «Dvipa Sakhadra» . . ويقول المؤرخون الآخرون أن اسمها راجعٌ إلى إفراز شجرة نادرة تدعى دم الأخوين ، ويخرج من جذعها إفراز على شكل دمعة قانية تقطر قطراً متوالياً فسميت القاطر ، ومنه اشتق اسم سقطرى . ومن أسماء هذه الشجرة العندم والأيدع ، ويسميها الأوربيون شجرة دم التنين (Dragon blood) واسمها العلمي Dracaena Cinnabari ، وسيأتي

الكلام عنها عند الحديث عن نباتات سقطرى العجيبة التي تندر في أيّ مكان آخر من العالم .

ويبدو أن سكان سقطرى كانوا من المهرة والهنود وكانت لهم أصنام ، ثم دخلها الإسكندر المقدوني من اليونان ، ثم تنصروا عندما دخلت النصرانية الحبشة واليمن ، وبقوا على نصرانيتهم عندما أسلمت اليمن ودفعوا الجزية وبقي يحكمهم كبار قساوستهم وذلك بسبب سماحة الإسلام حيث لا يجبر أحداً على الدخول فيه ﴿لا إكراه في الدين﴾ . ثم دخل الإسلام قلوبهم رويداً رويداً حتى أصبح أهلها كلهم من المسلمين ولم يبق فيها للنصرانية أيّ أثر .

ولا شك أن سقطرى قد كانت يمنية وبقيت يمنية على مدى التاريخ . وكان معظم أهلها من المهرة ولغتهم مهرية ـ يمينة . ويقول ابن مجاور «إن المهرة جروا على السكن في سقطرى ولهم لغة خاصة لا يفهمها أحد من الغرباء» . وقد دخل سقطرى الهنود ثم اليونان ثم الأحباش ثم الفرس . واختلطت تلك الدماء جميعاً مثلما يحدث في كثير من بقاع العالم ، ولكن الغلبة كانت للمهرة دائماً من حيث كثرتهم وتجدد اتصالهم بالجزيرة من أرض المهرة المجاورة ، بالإضافة إلى العناصر الآتية من ساحل حضرموت المعروف قديماً باسم الشحر (نسبة إلى المدينة الساحلية الشحر التي لم تعد لها تلك المكانة السامقة) .

وتقول دائرة المعارف الإسلامية ، يقول مولر Mullr أن اللغتين المهرية والسقطرية تنحدران من اللغة المعينية السبئية القديمة ، أو أن اللغة السقطرية قد نشأت من المهرية . ولعل اللغة السقطرية ، كما يتكلمها البدو الذين أقاموا في التلال البعيدة ، هي الصورة التي

بقيت من اللهجة التي كان يتحدث بها أهل البلاد الأصليون . على أننا يمكن أن نعلل اجتماع المواد الأصلية للغة السقطرية الخالصة بالمهرية والعربية لتؤلف جميعاً لغة واحدة .

ولا شك أن اللغة الحبشية أيضاً قد دخلت في لغة المهرة ، ولغة أهل سقطرى على وجه الخصوص ، وهناك نقوش كثيرة على الصخور في سقطرى يرجع بعضها إلى العصور الحميرية وبعضها إلى الحبشية القديمة .

واللغة الحبشية ذاتها ترجع إلى اللغات اليمنية القديمة واللغة الأمهرية الحبشية التي توجد إلى اليوم هي لغة حميرية مهرية . . بل إن الأحباش يزعمون أن بلقيس ملكة سبأ قد نزحت إلى بلادهم وأن نسلها من سليمان يقيمون بين ظهرانيهم . وكان آخر ملوك الحبشة هيلا سيلاسي يزعم أنه ينتسب إلى بلقيس وسليمان ولذا كان يلقب نفسه بأسد يهوذا !!

وسقطرى من الناحية الجيولوجية جزء من شمال شرق إفريقيا وامتداد جزء من الصومال ، ولكنها من الناحية السياسية والتاريخية واللغوية والعرقية جزء من أرض اليمن وبالذات من أرض المهرة .

وتكتب سُقُطرى بضم أوله وثانيه وألف مقصورة ، كما تكتب أيضاً بالمد (سقطراء) كما رواه ابن القطاع في كتاب الأبنية . وكتبها ابن رسته بتاء مربوطة (سقطرة) . أما أبو الريحان البيروني فقد كتبها بلفظ (سقوطرا) وذلك في كتابه الصيدنة ، ورسمها بعضهم إسقوطره ، وجعلوا النسبة إليها (إسقوطري) .

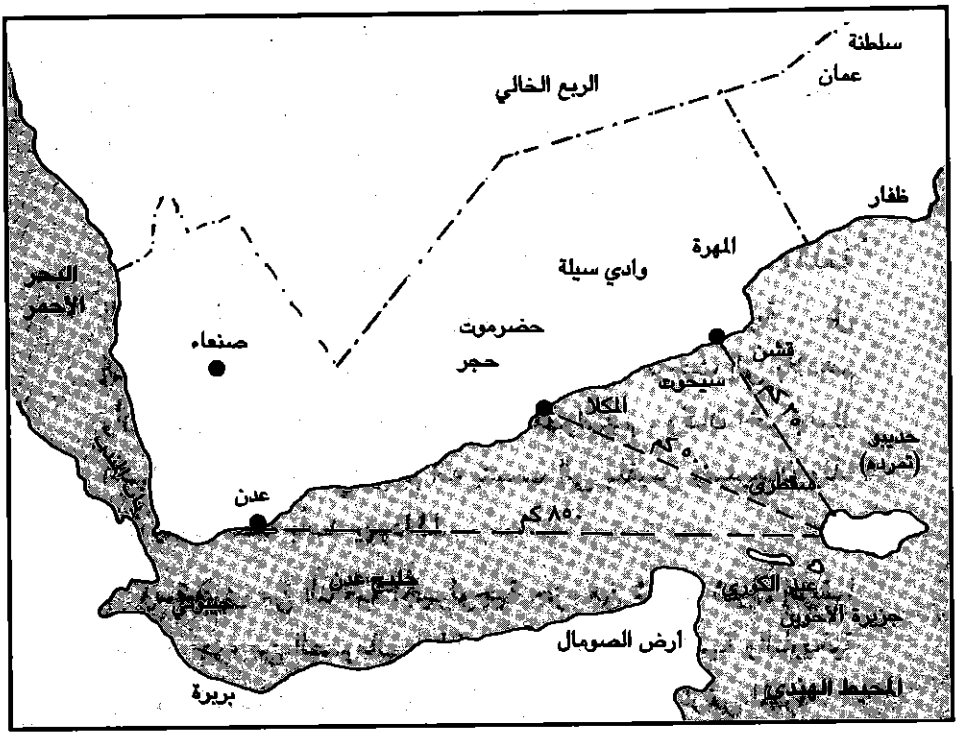

خريطة رقم ١ : خريطة توضح جزيرة سقطرى وتوابعها عبد الكوري وسمحة ودرسة . وتقع الجزيرة على بعد ٢٥٠ كيلو متر من رأس جوا ردافوي بالصومال الشمالي . وعلى بعد ٣٥٠ كيلو متر جنوب مدينة سيحوت والقشن في المهرة ، وعلى بعد ٥٠٠ كيلو متر من المكلا . ورغم أنها تبعد عن مدينة عدن بمسافة ٨٥٠ كيلو متر إلا أن سقطرى تتبع إلى الآن محافظة عدن .

الفَصْلُ الثَّانِي

سقطرى في التاريخ القديم

لقد عرف هذه الجزيرة عدد كبير من الأمم والحضارات القديمة واهتموا بها اهتماماً بالغاً لما تحويه من أشجار المرّ واللبّان والصبر ودم الأخوين ، ولوجود سنّور الزباد ، والذي يستخرج من غدّة فيه ، الزباد الذي يستخدم في العطور والطيب ، والعنبر Ambergris الذي يقذفه البحر على سواحلها ، وهو من إفرازات حوت العنبر Whale الذي يكثر بشكل ملفت للنظر في المحيط الهندي ، وبالذات قرب هذه الجزيرة .

سقطرى والهنود : اهتم الهنود القدماء بسقطرى وأسموها «الجزيرة السعيدة» . وتقول دائرة المعارف الإسلامية وغيرها من المصادر أن اسم سقطرى راجع إلى الإسم السنسكريتي الهندي القديم «دفيبا سخدرا» Dvipa Sakhadra . بينما يرجع كثير من المؤرخين إسم هذه الجزيرة إلى إفراز شجرة «دم الأخوين» التي تظهر على هيئة قطرات دامعة قانية فسميّت القاطر ، ومنه اشتق اسم سقطرى . . ومن أسماء هذه الشجرة العندم والأيدع ويسميها الأوربيون شجرة دم التنين (Dragon blood) واسمها العلمي

Dracaena Cinnabari وسيأتي الكلام عنها عند الحديث عن نباتات سقطرى العجيبة النادرة .

وقد ذكر المسعودي في مروج الذهب أن الهنود كانوا يحكمون سقطرى ثم جاء اليونان فحكموها . قال «وكان للهند بها صنم عظيم ، فنُقل ذلك الصنم في أخبار يطول ذكرها»[١] . وقد وصف المؤرخ ديودورس الصقلي Diodorus, The Sicilian هذا المعبد الذي يقع اليوم في تل حسّون ، جنوب شرق مدينة حديبو حسب وصف البروفسور برين دو Brain Doe في كتابه «سقطرى جزيرة السكينة»[٣] والذي يعتقد أنه هو الموقع القديم لذلك المعبد الذي وصفه ديودورس والمؤرخون القدماء . أما اليوم فتظهر فيه آثار القلعة التي بناها المهرة بعد خروج البرتغاليين من سقطرى . وذلك في القرن السادس عشر الميلادي ، ولا يوجد أي أثر للمعبد المذكور .

وسيأتي وصف علاقة الهنود بسقطرى في العصور الإسلامية في حينه .

وقد جاء في وصف المعبد على لسان ديودوروس الصقلي كما ينقله عنه سليم زبّال في استطلاع حول سقطرى نشرته مجلة العربي (أغسطس ١٩٧١) : «كان المعبد قطعة أثرية ثمينة تثير الإعجاب . . أعمدته مرتفعة محلاّة بالرسوم الرائعة ، وتماثيله ضخمة دقيقة

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ج٢/ ١٩ دار المعرفة بيروت تحقيق محمد محيي حميد الدين .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية مادة سقطرى ج١١/ ٤٧٠ ـ ٤٨٠ وج١٢/ ٣ ـ ٨ .

(٣) Brain Doe: Island of Tranquility, IMMEL Publishing Ltd, London 1992.

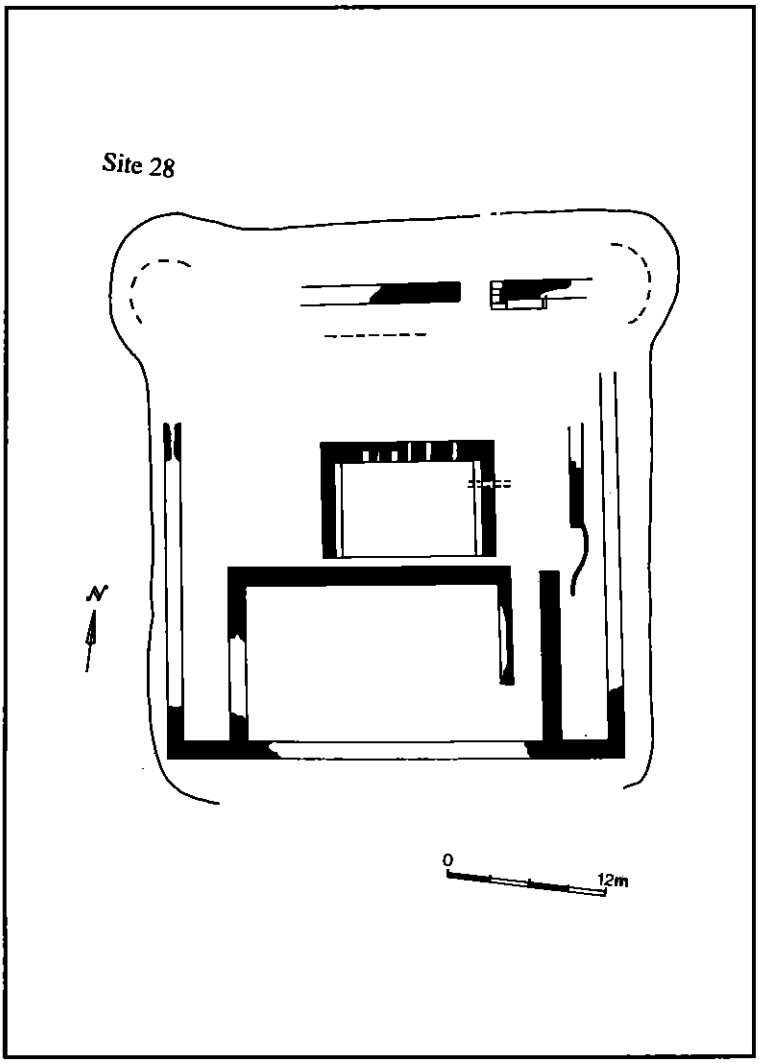

رسم هندسي يوضح موقع المعبد (المزعوم) على تل حسّون قرب وادي منوفة في جنوب شرق حديبو (عاصمة سقطرى) . ويوضح الرسم بقايا وآثار الحصن الذي بناه المهريون ، بعد طرد البرتغاليين من سقطرى ، في القرن السادس عشر الميلادي (تمّ طرد البرتغاليين عام ١٥١١م) . الرسم من كتاب الدكتور براين دو : سقطرى جزيرة السكينة . وقد ذكرت المصادر الإسلامية أن المعبد كان هندوكياً ولكن المصادر الرومانية واليونانية تذكر أنه كان معبداً لزيوس (كبير الآلهة عند اليونان) ، ثم كان أيضاً معبداً لجوبيتر (كبير الآلهة عند الرومان) .

الصنع ، وأبوابه مـزخـرفـة بالذهـب والفـضـة والعـاج وخـشب الليـمـون» . . وهناك وصف مماثل تذكره دائرة المعـارف الإسلامـية والمصادر الأخرى .

سـقطرى والفـراعنة : اهتم الفـراعنة بسـقطرى وأرسلت الملكة حتشبسوت في القرن الخامس عشر قبل الميلاد بعثة إلى بلاد (بنت) لأخذ المرّ واللبان والبخور والعنبر والصبر . . و بلاد بنت هي أرض حضرموت والمهرة وجزيرة سقطرى . وقد أطلق المصريون القدماء على هذه الجزيرة اسم بأنخ (أي الجزيرة السحرية) . ومما يؤيد ذلك اكتشاف بردية قديمة ، تقول دائرة المعارف الإسلامية أنها موجودة في مدينة سانت بيترسبرج (مدينة القديس بطرس . وهي نفسها التي تحولت في ما بعد إلى لينينجراد ثم عادت اليوم إلى اسمها القديم ، وهي العاصمة الأولى للقياصرة قبل موسكو) .

وتقول دائرة المعارف الإسلامية (ج١١/ ٤٧٣) أن كولينشيف قد قام بترجمة هذه البردية التي تعود إلى ألفي سنة قبل الميلاد إلى اللغة الفرنسية ، وفيها وصف لجزيرة بأنخ السحرية ، وما فيها من عجائب النباتات مثل المرّ واللّبان ودم الأخوين والصبر والبخور . . وكانت بأنخ مصدر إلهام للمصريين القدماء فنُسجت حولها الأساطير وزعموا أن الآلهة سكنتها وهي مقرهم الأساسي !!!؟

وتذكر أسطورة مصرية قديمة منذ القرن الثامن عشر قبل الميلاد كما يقول البروفسور برين دو[1] أنّ في بحر الهند (بحر الزنج =

(١) المصدر السابق ص ٣٧ .

المحيط الهندي) «جزيرة عبقر» أو جزيرة «الجن» ، وهي قريبة من بلاد بنت (بلاد اللبان والبخور وهي حضرموت والصومال) وبها طائر عجيب هو طائر العنقاء Phoenix . وتذكر الأسطورة حسب وصف بليني الأكبر المؤرخ الروماني أن هذا الطائر الضخم يشبه النسر ، ولكنه أضخم منه وأجمل كثيراً ، فحول عنقه ريش ذهبي لماع بينما بقية جسمه مُغطّى بريش أرجواني جميل ، أما ذيله فلازوردي سماوي صاف يتخلله ريش طويل زهري . ويزدان الصدر بعُرف تتداخل فيه الألوان ، بينما يزيّن الرأس خصلة من الريش الملون . إنه طائر تقدّسه الشمس (وكانت الشمس تعتبر من الآلهة حسب زعمهم) . .

و«عندما يتقدم السن بهذا الطائر يبني عُشّاً من القرفة وغصون أشجار البخور ويلقي بجسده العجوز لينام نومته الأبدية . . ومن عظام ذلك الطائر تتولّد دودة تتحول بعد بعض الوقت إلى طائر صغير يشبه أباه تماماً ، فإذا نمى واشتد أخذ العشّ بما تبقى فيه من رفات سلفه ، وذهب به إلى مدينة الشمس ووضعه على مذبح معبدها ! !

«وتذكر الأساطير أيضاً وجود طائر آخر هو طائر الرّخ الضخم الذي يسدُّ بجناحيه الأفق ، والذي يسكن ذرى الجبال . والبيضة الواحدة منه مثل معبد بأكمله . . ويستطيع أن يحمل فيلاً بأكمله ويطير به إلى مسكنه فوق قمم الجبال . . وفي قصة السندباد البحري أنه التقى بهذا الطائر المهول في جزيرة في المحيط الهندي أثناء تجواله ورحلاته العجيبة . . أما موطن هذا الطائر الخرافي فليس إلا تلك

الجزيرة السحرية الموجودة في جنوب الجزيرة العربية في المحيط الهندي والتي تُدعى سقطرى !![1] .

ويذكر فيتالي نومكين في كتابه «سقطرى جزيرة العنقاء»[2] قصة هذا الطائر الخرافي العجيب الذي كان يُعتقد أن مسكنه جزيرة سقطرى وأنه يأتي ليموت في مدينة الشمس (هليوبوليس)[3] . ثم يعود أدراجه إلى جزيرة سقطرى . فيعيش فيها ٥٠٠ إلى ٦٠٠ عام فإذا دنا أجله وشعر بقرب النهاية انطلق في رحلته إلى مدينة الشمس ليموت فيها .

ويصف المؤرخ اليوناني هيرودوتس (Herodotus) (كما ينقله عنه فيتالي نومكين) أيضاً قصة هذا الطائر العجيب (العنقاء) الذي يشبه النسر ولكنه أجمل منه بكثير فيقول : «إنني لم أر العنقاء في حياتي ، إلا في الرسوم التي وضعت لها ، لأن هذا الطائر نادر الوجود ولا يأتي ليزور مدينة هليوبوليس إلا مرّة كل خمسمائة عام عند قرب وفاته» . ثم وصف الطائر بمثل الوصف السابق .

سقطرى عند اليونان والرومان :

اهتم اليونان بجزيرة سقطرى اهتماماً بالغاً فقد عرفوا عنها تلك الأساطير المدهشة من المصريين القدماء ، وكانت كل الحضارات القديمة تعتمد على جنوب جزيرة العرب في جلب اللبّان والمرّ

---

(١) المصدر السابق برين دو : سقطرى جزيرة السكينة ص٣٧ .

(٢) Vitaly Naumkin: The Island of Pheonix, Ithaca Press, Reading, U.K, 1993 P25 - 26 .

(٣) هي مدينة عين شمس من ضواحي القاهرة اليوم وهي قريبة جداً من مصر الجديدة .

والبخور . . وكانت كل المعابد في العالم تستخدم البخور وتحرقه بانتظام في كل الطقوس الدينية . . وكان سكان جنوب الجزيرة العربية هم محتكرو هذه التجارة ، ووضعوا حولها الأسرار والأساطير حتى لا يقترب منها أحد غيرهم . . وكان الكلدانيون في العراق على سبيل المثال يحرقون سنوياً ما قيمته عشرة آلاف طالين (وحدة وزن أو وحدة نقدية ذهبية قديمة) ، كما كان البخور يُحرق في معبد بعل في لبنان . . وكان اليونان يحرقون لزيوس (رب الأرباب عندهم) آلآف الأرطال من البخور واللبان . . وهكذا كان الأمر في مصر القديمة بل في كل الحضارات السابقة[1] .

ويذكر المؤرخ اليوناني **هيرودوتس** (القرن الخامس قبل الميلاد) أن بلاد العرب هي الوحيدة في العالم التي تنتج البخور واللبان والقرفة[2] ، وصمغ اللادن الذي يستخرج من نبات خاص ويستخدم في العطور ، والمرّ . ويقول **هيرودوتس** : «أن كل هذه المواد الثمينة تكلف العرب مشقّات بالغة للحصول عليها ما عدا المر Myrrh الذي يمكنهم الحصول عليه بسهولة من أشجار المر . فللحصول على البخور (اللبان Frankincense) مثلاً فإن على العرب أولاً أن يحرقوا العبهر (الميعة وهي مادة صمغية تستخرج من شجرة الاصْطُرك أو اللُّبْنَى) ليطردوا بدخانها الحيّات الطائرة التي تسكن في رؤوس أشجار اللبان لتحرسها ـ فإذا طارت الحيّات من فوق الأشجار جاء العرب ليجمعوا ذلك اللبان (البخور) الثمين .

---

(١) فيتالي نومكين : جزيرة العنقاء سقطرى ص٢٤ .

(٢) الواقع أن القرفة كانت تأتي من الهند ثم يصدرها التجار العرب الحضارمة إلى أوربا ومصر وغيرها ويحتكرون ذلك السر .

أما إذا أرادوا أن يجمعوا الكاشيا (السنا) فإن على العربي أن يغطّي جسمه ووجهه ما عدا عينيه بجلود الثيران وذلك لأن أشجار (الكاشيا) تنمو في بحيرة ضحلة تسكنها آلاف الخفافيش المرعبة الدموية . . ولكن العرب يهاجمونها ويجمعون الكاشيا ، فإذا هاجمتهم كانت جلود الثيران واقية لهم من عدوانها .

«وما هو أغرب من ذلك طريقة جمع القرفة ، وهي لحاء شجر معروف تجمعه طيور مثل العقبان وتضعه في أعشاشها في الجبال ، فيأتي العرب بطريقة ذكية ويضعون تحت هذه الأعشاش قطعاً كبيرة ومفاصل كاملة من الثيران الميتة أو من الحمير أو حيوان آخر قد نفق ، فتنزل تلك العقبان من مكامنها لتختطف هذا الصيد ، وفي تلك الأثناء يذهب مجموعة من العرب لأعشاشها فيأخذون القرفة أثناء غيابها .

«أما اللادن فيحصل عليه العرب بطريقة غريبة أخرى ، وذلك أن اللادن Labdanum (ledanon) له رائحة زكية ولكنه ينمو في مناطق موبوءة لها رائحة عفنة ، واللادن صمغ راتنجي يستخرج من نبات خاص ويستخدم في العطور ولكنه يلزق في الجلد . فيرسل العرب أنواعاً من الماعز ذات اللحى فتتحكك بهذه الأشجار ، فتلزق بها حبات اللادن ، ومن ثمَّ يقومون بإخراجها منها» .

وهكذا كانت حضرموت والمهرة وسقطرى تعتبر أرض اللبان (البخور) والمرّ والقرفة والصبر ودم الأخوين وغيرها من النباتات الغريبة التي لا توجد حسب زعمهم إلا في جنوب بلاد العرب والجزر التابعة لها .

وقد كان ملك حضرموت يحكم سقطرى أيضاً ويزرع كثيراً من

مناطقها بأشجار اللبان والمر والصبر . وكانت تلك المزارع مع مزارعه في حضرموت والمهرة وظفار أهم مصادر دخله ودخل شعبه .

والغريب حقاً أن شعراء اليونان قد خلّدوا هذه الجزيرة في أشعارهم ومنهم شاعر الإلياذة هوميروس ، واسترابون ، وتحدث عنها بليناس وغيره من الأدباء . وأسموها جزيرة بانخيا السحرية موطن البخور والمر والعطور والزباد والنباتات الغريبة الأخرى مثل الصبر ودم الأخوين . . ولذا استوطنتها الآلهة حسب زعمهم[1] .

وقد أطلق بليناس عليها اسم جزيرة كلارا Clara Insula . ووصفها آغا ترخيدس عندما وصف سبأ ، ثم وصف هذه الجزيرة المليئة بالصبر والمرّ واللبان والتي تقع حسب قوله قرب سواحل أرض سبأ . وذكر ثيوفراسطس Theophrastus هذه الجزر (سقطرى وما حولها) باسم جزائر اللبان التابعة لأملاك جنوبي بلاد العرب[2] .

ونتيجة كثيرة الأعشاب بهذه الجزيرة فقد اهتم بها أعظم عشابي اليونان ديوسقوريدس Dioscorides[3] الذي عاش في زمن الطاغية الأمبراطور الروماني نيرون الذي أحرق روما وهو يضحك في القرن

(١) دائرة المعارف الإسلامية مادة سقطرى ترجمة أحمد الشناوي ، إبراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس ، دار المعرفة بيروت ج١١/ ٤٧٠ ـ ٤٨٠ وج١٢/ ٣ ـ ٨ .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية مادة سقطرى ج١١/ ٤٧٠ ـ ٤٨٠ .

(٣) ديسقوريدس هو أول من وضع فارماكوبيا طبية موسعة في العالم شرح فيها خصائص ٩٥٨ عقاراً منها الصبر والمر واللبان والأفيون والعنصل والأرجوت والزنجبيل ونبات السكران . وكان كتابه مرجعاً هاماً للأطباء ، حتى وضع عبدالله بن أحمد المالقي الأندلسي المتوفى سنة ٦٤٦هـ المعروف باسم ابن البيطار كتابه الفريد «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية» وكتابه «المغني في الأدوية المفردة» فأصبح كتابه المرجع الأول في علم العقاقير والأعشاب .

الأول قبل الميلاد . وقد أُطلق على جزيرة سقطرى اسم جزيرة ديوسقوريدس نتيجة اهتمامه بهذه الجزيرة الأسطورة التي تحوي أفانين الأعشاب والعقاقير .

الإسكندر المقدني وسقطرى : ذكرت المصادر الإسلامية العديدة أن الإسكندر المقدوني أسكن بسقطرى مفرزة من جنده بناء على نصيحة أستاذه أرسطوطاليس (أرسطو) للحصول على نباتاتها القيمة وبالذات الصبر .

يقول **المسعودي في مروج الذهب**[1] : «وفي هذا البحر (أي بحر الزنج والمقصود به بحر العرب المتصل بالمحيط الهندي) مما يلي عدن جزيرة تعرف بسقطرة ، إليها يضاف الصبر السقطري ، ولا يوجد إلا فيها ولا يحمل إلا منها (هذا الكلام غير صحيح لأنه يوجد في غيرها إلا أن أجود أنواعه السقطري) . وقد كان أرسطو طاليس بن نقوماخس كتب إلى الاسكندر بن فيلبس (المقدوني) حيث سار إلى الهند في أمر هذه الجزيرة يوصيه بها ، وأن يبعث إليها جماعة من اليونانيين يسكنهم فيها من أجل الصبر السقطرى الذي يقع في الأرياجات وغيرها ، فصيّر (فسيّر) الاسكندر إلى هذه الجزيرة خلقاً من اليونانيين أكثرهم من مدينة أرسطوطاليس بن نقوماخس ، وهي مدينة اسطاغر في المراكب بأهليهم في بحر القلزم (البحر الأحمر) ، فغلبوا على من كان بها من ملوك الهند وملوك الجزيرة ، وكان للهند بها صنم عظيم ، فنُقل ذلك الصنم في أخبار يطول ذكرها .

«وتناسل من بالجزيرة من اليونانيين فيها ، ومضى الاسكندر ،

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ج٢/ ١٩ دار المعرفة بيروت تحقيق محمد محيي حميد الدين .

فظهر المسيح (عليه السلام) فتنصَّر من كان بها إلى هذا الوقت[1] . وليس في الدنيا ـ والله أعلم ـ موضع فيه قوم من اليونانيين يحفظون أنسابهم ، ولم يداخلهم في أنسابهم رومي ولا غيره غير أهل هذه الجزيرة[2] .

وقد وصف **الحسن بن أحمد الهمداني** المتوفى سنة ٣٣٤هـ وقيل ٣٤٤هـ/ ٩٤٥م أو ٩٥٥م في كتابه «**صفة جزيرة العرب**» سقطرى ، ولكن الهمداني ذكر أن الذين سكنوا سقطرى هم من أسرى الروم الذين أسرهم كسرى ثم وضعهم فيها . ثم ذكر الهمداني أن أهل عدن ، وهم أعرف الناس بسقطرى ، نفوا نفياً قاطعاً أن يكون بها روم أو يونان ، وإنما تنصّر أهلها عند ظهور النصرانية وتحوّل أجزاء كثيرة من اليمن إلى النصرانية ، ويقول أن هولاء النصارى فنوا ، وأن سكانها في زمنه هم من المهرة والشُراة (فرقة من الخوارج) .

وإليك نصّ ما قال :

«ومما يجاور سواحل اليمن من الجزائر جزيرة سقطرى ، وإليها ينسب الصبر السقطري . وهي جزيرة بربر (وفي نسخة أخرى وهي وجزيرة بربرا) مما يقع بين عدن وبلد الزنج (شرق إفريقيا) ، فإذا خرج الخارج من عدن إلى بلاد الزنج أخذ كأنه يريد عُمان ، وجزيرة سقطرى تماشيه عن يمينه حتى ينقطع ، ثم التوى بها من

---

(١) عاش علي بن الحسين بن علي المسعودي في القرن الرابع الهجري وفاته سنة ٣٤٦ هـ/ ٩٥٦م وهو من نسل الصحابي عبدالله بن مسعود رضي الله عنه .

(٢) الغريب أن المصادر الإسلامية العديدة تؤكد هذه الأسطورة . . بينما لا تذكر أي من المصادر اليونانية أو الرومانية أي شيء عن هذه القصة . كذلك اجتهد الباحثون الغربيون في إيجاد أي أثر لليونان في الجزيرة فلم يجدوا إلى الآن أي شيء يدل على وجودهم ، فضلاً عن أنهم كانوا إلى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي يعيشون في الجزيرة دون أن يختلطوا بغيرهم .

ناحية بحر الزنج . وطول هذه الجزيرة ثمانون فرسخاً[١] . وفيها من جميع قبائل المهرة . وبها نحو عشرة آلاف مقاتل ، وهم نصارى . ويذكرون أن قوماً من بلد الروم طرحهم بها كسرى[٢] . ثم نزلت بها قبائل من مهرة فساكنوهم وتنصَّر بعضهم . وبها نخل كثير ، ويسقط بها العنبر ، وبها دم الأخوين ، وهو الأيدع والصبر الكثير . . وأما أهل عدن فإنهم يقولون لم يدخلها من الروم أحد ، ولكن كان لأهلها الرهبانية (أي كانوا نصارى وفيهم رهبان) ثم فنوا ، وسكنها مهرة وقوم من الشُّراة[٣] وظهرت فيها دعوة الإسلام . ثم كثر بها الشُّراة فعدوا على من بها من المسلمين وقتلوهم غير عشرة أناسية . وبها مسجد بموضع يقال له السوق»[٤] .

ويقول سارجنت في الفصل الذي كتبه عن سقطرى في كتاب «سقطرى جزيرة السكينة» لبرين دو[٥] **إن كلام الهمداني في كتابه**

---

(١) الفرسخ Parasang أربعة أميال وأقصى طول لسقطرى هو ٧٥ ميلاً (١٢٨ كيلومتراً) أي ما يوازي ربع تقدير الهمداني .

(٢) يقصد أن كسرى عندما انتصر على الدول الرومانية أسكن بها بعض الأسرى من الروم . وهو الذي أشارت إليه الآية الكريمة ﴿**غُلبت الروم وهم من بعد غلبهم سيغلبون**﴾ وذلك في زمن البعثة المحمدية ، وهو أمر مخالف لما جاء في المصادر الأخرى عن نزول اليونان بها .

(٣) الشُّراة : بضم الشين المعجمة جمع شاري وهو الذي باع نفسه . وهم فرقة من الخوارج زعموا أنهم شروا أنفسهم لله أي باعوا أنفسهم لله . وقد احتلوا حضرموت والمهرة في القرن الثاني الهجري ومنها انتقلوا إلى سقطرى وحكموا هذه المناطق زماناً .

(٤) صفة جزيرة العرب للحسن بن أحمد الهمداني المتوفى سنة ٣٣٤هـ وقيل سنة ٣٤٤ تحقيق محمد بن علي الأكوع وإشراف حمد الجاسر ، إصدار دار اليمامة ، الرياض ص٦٩ ، ٧٠ .

(٥) R.B. Ser jeant: The Coastal Population of Socotra. in Doe B: Socotra: Island of Tranquility, IMMEL Publishing Ltd. London, 1992 P133 - 180.

الإكليل يختلف نوعاً ما عن كلامه في صفة جزيرة العرب (المتقدم ذكره) عن سقطرى . حيث قال في الإكليل أن السقطري الذي يسكن الجبال هو من نسل اليونان ، ولكن هؤلاء تزاوجوا مع قبيلة القمر من المهرة وهم معروفون . . وقال أيضاً «إذا ناديت المهري من سكان سقطرى بيا سقطري لغضب» !!

ووصف **ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان**[1] سقطرى . ويبدو أنه نقل ما ذكره المسعودي ومصادر أخرى حيث قال : «وكان أرسطوطاليس كتب إلى الاسكندر حين سار إلى الشام في أمر هذه الجزيرة يوصيه بها . وأرسل إليها جماعة من اليونانيين ليسكنهم بها لأجل الصبر والقاطر (شجرة دم الأخوين) الذي يقع في الأرياجات[2] ، فسيّر الإسكندر إلى هذه الجزيرة جماعة من اليونانيين في المراكب بأهاليهم ، وسيّرهم في بحر القلزم (البحر الأحمر) ، فلما حصلوا بها غلبوا على من كان بها من الهند ، وملكوا الجزيرة بأسرها . وكان للهند بها صنم عظيم ، فنُقِلَ ذلك الصنم إلى الهند في أخبار يطول شرحها ، فلما مات الاسكندر وظهر المسيح ابن مريم عليه السلام ، تنصَّر من كان بها من اليونانيين . وبقوا على ذلك إلى هذا الوقت (وفاة ياقوت الحموي سنة ٦١٦هـ/ ١٢١٩م) . فليس في الدنيا موضع ، والله أعلم ، فيه

---

(١) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ١٩٥٧ ، ج٣/ ٢٢٧ مادة سقطرى .

(٢) الارياجات هي الأدوية المسهلة وعادة ما تكون من الصبر والمر والسنا . . إلخ وهي كلمة فارسية مفردها أيارج .

قوم من اليونانيين يحفظون أنسابهم ولم يداخلهم فيها غيرهم غير أهل جزيرة سقطرى»[1] .

والغريب أن الجغرافي الإدريسي ذكر أن الإسكندر لما وصل إلى جزيرة سقطرى بعد عودته من الهند «أعجبه طيب ثراها واعتدال هواها فكتب إلى معلمه أرسطو بذلك»[2] . كما يذكر الإدريسي أيضاً أن الإسكندر «أخرج عنها جملة أهلها ونقل إليها قوماً من اليونانيين وأمرهم بحفظ شجرة الصبر ، والقيام بها وغراستها وإدامة تنميتها ففعلوا ذلك ، وكانوا في صيانة وجمل أموال إلى أن ظهر دين المسيح»[3] .

وينقل أعجوبة الزمان أبو الريحان البيروني(المتوفى سنة ٤٣٣) في كتابه الصيدنة[4] ما ذكره علماء الصيدلة في الصبر وأن أفضل أنواعه

---

(١) هذا الكلام غير صحيح . فسكّان سقطرى من الأصل هم من المهرة من قبائل شتى ، وسكن فيها أيضاً قوم من الهند ومن الحبشة وبعض الفرس الذين أسروا في حروب سيف بن ذي يزن ، وربما اليونان أو بعض أسرى الروم . و اختلط هؤلاء السكان . ولا يوجد أي أثر لليونان رغم الأبحاث المتعددة التي أجراها الأوربيون في العصر الحديث . . كما أن المصادر اليونانية العديدة التي ذكرت سقطرى (بلاد بنت وجزيرة بانخيا Panchia) لم تذكر أن اليونان قد احتلوها ، ما عدا شذرات ، وسيأتي وصف كتاب رحلة إلى البحر الأحمر الروماني الذي زار مؤلفه سقطرى حيث قال عن السكان أنهم قليلون وأن التجار من الهند والعرب واليونان يأتون إليها ليأخذوا المرّ واللبان والصبر ودم الأخوين . ويأتون بالأرز والحبوب والأقمشة وبعض الإماء (الجواري) .

(٢) كما ينقله عنه أحمد العبيدلي : سكان سقطرى في المصادر العربية المبكرة . صحيفة الحياة العدد ١١١٠٨ في ٢٣/ ١/ ١٤١٤ هـ الموافقة ١٣/ ٧/ ١٩٩٣م .

(٣) المصدر السابق .

(٤) كتاب الصيدنة للبيروني تحقيق د . رنا إحسان إلّهي والحكيم محمد سعيد ، مؤسسة همدرد ، كراتشي ١٩٧٣ (مخطوط مصور) ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣ .

السقطري نسبة إلى جزيرة سقطرى ونقل عن (أبي جريج) ما يلي عن جزيرة سقطرى :

«جزيرة سقطرى قريبة من بلاد الزنج وبلاد العرب ، وأهلها نصارى ، وأصلهم يونانيون رتَّبهم الإسكندر بها لمّا أعلمه أسطوطاليس حال الصبر ، وسأله أن يسكنها من قومه ففعل ، فاسقوطرا بحذاء الشحر على يوم» .

ثم ذكر ما كتبه **العُماني** عن سقطرى فقال : «أسقوطرا جزيرة أربعين فرسخاً في أربعين فرسخاً تحاذي أرض الشحر ، وأهلها نصارى ، ووإليهم أسقف ، ويجلب منها الصبر» .

والخلاصة أن معظم المصادر العربية القديمة تزعم أن الاسكندر المقدوني قام بإرسال كتيبة من جنده مع أهليهم ، وأسكنهم في سقطرى بعد أن احتلها ، وذلك بناء على نصيحة أستاذه الفيلسوف المعروف أسطوطاليس (Aristotle) ، للمحافظة على شجرة الصبر السقطري ذي الشهرة الفائقة ، والذي يستخدم في العديد من العقاقير والأدوية (الارياجات) ، بالإضافة إلى ما بها من القاطر (شجرة دم الأخوين) الذي يستخدم أيضاً في الدواء . . مع وجود البخور (اللبان) والمرّ والعنبر والزباد بها . وكل هذه الأشياء الثمينة كانت تحتاجها معابد اليونان وقصورها فلا بدّ من تأمينها من سقطرى بإسكان مفرزة من اليونان فيها . وتتمادى بعض المصادر العربية حتى تزعم أنه لا يوجد مكان في العالم بقي فيه اليونان على نقاء عنصرهم إلا في سقطرى ، حيث حافظوا على أنسابهم ونقاء عنصرهم منذ عهد الإسكندر (القرن الرابع قبل الميلاد) إلى عهد المسعودي (القرن العاشر بعد الميلاد) ، ثم إلى عهد ياقوت الحموي (القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي) . . وهو أمر مستبعد

تماماً وخاصة أن الأبحاث الميدانية والآثارية التي أجراها الأوربيون في العصر الحديث لم تثبت وجود أي أثر لليونان حتى اليوم . . وربما يحتاج الأمر إلى مزيد من الأبحاث التنقيبية التي قد تدل على وجود معابد أو مباني يونانية قديمة .

ولكن لا يوجد هناك أي ريب في أن سقطرى في زمن المسعودي وياقوت لم يكن بها أحد من اليونان ، وإن كان كثير من أهلها لا يزالون نصارى بسبب سماحة الإسلام الذي لم يكن يفرض على أحد أن يغيّر دينه . . وقد بقي هؤلاء السكان النصارى في جبال سقطرى حتى القرن السابع عشر الميلادي عندما تحولوا إلى الإسلام ، ربما بسبب جهود البرتغاليين المتابعة لإدخالهم في الدين الكاثوليكي . وقد أوضحنا في فصل غزو البرتغاليين لسقطرى كيف وقف نصارى سقطرى مع أبناء عمومتهم من سكان المهرة المسلمين وحاربوا الإفرنج البرتغاليين .

كوسماس التاجر اليوناني وسقطرى : وقد وصف تاجر يوناني من الاسكندرية يدعى **كوسماس** (حوالى سنة ٥٤٠ بعد الميلاد أي في العهد الروماني البيزنطي) جزيرة ديوسكريدس (أي جزيرة سقطرى) التي زارها أثناء رحلته إلي الهند . وقال أنها مستوطنة فيها يونان وأسسها بطليموس أحد خلفاء الإسكندر المقدوني . وأن أهلها يتحدثون اليونانية . وقال إن بها قساوسة جرى تعميدهم في فارس وأرسلوا إلى تلك البقاع . . وذكر كوسماس أنه لم يدخل الجزيرة وإنما طاف بها من مركبه . وقال إنه على علاقة طيبة مع مواطني هذه البقعة المتحدثين باليونانية والذين يقدمون على أثيوبيا[1] .

(١) أحمد العبيدلي . سكان سقطرى في المصادر العربية المبكرة ، صحيفة الحياة العدد ١١١٠٨ في ٩٣/٧/١٣ ونقل عن ذلك عن مصدر سماه كوسماس ج٣/ ٦٥ .

وقد ذكر فيتالي نومكين في كتابه عن سقطرى (جزيرة العنقاء)[1] أن الراهب اليوناني كوسموس إنديكوبلوستس Cosmos Indicopleustes ، من أهل الاسكندرية في مصر ، سافر إلى الهند ، وأنه زار سقطرى عام ٥٢٨ بعد الميلاد . وذكر في كتابه «طوبغرافية البلاد المسيحية» «Topagraphia Christiana» أن اليونان استعمروا جزيرة سقطرى في عهد البطالسة (خلفاء الإسكندر المقدوني في مصر) ، وأن السكان لا يزالون يتحدثون باليونانية ، وأنهم جميعاً من النصارى ، وأنهم يرجعون في شؤونهم الدينية والدنيوية إلى الكنيسة النسطورية في بابل (في العراق) .

وهناك خلاف في التفاصيل بين ما ذكره العبيدلي وفيتالي نومكين عن كوسموس أو كوسماس هذا ، ولكن النقطة الأساسية وهي أن سكان سقطرى في ذلك العهد كانوا أو كان فيهم على الأقل من يعرف اليونانية . . وأنهم يرجعون إلى أصول يونانية .

ويذكر العبيدلي[2] أيضاً إشارة أخرى ذكرها المؤرخ نايسفروس كالستوس حول جزيرة على حافة المحيط الأقصى والتي زارها ثيوفيلس في عهد الأمبراطور الروماني قسطنطين وأن سكانها من الآشوريين الذين أرسلهم الإسكندر المقدوني من سوريا عندما احتل أرضهم ونفاهم منها إلى هذه الجزيرة . وزعم ثيوفيلس أنهم لا يزالون يحتفظون بلسانهم الأصلي رغم أنهم صاروا شديدو السواد بسبب ضراوة أشعة الشمس . . وهو المصدر الوحيد الذي ذكر أنهم آشوريون وليسوا يونانيين .

---

(١) فيتالي نومكين : سقطرى جزيرة العنقاء ص٣٣ .

(٢) أحمد العبيدلي صحيفة الحياة العدد ١١١٠٨ في ٢٨٣/٧/٩٣ (سكان سقطرى في المصادر العربية المبكرة) .

ديودوروس الصقلي وسقطرى : وقد وصف ديودورس الصقلي Diodorus, The Sicilian جزيرة سقطرى وما فيها من الأعاجيب وخلط فيها الحقائق بالأساطير ، وذلك في القرن الأول قبل الميلاد[1] . وقال إن سقطرى تمدُّ العالم بأسره بالمر واللبان واللادن . وأن سكانها كانوا يبيعون هذه المواد الثمينة إلى التجار العرب في الجزيرة العربية وهم الذين ينقلونها إلى مصر وسوريا وكافة أقطار الدنيا . وذكر أن سكان سقطرى يرجعون إلى أربعة عناصر :

(١) السكان الأصليون Aborigins (٢) اليونان والرومان . (٣) الهنود . (٤) العرب : وهؤلاء هم رعاة ومزارعون ، ومقاتلون أشداء ، وتجار ، ومنهم الفنيّون والكهّان .

ولا شك أن أهل سقطرى كانوا بصورة عامة أثرياء ، وكان لديهم الذهب مقابل تجارتهم وزراعتهم للبخور والمرّ والأشجار ذات الروائح الزكية .

وتحدث ديودوروس عن معبد جوبيتير (رب الأرباب عند الرومان ، وهو مقابل لزيوس رب الأرباب عند اليونان) الضخم العجيب في سقطرى !! وأن أعمدة المعبد من الرخام وعليه الزينات كما أن بالمعبد العديد من التماثيل الرائعة . وينقل عن كاتب سالف عاش في القرن الرابع والثالث قبل الميلاد وهو يوهيمرس (من مسينا) Euhemerus of Messina الذي كتب «التاريخ المقدس لاتوبيا (أي السعادة)» حيث قال إنه في أثناء رحلة له إلى الهند وصل إلى جزيرة السعادة الحقّة وهي مملكة لا توجد فيها ملكية فردية بل كل شيء مشاع للجميع . . وفي هذه الجزيرة معبد لكبير

---

(١) فيتالي نومكين سقطرى جزيرة العنقاء ص ٢٧ .

الآلهة زيوس ! ! (لاحظ أن هذا المعبد نسب إلى الهنود أولاً ثم إلى زيوس ثم إلى جوبتير) .

ووصف كتاب **رحلة إلى البحر الأحمر لمؤلف يوناني تاجر (مجهول الإسم) سقطرى** وأفاض في وصفها بعد أن قام برحلة من مصر إلى الهند فوقع على جزيرة ديسقوريدس أو جزيرة سقطرى . وذكر أن فيها تجاراً من الهنود والعرب واليونان بينما لم يذكر السكان الأصليين الذين وصفهم ديودورس الصقلي .

وقد قام صاحب هذا الكتاب برحلته في القرن الأول بعد الميلاد (أي في العهد الروماني) . وجاء في وصفه لسقطرى أنها جزيرة تابعة للملك إليازوس (تحريف للاسم اليمني إيل عز) الذي كان يقيم في أرض شبوة وأرض جردان (بحضرموت)[1] . ويحكم هذا الملك أرض حضرموت والمهرة وسقطرى مستقلاً عن مملكة سبأ المجاورة[2] . وقد وصف المؤرخ بليني الأكبر أن أهل حضرموت فقدوا استقلال بلادهم وتحولت إلى ولاية سبئية ، أما صاحب كتاب رحلة إلى البحر الأحمر فيؤكد أن حضرموت قد استقلت عن حكم السبئيين منذ عهد يوبا (جوبا Jupa) وأن هذا الملك كان يحكم سقطرى ويضع فيها حامية من جنده[3] .

وقال إن سكان سقطرى قليلون وأغلبهم يعيشون في الساحل الشمالي من الجزيرة ، وأن سكانها خليط من العرب والهنود واليونان . وأن التجار من الهند يأتون بالأرز والحبوب والأقمشة

(١) تعتبر هذه الأراضي غنية بالبترول والغاز الطبيعي بعد الاكتشافات الحديثة في حضرموت .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية مادة سقطرى ج١١/ ٤٧٠ ـ ٤٨٠ وج١٢/ ٣ ـ ٨ .

(٣) المصدر السابق .

وبعض الإماء ، ويأخذون من الجزيرة المرّ واللبان وشجرة دم الأخوين وقشر السلاحف البحرية والبرية .

وقال إن «في الجزيرة أنهاراً بها تماسيح . . كما توجد في الجزيرة مجموعة كبيرة من الثعابين المختلفة . وبها سحليات كبيرة يأكل السكان لحمها ويذيبون دهنها ويستخدمونه كما نستخدم زيت الزيتون ! !» .

«ولا يوجد في الجزيرة حبوب ولا أعناب ولا فواكه ما عدا أشجار النخيل الذي يكثر في هذه الجزيرة . وتتميز الجزيرة بأنواع السلاحف البحرية والبرية والسلاحف البيضاء ويصدّر قشر تلك السلاحف إلى الهند واليونان وغيرهما من البلدان»[1] .

ولا يوجد أي دليل على وجود التماسيح غير ما ذكره كتاب «رحلة إلى البحر الأحمر» ، ولا يوجد كذلك أي أثر لهذه السحالي الكبيرة التي يؤكل لحمها ويؤتدم بدهنها .

دخول النصرانية إلى سقطرى :

تختلف الروايات اختلافاً بيّنا في كيفية دخول النصرانية إلى سقطرى . ولا يعرف بالضبط كيف دخلت النصرانية إليها .

ويذكر الأدميرال جوا دي كاسترو البرتغالي الذي زار سقطرى عام ١٥٤١ في مذكراته «أن السقطريين يحترمون الإنجيل ، وأنهم قد تنصّروا منذ زمن قديم جداً بواسطة القديس توماس عندما تحطمت

(١) فيتالي نومكين سقطرى جزيرة العنقاء ص٢٨ ، ٢٩ وكتاب سقطرى جزيرة السكينة لبرين دو ص٣٧ وص٣٩ ودائرة المعارف الإسلامية ج١١/ ٤٧٠ ــ ٤٨٠ .

سفينته بالقرب من سقطرى أثناء رحلته إلى الهند ، فنزل إلى سقطرى (حسبما تقول الأسطورة) وبنى بها كنيسة من أخشاب سفينته المحطمة . . واستطاع أن يعمّد كثيراً من الأهالي ويحوّلهم إلى النصرانية» . وذكر دي كاسترو أن السكان المحليين قد طال بهم العهد حتى جهلوا الديانة المسيحية رغم وجود عدد من الكنائس عليها الصلبان إلى عهده (١٥٤١م) !! وأن الرجال يتسمّون باسم بيير وجين وأندريه ، أما النساء فكلهن ماريا (هذه من أوهام البرتغاليين التي ذكروها عن سقطرى وأن الناس كانوا يتعاونون معهم فتبين أن نصارى سقطرى حاربوهم مع المسلمين ووقفوا ضدهم)[1] .

وتذكر المصادر العربية (المسعودي ، الهمداني ، ياقوت الحموي . . . إلخ) أن اليونان الذين أسكنهم الإسكندر المقدوني (القرن الرابع قبل الميلاد) تنصرّوا عند ظهور المسيحية . ولكنهم لم يذكروا قصة دخول النصرانية .

والمعروف أن الحبشة تنصّرت ، وكان اتصال اليمن بالحبشة قوياً . . واحتل الأحباش أجزاء من اليمن فدخلت فيها النصرانية . وكان أهل نجران نصارى إلى زمن البعثة المحمدية . . وقصة وفود أهل نجران على النبي ﷺ ، في المدينة المنورة ، في السنة التاسعة للهجرة معروفة ، ونكوص العاقب مطرانهم وسيّدهم عن المباهلة ثم قبولهم الجزية ، كل ذلك معروف موثق في كتب الحديث ، وكتب التفسير (آية المباهلة) ، وكتب السيرة .

---

(١) انظر فصل غزو البرتغاليين لسقطرى ص٦٧ ـ ٩٥ .

ويبدو أن النصرانية قد دخلت إلى سقطرى بواسطة الأحباش الذين كانت لهم علاقة مع اليمن (وسقطرى إحدى جزرها) ، أو بواسطة اليمنيين النصارى أنفسهم .

وهناك رواية أخرى ذكرها الطبيب اللفيتنانت ويلستد البريطاني الذي زار سقطرى عام ١٨٣٣ بأمر من البحرية البريطانية لدراسة وضعها وإمكانية استئجارها أو الاستيلاء عليها لتكون محطة لرسّو السفن البريطانية في طريقها إلى الهند . وتقول هذه الرواية أنه عندما تنصّر الأمبراطور الروماني قسطنطين في القرن الثالث بعد الميلاد ، وتكونت الكنيسة الرومانية الكاثوليكية بدأ الاضطهاد لكل الكنائس الشرقية ، فالكاثوليك يقولون بالطبيعتين للسيد المسيح (أي الإلهية والناسوتية) ، بينما كان النساطرة والقبط والأحباش وغيرهم من الكنائس الشرقية يقولون بالطبيعة الواحدة للسيد المسيح (مونوفيست) ، وهناك خلافات أخرى شديدة بين الفريقين . وأدى ذلك إلى اضطهاد الرومان لمخالفيهم وقتلهم وتعذيبهم ، مما جعل بعض النصارى المنوفيست والأرثوذكس يفرّون إلى جزيرة العرب ، جزيرة الحرية كما يسميها سيل Sale في كتابه Preliminary Discourse «الخطاب الأول»[١] حيث فرّ إليها بعض اليعاقبة والمنوفيست . وبما أن سقطرى جزيرة نائية فلا بد أن بعض هؤلاء فروّا بدينهم إليها . ومن ثمَّ نشروا النصرانية فيها[٢] .

(١) نقلاً عن مذكرات ويلستد التي نقلها البروفسور برين دو في كتابه «سقطرى جزيرة السكينة» ص ٢١٧ ـ ٢١٨ .

(٢) المصدر السابق .

سقطرى في العهود الإسلامية :

لا تذكر المصادر العربية الإسلامية أي غزو إسلامي لسقطرى . . ولكن بما أن سقطرى مهرية يمنيه ، فلا بد أن الإسلام قد دخل إليها مع دخوله إلى المهرة .

والمهرة كما يقول القاضي الحجري من قضاعة : «وهم ولد مهرة ابن حيدان ومساكنهم في سيحوت والغيضة والمشقاص . ومنهم آل قمعيت وآل سمارة وعوامر السيح . وبلدانهم في الجنوب الشرقي من حضرموت . وهي بلاد واسعة»[1] .

ويذكر السيد سقاف بن علي الكاف في كتابه «حضرموت عبر ١٤ قرناً»[2] المهرة وأنهم من قبائل قضاعة وهم ينتسبون إلى جيدان أو عمرو بن جيدان (أو ربما الصواب حيدان كما في المصدر السابق) ابن الحاف بن قضاعة . وموطنهم ساحل حضرموت من الشحر إلى ظفار ومن مواطنهم سابقاً مدينة الشحر المسمّاة قديماً (الأسعاء) التي أسسها أبو ثور المهري . ثم غلبت عليهم القبائل الأخرى فانسحبوا من الشحر وتمركزوا شرقها فيما يعرف بالمهرة إلى ظفار» .

وقد دخلت اليمن بكاملها في الإسلام منذ أن أرسل المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ابن عمه الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي أسلمت همدان بكاملها على يديه . كما أرسل معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري رضي الله عنهما وغيرهما ، ليعلّموا

(١) القاضي محمد بن أحمد الحجري : مجموع بلدان اليمن وقبائلها . تحقيق إسماعيل بن علي الأكوع ، وزارة الإعلام والثقافة ، صنعاء ١٤٠٤/ ١٩٨٤ ج٤/ ٧٢٥ .

(٢) السيد سقاف بن علي الكاف : «حضرموت عبر ١٤ قرناً» مكتبة أسامة ، بيروت ، ١٤١٠هـ .١٩٩٠م ص٢٩ .

الناس الإسلام ويحكموا فيهم بشريعته . . وكانت حضرموت والمهرة ممن أسلم . وارتدت بعد وفاة الرسول ﷺ معظم جزيرة العرب ، ومنها المهرة وحضرموت (ما عدا مناطق محددة مثل تريم) ، فأرسل إليهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل ليردّوهم إلى الإسلام . . وكانت المهرة من نصيب عكرمة رضي الله عنه فأخضعها ، وأعادها إلى رحاب الإسلام .

وبما أن المهرة كانوا أيضاً يحكمون سقطرى وبينهم وشائج القربى فإن الدعوة الإسلامية لا بد أنها انطلقت إليها من هناك . وبما أن الإسلام دين السماحة فإنه لم يفرض على سكان سقطرى من النصارى أن يتحوّلوا عن دينهم ، بل ترك لهم ذلك طواعية ، وكانت لهم كنائسهم وقسّسهم ، وتحوّل منهم تدريجياً من تحوّل إلى الإسلام ، ومع ذلك بقيت النصرانية إلى القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) عندما هجم البرتغال على سقطرى وحطموا مسجدها في السوق ، وبنوا محلّه الكنيسة التي أسموها «كنيسة سيدتنا سيدة النصر» . . ولم يكتفوا بذلك بل حاولوا قسراً أن يحولوا سكان سقطرى من النصارى من مذهبهم الأرثوذكسي المنوفيستي إلى الكاثوليكية . . ويبدو أن تلك الجهود أدّت إلى أن يتحوّل من بقي من نصارى سقطرى إلى الإسلام الذي لم يروا فيه سوى السماحة الكاملة والحرية التامة في اعتناق ما يريدون عملاً بما جاء في كتاب الله ﴿**لا إكراه في الدين قد تبيّن الرشد من الغيّ**﴾ وعملاً بسنة رسول الله ﷺ الذي أخذ الجزية من أهل الكتاب وترك لهم حرية التديّن ، ثم أوصى بحسن معاملتهم حتى وهو في فراش

الموت عندما أوصى بالنساء خيراً ، وبأهل الذمة ، فصلى الله عليه أفضل ما صلى على أحد من النبيين .

وظلّت حضرموت والمهرة وتتبعها سقطرى طوال عهد الخلفاء الراشدين وبني أمية إلى قرب نهايتهم في هدوء وسلام تخرج العلماء والمجاهدين الذين انتشروا في أصقاع الدنيا ، وخرج من حضرموت عدد كبير من القضاة مثل قضاة مصر التسعة في العهد الأموي ، كما خرج منها عدد من الصحابة منهم وائل بن حجر (من شبوة وهو أول وافد على النبي من حضرموت) وقيس بن سلمة الجعفي والأشعث بن قيس الكندي وربيعة بن مرحب الحضرمي وغيرهم كثير .

سقطرى والأباضية : واستمرت حضرموت في سلام دون ثورات طوال العهد الأموي إلى قرب نهايته ثم خرج **عبدالله بن يحيى الكندي** سنة ١٢٩هـ وهو المعروف بـ**«طالب الحق»** الذي ظهر أيام مروان بن محمد الأموي ، المعروف بمروان الحمار لشدة صبره وجَلَده . . وانطلق عبدالله بن يحيى واستولى على حضرموت كلها مع المهرة ، ثم وصل إلى صنعاء ، وسيّر جيشاً واحتل به الحرمين الشريفين بقيادة أبي حمزة الخارجي (الأباضي) . . ثم انهزم جيش الأباضية على يد عبد الملك بن محمد بن عطية السعدي الذي أرسله مروان بن محمد الأموي ، وتتالت هزائم الأباضية حتى أبادوهم إبادة تامة ما عدا فلول لهم استولت على عمان وأقامت لهم الإمامة هناك في الجبل الأخضر .

ومن عمان قويت شوكتهم مرة أخرى واحتلوا المهرة وسقطرى . وكان الأباضية أقل فرق الخوارج تصلّباً إلا أن خطبة داعي الحق

عبدالله بن يحيى الكندي تمثّل مذهبهم أصدق تمثيل حيث جاء فيها :

«إنّا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيّه وإجابة من دعا إليهما . الإسلام ديننا ومحمّد نبيّنا والكعبة قبلتنا والقرآن إمامنا . . رضينا بالحلال حلالاً ، لا نبغي به بديلاً ، ولا نشتري به ثمناً قليلا ، وحرّمنا الحرام ونبذناه وراء ظهورنا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وإلى الله المشتكى ، وعليه المعوّل . **من زنى فهو كافر ، ومن سرق فهو كافر ، ومن شرب الخمر فهو كافر ، ومن شكَّ في أنه كافر فهو كافر**»[1] ومذهبهم تكفير مرتكب الكبيرة ، وهم للأسف الشديد أشداء على من خالفهم من المسلمين ، يقتلونهم قتلاً ، لا يتركون صغيراً ولا كبيراً ، مما أدى في بعض الأحيان إلى الرد عليهم بالمثل من قتل النساء والأطفال . . ومع ذلك فهم يعاملون أهل الكتاب بالحسنى . . وكانت معاملتهم لنصارى سقطرى في منتهى الكرم والأدب والإحسان على عكس معاملتهم لأخوتهم المسلمين من المذاهب الأخرى . قال الحسن بن أحمد الهمداني في كتابه «صفة جزيرة العرب» في كلامه عن سقطرى (وقد تقدم نصّه كاملاً) «وسكنها مهرة وقوم من الشُّراة (الخوارج) ، وظهرت فيها دعوة الإسلام . **ثم كثر بها الشُّراة فعدوا على من بها من المسلمين وقتلوهم غير عشرة أناسية**» .

سقطرى في عهد الأئمة من عمان :

وخضعت سقطرى لحكم الأئمة الأباضية في عمان منذ عهد

(١) سقاف الكاف : حضرموت عبر ١٤ قرناً ص٣٩ .

الجلندي بن مسعود (عام ١٣١ ـ ١٣٣هـ) . واستمرّ الأمر على ذلك حتى قام بعض نصارى سقطرى بنقض العهد ، وقتل والي الإمام الصلت بن مالك الخروصي اليحمدي[١] (٢٣٧ ـ ٢٧٣هـ الموافق ٨٥١ ـ ٨٨٣م) وكان الوالي يُدعى قاسماً ، فاعتدى النصارى وقتلوا الوالي وجنده ومجموعة من النساء والأطفال ، فأنشدت امرأة تدعى الزهراء قصيدة تستنجد بالإمام الصلت بن مالك الخروصي وتحثّه على الانتقام من ناكثي العهد فأرسل الإمام فرقة بقيادة محمد بن عشيرة وسعيد بن شملال يبيّن لهم «ما يدعون وما يذرون» وأوصاهم وصايا واضحة وقوية بأن لا يعتدوا على المسالمين من النصارى الذين لم ينقضوا العهد . وقد قاما بالمهمة خير قيام .

ويذكر سارجنت تفاصيل هامة لهذه القصة سنترجمها من الإنجليزية[٢] وننقلها بنصها :

«وكتب مؤرخ عمان السالمي (سنة ١٩١٢) قصة الغزو العماني لسقطرى ، وذلك في القرن الثالث الهجري ، كما ذكر جون ويلكنسون J. Wilkinson أن الأئمة من الأزد ، من قبيلة العبادي ، كانت لهم دولة تمتدّ من البحرين حتى اليمن وكانت قوتهم وتجارتهم البحرية ذات أهمية بالغة .

---

(١) ذكره سارجنت في الفصل الذي كتبه عن سكان سواحل سقطرى في كتاب برين دو «سقطرى جزيرة السكينة» ونقل ذلك أيضاً عن السالمي المؤرخ العماني (١٩١٢) أحمد العبيدلي في مقاله المنشور في صحيفة الحياة العدد ١١١١٠ في ١٥/٧/٩٣ .

(٢) المصدر السابق .

النصارى ينقضون العهد ويقتلون النساء والأطفال : «وفي أثناء حكم الإمام الصلت بن مالك الخروصي الذي حكم عمان من الفترة ٢٣٧ إلى ٢٧٣هـ (٨٥٧ ـ ٨٨٦م) حدثت ثورة في سقطرى ، ونقض نصارى سقطرى العهد وخانوا الأمانة ، وقتلوا نائب الإمام في سقطرى كما قتلوا النساء والأطفال وسرقوا ونهبوا وقامت امرأة من سقطرى تُدعى زهراء وأنشدت قصيدة واستغاثت بالإمام الصّلت وذكّرته بما حدث في سقطرى من اعتداء النصارى على المسلمين وعلى النساء ، ونقضهم العهد ، واستنهضت همته ومما قالته (مترجم عن الانجليزية إذ لا يوجد لدي النصّ العربي للأسف) :

لقد خَلَت سقطرى من نور الإسلام .
حيث كانت الشريعة تحكم والقرآن
وحيث كان المسلمون يعيشون في رغد وكرامة
ولكن واأسفاه لقد تبدّل الحال
وأصبح الكفر بديلاً للإسلام
والضلال بديلاً للهدى
والخطيئة حلت محلّ الفضيلة
والنواقيس الخشبية تقرع بدل الأذان
وما يؤلم حقاً أيها الأمير الصلت أنك تنام قرير العين
بينما تئن النساء في سقطرى مما ألمَّ بهن .

ولما بلغت القصيدة الإمام الصلت عزم على قتال النصارى[1] من أهل سقطرى الذين نكثوا العهد[2] . وجمع جيشاً ونظم أسطولاً

(١) موقفه يشبه موقف المعتصم في عامورية وأما اليوم فنساء البوسنة يغتصبن ولكن واأسفاه لا معتصم ولا صلت هناك .

(٢) تقول بعض المصادر (كما يقول العبيدلي) أن ذلك تم بتشجيع نصارى الحبشة .

وجعل الإمرة لمحمد بن عشيرة وسعيد بن شملال بحيث لو حدث لأحدهما مكروهاً تولى الآخر الإمرة والقيادة . أما إذا استشهدا كلاهما ، فيتولى القيادة حازم بن هُمام وعبد الوهاب بن يزيد وعمر بن تميم . ولم يكتف الإمام بذلك بل كتب لهم كتاباً مطوّلاً يوضح لهم فيه ما يفعلون وما يذرون .

«وانطلقت سفينة ومائة سفينة حسبما يقول السالمي صوب سقطرى (ويرى سارجنت أن هذا العدد مبالغ فيه جداً . وقد صدق سارجنت) . . ونصرهم الله وأزالوا حكم الطاغوت وهزموا الأعداء شرَّ هزيمة وعادوا مظفّرين» .

ويقول سارجنت أن خطاب الإمام مشكوك فيه ، وهو خطاب طويل جداً ، حوى مبادئ الإسلام في الحرب والسلم ، وتوجيهات عسكرية بحرية وبريّة ، وفيه تفاصيل تشريعية كثيرة جداً . وفيه أن الربابنة (جمع رُبّان وهو قائد السفينة) عليهم أن يبحروا قريباً من بعضهم بحيث يسمع المتقدم صوت المتأخر ، (وهو قانون بحري معروف باسم سنجار) . يقول الإمام : «ولا يجوز للمسلمين أن يتزوجوا من نساء النصارى المحاربين الذين نكثوا العهد ، ولكن يجوز لهم أن يتزوجوا من نساء النصارى الذين لم ينكثوا العهد والذين يقرأون الإنجيل» .

وفرض الإمام على النصارى الجزية ، وأصدر تعليماته بنقل من يريد من سكان سقطرى المسلمين هم ونساؤهم وأطفالهم إلى عمان ، بل ونقل كل من وقف مع المسلمين من غير المسلمين إذا أرادوا ذلك» .

وقد ذكر هذه القصة بتفاصيل مختلفة الأستاذ أحمد العبيدلي[1] وإن كان أيضاً قد نقلها عن السالمي وويلكنسون كما فعل سارجنت وسننقل هنا ما ذكره لأهميته :

«وتوصلت الجزيرة (أي سقطرى) إلى نوع من الاتفاق مع أول إمامة ظهرت في عمان ، وهي إمامة الجلندي بن مسعود القصيرة العهد (١٣١ ـ ١٣٣هـ/ ٧٤٨ ـ ٧٥٠م) . ويبدو أن الاتفاق استمر عندما استعيدت الإمامة بعد أربعين عاماً .

«ويبدو أنه فقط في عهد الإمام الصلت بن مالك الخروصي اليحمدي (٢٣٧ ـ ٢٧٣هـ) قام النصارى ونقضوا ما بينهم وبين المسلمين فهجموا على سقطرى ، وقتلوا والي الإمام وفتية معه ، وسلبوا ونهبوا وأخذوا البلاد وتملكوها قهراً» . ولربما أدى عرض السالمي إلى نوع من تصور أن ذلك عائد لهجوم خارجي[2] ، وهو ما أشار إليه مرتب كتابه كأحد الاحتمالات ، وعلى وجه التحديد من نصارى الحبشة . ويتضح من العرض السابق أن المسيحيين المحليين ممن يعتقد أنهم من أصول إغريقية هم الذين كانوا معنيين بهذا الهجوم .

«وتُلقي الحادثة ، كما رواها السالمي ، الضوء على نصارى سقطرى ، فلقد علم الإمام بالحادثة حين كتبت له امرأة من أهل

---

(١) أحمد العبيدلي : سكان سقطرى في المصادر العربية المبكرة (٢) صحيفة الحياة العدد ١١١١٠ بتاريخ ٢٥/ ١/ ١٤١٤هـ الموافق ١٥/ ٧/ ١٩٩٣ .

(٢) يبدو من المصادر المختلفة أن نصارى سقطرى قاموا بالغدر بعد أن شجعهم على ذلك نصارى الحبشة .

الجزيرة تسمى «الزهراء» قصيدة تذكر له ما وقع وتستنصره[1] وتذكر بها اسم والي الإمام (اسمه قاسم) الذي قتل ومعه بعض الأعوان . ويبدو من القصيدة أن النساء تعرَّضن لضرر بالغ في هذه الأحداث . ومن الغريب وجود نواقيس من الخشب .

«وعندما أرسل الإمام حملته أرفقها بكتاب وجهه إلى أفراد الحملة ومن بينهم قائداه محمد بن عشيرة وسعيد بن شملال يبيّن لهم فيها (ما يأتون وما يذرون) . وتتضمن الرسالة بمجملها إشارات تؤكد أن النصارى الذين شنّوا الهجوم إنما كانوا من سكان الجزيرة المحليين . وقال الإمام في كتابه إلى أفراد الحملة أنه قد ولّى عليهم القائدين (على جميع سقطرى ، أهل السلم منها وأهل الحرب . . وفي المصالحة والمسالمة والمحاربة لأهل النكث من النصارى ، أو من حاربكم من المشركين في سفركم أو في مستقرّكم) . وذكر في موقع آخر (القرية الناكثة) و(أهل العهد الذين لم ينقضوا عهدهم) ، كما ذكر في العهد ما يجب اتباعه إذا ما تواصلت الأحداث إلى رأس الزنج (يقصد الصومال) أو إلى تبرمه» . انتهى كلام العبيدلي .

ومن مجموع ما كتبه سارجنت والعبيدلي يتبين أن بعض نصارى سقطرى بتشجيع من الحبشة (أو غيرهم) قاموا بقتل الوالي المسلم ومن معه ، وقتلوا نساء وأطفالاً . وأرسل الإمام الصلت فرقة كبيرة لتأديبهم ، وفي الوقت نفسه أصدر تعليمات واضحة بعدم المساس بالذين لم ينكثوا العهد من النصارى ، بل وسمح للمسلمين

(١) ذكر سليم زبال في استطلاعه عن سقطرى الذي نشرته مجلة العربي هذه الحادثة ونسبها إلى البرتغاليين الذين احتلوا سقطرى عام ١٥٠٧هـ . وهو وهم منه وخطأ (مجلة العربي العدد ١٥٢ و١٥٣ لشهري يوليه وأغسطس ١٩٧١) .

أن يتزوجوا من نسائهم كما هو معروف في الفقه الإسلامي ، قال تعالى : ﴿**وطعام الذين أوتوا الكتاب حلٌّ لكم وطعامكم حلٌّ لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات مِن الذين أوتوا الكتابَ من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان**﴾ [المائدة آية ٥] .

وهكذا عادت العلاقات إلى طبيعتها الودية المسالمة بين نصارى سقطرى والمسلمين بعد تأديب الناكثين المعتدين .

علاقة الهنود بسقطرى في العهود المختلفة :

سبقت الإشارة إلى ما ذكره المسعودي في مروج الذهب من أن الهنود كانوا يسيطرون على سقطرى قبل أن يستولي عليها جند الإسكندر المقدوني من اليونان . قال : «فغلبوا (أي اليونان) على من كان بها من ملوك الهند ، وملكوا الجزيرة ، وكان للهند بها صنم عظيم ، فنُقِلَ ذلك الصنم في أخبار يطول ذكرها»[١] .

وذكر صاحب كتاب «رحلة إلى البحر الأحمر» Periplus maris erythraei لكاتب مجهول في القرن الأول بعد الميلاد (أي في العهد الروماني) أن سكان سقطرى خليط من العرب والهنود واليونان . . وأن التجار من الهند يأتون بالأرزّ والحبوب والأقشمة وبعض الإماء ويأخذون من الجزيرة قشر السلاحف البحرية والبرّية والمرّ واللبان والصبر وشجرة دم الأخوين (العندم)[٢] .

(١) مروج الذهب للمسعودي ج٢/ ١٩ .

(٢) فيتالي نومكين : سقطرى جزيرة العنقاء ، ص ٢٨ و٢٩ ، وبرين دو : سقطرى جزيرة السكينة ص٣٩ . وأحمد العبيدلي : سكان سقطرى في المصادر العربية المبكرة صحيفة الحياة العدد ١١١٠٨ في ١٣/٧/١٩٩٣ والعدد ١١١١٠ في ١٥/٧/١٩٩٣ .

وفي العصر الإسلامي في العهد العباسي على زمن المسعودي (القرن الرابع الهجري) كان شأن الهنود مع سقطرى قد تحوّل إلى القرصنة البحرية حيث تعتدي بوارج الهند على تجارة المسلمين البحرية . قال المسعودي : «وهم في هذا الوقت (أي أهل سقطرى) تأوي إليهم بوارج الهند (سفن القراصنة) يقطعون على المسلمين في هذه البوارج ، وهي المراكب ، على من أراد الصين والهند وغيرها كما يقطع الروم (القراصنة على المسلمين تجارتهم البحرية) في الشواني (وهي سفن بحرية يستخدمها القراصنة)»[1] .

وينقل ياقوت الحموي في كتابه الحافل معجم البلدان[2] ما ذكره المسعودي ولكنه أضاف أن الهنود القراصنة لم يعودوا يأوون إليها في زمنه (تُوفي ياقوت سنة ٦١٦هـ . ١٢١٩م) ، ويبدو أن نشاط قراصنة الهند كان على أشده في القرن الثاني والثالث من الهجرة . وبدأ يقل في القرن الرابع ثم تمت السيطرة عليهم منذ القرن الخامس الهجري ولكن نشاطهم لم يختف وبقي في القرن السادس الهجري كما ذكره ابن مجاور .

وقد ذكر الطبري في تاريخه أن البوارج (الهندية) دخلت إلى البصرة بل وتوغلت في دجلة سنة ٢٥١هـ (٨٦٥م)[3] .

وقد قام عامل الخليفة هارون الرشيد على البصرة محمد بن

---

(١) مروج الذهب ج٢/ ١٩ . ولفظ بارجة أصله هندي بيرا Birah أو بيزا Bizah .

(٢) معجم البلدان لياقوت الحموي ، دار صادر ، بيروت ١٩٥٧ ج٣/ ٢٢٧ مادة سقطرى .

(٣) نقلا عن سارجنت «سكان سواحل سقطرى» فصل من كتاب برين دو : سقطرى جزيرة السكينة ص١٣٧ . وذكر أن لفظ بارجة هندوستاني وهو بيرا أو بيزا .

سليمان بن علي بإرسال أسطول من البصرة إلى عُمان لتأمين الطريق البحري ، واستولى مسلم بن زياد الأصم على عشر بوارج هندية عام ١٧٨هـ/ ٧١٤م . وتمكن الإمام غسان بن عبدالله الفجحي اليحمدي سلطان عمان (١٨٩ ـ ٢٠٨هـ) من القضاء عليهم في زمنه ، ولكنهم عادوا ليعيثوا فساداً ويقطعوا سبل التجارة . وفي عام ٣١٧ هاجم الهنود القراصنة في سبعين بارجة أمير البحر إسماعيلويه فانتصر عليهم وهزمهم شرّ هزيمة[١] . . ومنذ ذلك الحين ضعف أثرهم وبدأ الأمن يستتب في المحيط الهندي والخليج الفارسي ، والبحر الأحمر وكانت التجارة البحرية في يد المسلمين .

وقد اتُّهم سكان سقطرى من العديد من الكتاب المتقدمين ومنهم ماركو بولو بالإضافة إلى المسعودي وابن مجاور بأنهم كانوا يؤوون هؤلاء القراصنة من الهند ويشترون منهم بعض سلعهم المنهوبة كما اتُّهم سكان سقطرى أيضاً بأنهم سحرة . قال ابن مجاور المتوفى سنة ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م «وسكانها نصارى سحرة ومن ذلك أن سيف الإسلام (والصواب سيف الدين) سنقور مولى إسماعيل بن طغتكين[٢] رتَّب حملة من خمس شواني (سفن) للاستيلاء على الجزيرة . وعندما اقترب من الجزيرة اختفت من أمام أعينهم ، فكانوا يذهبون ويجيئون ليلاً ونهاراً دون أن يعثروا على نأمة من الجزيرة أو يعثروا على من يخبرهم عنها ، فاضطروا أن يرجعوا عنها . وفي كتب الروم الملعونين «الجزيرة المحفوظة في بلاد العرب» .

---

(١) أحمد العبيدلي : سقطرى في المصادر العربية المبكرة ، صحيفة الحياة العدد ١١١١٠ في ١٥/٧/١٩٩٣ .

(٢) الأيوبي ٥٩٣ ـ ٥٩٨هـ/ ١١٩٧ ـ ١٢٠٢م نقلاً عن سارجنت المصدر (٥٢) ص١٣٦ ـ ١٤٠ .

ويقـول ابن المجـاور أيضـاً . . «وغـاية أهل هذه السـواحل (أي سواحل سقطرى) مع السّراق لأن ينزلون عندهم ويقيمون عندهم مدة ستة أشهر يبيعون عليهم الكسب ، ويأكلون ويشربون هناك»[1] .

(١) أحمد العبيدلي : المصدر السابق .

الفَصْلُ الثَالِث

سقطرى في التراث الإسلامي

يبدو أن المسعودي والهمداني اللذين توفيّا في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) هما أقدم مصدرين عربيين كتباً عن سقطرى . وإن كان الهمداني في الإكليل قد ذكر أنه استمد بعض معلوماته من كاتب آخر مجهول ذكره باسم (أبو راشد)[1] .

سقطرى عند المسعودي : عاش علي بن الحسين بن علي المسعودي في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري والنصف الأول من القرن الرابع وكانت وفاته سنة ٣٤٦هـ/ ٩٥٦م . وقد زار مناطق عدة ويعتبر كتابه «مروج الذهب» من المصادر التاريخية والجغرافية الهامة رغم عدم دقته . وقد كتب المسعودي عن سقطرى التي لم يزرها شخصياً وإنما سمع عنها الكثير وخاصة بعد أن وصل إلى زنجبار التي كانت مركزاً عربياً على ساحل إفريقيا الشرقية ، والتي تكونت فيها عدة دول إسلامية عربية أهمها الدول التي كانت مرتبطة بالأئمة الأباضية من عمان . وقد نقلنا طرفاً مما ذكره

(١) سارجنت : سكان سواحل سقطرى (فصل في كتاب سقطرى جزيرة السكينة لبرين دو) ص١٣٧ .

المسعودي عن سقطرى وكيف أسكن الإسكندر فرقة من اليونان بها بعد أن نصحه بذلك أستاذه أرسطو من أجل «الصبر السقطري الذي يقع في الأرياجات وغيرها» وذكر الصنم الضخم الذي كان يعبده الهنود في الجزيرة وأنهم نقلوه إلى الهند . كما ذكر بوارج الهنود القراصنة في زمنه والتي تؤوي إلى سقطرى . وادعى أن نصارى سقطرى في زمنه هم من نسل اليونان « . . لم يداخلهم في أنسابهم رومي ولا غيرهم» !!

ثم قال «ويُحمل من جزيرة سقطره الصبر وغيره من العقاقير . ولهذه الجزيرة أخبار عجيبة ، ولما فيها من خواص النبات والعقاقير قد أتينا على كثير من ذكرها فيما سلف من كتبنا» . للأسف لم نعثر على أي شيء آخر مما كتبه سوى ما هو مدوّن في مروج الذهب ولم ينقل عنه الذين كتبوا عن سقطرى من المستشرقين وغيرهم أي شيء آخر سوى ما هو مدوّن في مروج الذهب .

سقطرى عند الهمداني : وأما الحسن بن أحمد الهمداني المؤرخ والجغرافي اليمني المشهور والمعاصر للمسعودي والذي كانت وفاته سنة ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م . ويرجح القاضي محمد بن علي الأكوع محقق كتاب «صفة جزيرة العرب» أن الهمداني توفي سنة ٣٤٤هـ/ ٩٥٥م بناء على ما ذكره من حوادث وقعت . وقد نصَّ الهمداني نصّاً واضحاً على أن سكان سقطرى هم من المهرة «وفيها من جميع قبائل المهرة . وبها نحو عشرة آلاف مقاتل ، وهم نصارى» . وذكر «أن قوماً من بلد الروم طرحهم بها كسرى . ثم نزلت بها قبائل من مهرة فساكنوهم وتنصّر بعضهم» . كما ذكر أن أهل عدن ينكرون تماماً دخول الروم أو اليونان في سقطرى . وإنما

هي مهرية عربية يمنية تنصَّر أهلها . ثم ظهرت فيها دعوة الإسلام وكثر فيها الشراة (الخوارج) واعتدوا على من بها من المسلمين (السنَّة) ، فقتلوهم ولم يبق منهم «غير عشرة أناسية» .

ويذكر سارجنت ، كما قد مرّ معنا ، أن الهمداني في كتابه الإكليل يقول إن السقطري الذي يسكن الجبال هو من نسل اليونان «ولكن هؤلاء تزاوجوا مع قبيلة القمر المهرية» .

وقد بالغ الهمداني في تقديره لطول جزيرة سقطرى عندما قال «وطول هذه الجزيرة ثمانون فرسخاً» ثم جاء ابن المجاور (القرن السابع الهجري) وقال إن طولها أربعون فرسخاً فقط . وبما أن الفرسخ أربعة أميال ، وطول سقطرى هو ٧٥ ميلاً (أقصى طول لها) فإن ذلك هو ربع ما ذكره الهمداني .

وقد ذكر الهمداني أيضاً و« بها نخل كثير ، ويسقط بها العنبر (ambergris) وهو إفراز من أمعاء الحوت الذي يكثر في سواحل سقطرى» . وبها دم الأخوين وهو «الأيدع» (ويقال له أيضاً العندم ويسميه الغربيون دم التنين) .

ياقوت الحموي : وأما ياقوت الحموي الذي عاش في القرن السادس وأوائل السابع الهجري (وفاته ٦١٦هـ/ ١٢١٩م) فقد نقل معظم ما ذكره المسعودي (دون أن يشير إليه) ، ولكنه بدأ كلامه عنها بكيفية كتابة اسمها فقال : سُقُطرى : بضم أوله وثانيه ، وأل مقصورة . ورواه ابن القطّاع سقطراء ـ بالمدّ ـ في كتاب الأبنية : اسم جزيرة كبيرة فيها عدة قرى ومدن تناوح (أي تقابل) عدن ، جنوبيها عنها[1] ، وهي إلى برّ العرب أقرب منها إلى برّ الهند . والسالك

(١) الواقع أنها جنوب شرق عدن ولا تقابل عدن بل تقابل المهرة وهي أقرب إليها .

إلى بلاد الزنج (شرق إفريقيا والصومال) يمرّ عليها . وأكثر أهلها نصارى عرب[1] ، يجلب منها الصبر ودم الأخوين وهو صمغ شجر لا يوجد إلا في هذه الجزيرة (يوجد في اليمن وغيرها) ، ويسمونه القاطر ، وهو صنفان : خالص يكون شبيهاً بالصمغ في الخلقة إلا أن لونه كأحمر شيء خلقه الله تعالى ، والصنف الآخر مصنوع من ذلك» . وما عدا ذلك فقد نقله عن المسعودي إلا أنه قال أن القراصنة الهنود أصحاب البوارج لم يعودوا يأتون إلى سقطرى في زمنه .

وقد سبق أن نقلنا ما ذكره الإدريسي عن سقطرى وزعمه أن الإسكندر المقدوني وصل إليها بعد عودته من الهند (وهو أمر غير صحيح) وأنه قد أعجبه ثراها واعتدال هواها فكتب إلى معلمه أرسطو بذلك . كما أنه أسكن بها مفرزة من جنده مع أهليهم وأمرهم بالمحافظة على شجرة الصبر والتوسع في زراعتها .

كما أشرنا إلى نقولات أبي الريحان البيروني عن سقطرى عندما تحدث عن الصبر السقطري في كتابه الصيدنة .

سقطرى وابن المجاور (٦٠١ ـ ٦٩٠هـ/ ١٢٠٤ ـ ١٢٩١م) : كتب جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد الشيباني الدمشقي المعروف بابن المجاور كتاباً في جزئين (مجلد واحد) بعنوان تاريخ المستبصر (في تاريخ الحجاز واليمن وحضرموت وعمان)[2] .

---

(١) هذا هو الحق . . وأما اليونان فقليلون جداً وقد أخطأ في قوله إنهم يحفظون أنسابهم فقد اختلطت أنسابهم بالقبائل المهرية كما ذكر الهمداني الذي عاش قبله بقرون .

(٢) تاريخ المستبصر لابن المجاور تحقيق المستشرق اوسكار لوفجرن طبع ليدن بهولندة ١٩٥١ ، ج٢/ ٢٦٦ ـ ٢٦٨ .

ووصف في كتابه ذلك سقطرى . وذكر أن البحر انغلق في البحر الأحمر وامتدّ ما بين جزيرة العرب وقارة إفريقيا ، وامتد البحر ما بين عدن وزبيد عبر باب المندب وهي معلومات صائبة تؤكدها الأبحاث الحديثة عن تكون البحر الأحمر الذي كان يدعى (بحر القلزم) . . حيث كانت اليابسة ممتدة ما بين جزيرة العرب ومصر والسودان فانفلق البحر بسبب الزلازل الشديدة وخسفت الأرض فغمرتها المياه من المحيط الهندي . . وإليك نص ما قاله ابن مجاور تحت عنوان ذكر جزيرة سقطرى[1] .

«يقال : إن في قديم الزمان كان جميع هذه الأمكنة بحر لا غير ، وكانت سقطرى ما بين البحر والبر . فلما فتح الله الفم من مقابل الجبل غرق البحر إلى باب المندب ما بين عدن وزبيد ووقف الماء عنده ، فلما فُتحَ باب المندب وقف أواخر بحر القلزم (البحر الأحمر) . وجبل سقطرى ، صار الآن جزيرة ، في لجج البحر . يصحُّ دور الجزيرة أربعون فرسخاً ونيفاً[2] . قال (الهمداني) : يصح دورها ثمانون فرسخاً ونيّف .

«وليس في جميع هذه البحار أكبر منها جزيرة ولا أطيب منها . وهي ذات نخل وبساتين وزروع ذُرة وحنطة ، وبها إبل وبقر وضأن ، ألوف مؤلفة . وفيها مياه سائحة على وجه الأرض ، وهو عذب فرات ، وهو خليج كبير (يقصد نهر كبير) ينبع أوله من

(١) تاريخ المستبصر لابن المجاور تحقيق المستشرق اوسكار لوفجرن طبع ليدن بهولندة ١٩٥١ ، ج٢/ ٢٦٦ ـ ٢٦٨ .

(٢) يقصد أن محيط الجزيرة أربعون فرسخاً (الفرسخ أربعة أميال) وهو أقرب إلي الصواب من قول الهمداني أن طول جزيرة سقطرى ٨٠ فرسخاً .

الجبال ، طويل عريض (لكنه غير عميق إذ لا يزيد عمقه عن ٢٥ سنتمتراً) ، ويغلب ما فضل منه البحرُ . ذات أسماك .

و«يطلع منه شجر الصبر السقُطريّ ودم الأخوين . ويوجد في سواحلها العنبر الكثير . وسكانها قوم نصارى سحرة ، ومن جملة سحرهم أن سيف الإسلام جهَّز إلى الجزيرة ، والأصح سيف الدين سُنْقُر ، مولى إسماعيل بن طغتكين[1] خمس شواني (سفن حربية) ليأخذوا الجزيرة ، فلمّا قربوا (قَرُبَ) القوم من الجزيرة انطمست الجزيرة عن أعين القوم ، وصاروا صاعدين منحدرين ، طالعين ونازلين ، ليلاً ونهاراً ، أياماً وليالي ، فلم يجدوا للجزيرة حسٌّ ولا وقعوا للجزيرة على خبر ، فرُدّوا راجعين . ويقال إن الروم المَلاعين يُكتبُ في كتبها عن الجزيرة ، يعني سقطرى : «الجزيرة المحروسة بأرض العرب» .

قصة الطيور السبعة :

ويستطرد ابن المجاور إلى قصة الطيور السبعة التي تظهر لكل قادم إلى سقطرى من البحر أي من أي جهة كانت وجهته ، ليلاً أو نهاراً ، أما إذا غادرها فلا تظهر له . قال :

«قد ذكر مؤلف الرهمانج (كتاب عن البحار) أنه إذا شاهد مسافر في هذا البحر سبعة طيور في لجج البحار يعلم أنه يقابل جزيرة سقطرى . وكل من جاز ويجوز هذا البحر وقطع جزيرة سقطرى يرى السبع الطيور ليلاً ونهاراً ، صباحاً ومساء ، ومن أي صوب أقبلت المراكب تستقبله الطيور ، ولم يجدهم أحد

(١) إسماعيل بن طغتكين الأيوبي ٥٩٣ ـ ٥٩٨هـ/ ١١٩٧ ـ ١٢٠٢م .

ألف بغل بخيط عنكبوت واهي . إذ لا تحتاج إلى الشدة ولا إلى الحبال بل مكرها وشدة خداعها يكفيها .

وقد أُتهمت سقطرى بالسحر ، وخاصة سكان الجبال منها ، الذين كانوا في الماضي نصارى بينما سكان السواحل (الوطاء) لديهم العين . ويعتقد الأهالي كما يقول سارجنت في زيارته لسقطرى عام ١٩٦٧ أن الساحر أو الساحرة إذا ربط أحدهما بالأثقال (خمسة أرطال على الصدر ومثلها على الظهر) وقيّد ورمي في البحر فإنه يرتفع من القاع مباشرة ويظهر رأسه أولاً ثم الكتفين ثم بقية الجسم . أما إذا لم يرتفع من القاع فإنهم يشدونه بالحبال ويعرفون أنه غير ساحر . وقد ذكر أن رجلاً قام بقتل امرأة بزعم أنها سحرته . ولكن السلطان حكم عليه بالقصاص فقتل .

وذكر ابن المجاور المهرة وهم الذين سكنوا سقطرى منذ أقدم العصور ثم اختلط سكانها باليونان والهنود وغيرهم . ولغتهم حميرية قديمة . وأرض المهرة تمتد من حضرموت إلى ظفار . وهم من قضاعة ويقال إن أبا ثور المهري هو الذي أسس مدينة الشحر (الأسعاء) ، ولكنهم غُلبوا عليها فانزاحوا شرقاً إلى ما يعرف اليوم باسم منطقة المهرة . وكانت المهرة ممن ارتد من القبائل العربية فأرسل إليهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه عكرمة بن أبي جهل فأخضعهم بعد أن قتل منهم عدداً كبيراً . ولكن ابن المجاور يذكر تفاصيل مختلفة تحت باب : **ذكر نسبة المهريّة**[1] .

قال : «حدثني علي بن محمد بن أحمد الساعي في المفاليس[2]

(١) ابن المجاور : تاريخ المستبصر ج٢/ ٢٧١ ـ ٢٧٢ .

(٢) المفاليس : منطقة من الحجرية في اليمن وهي على الخط بين عدن وتعز ، وكان =

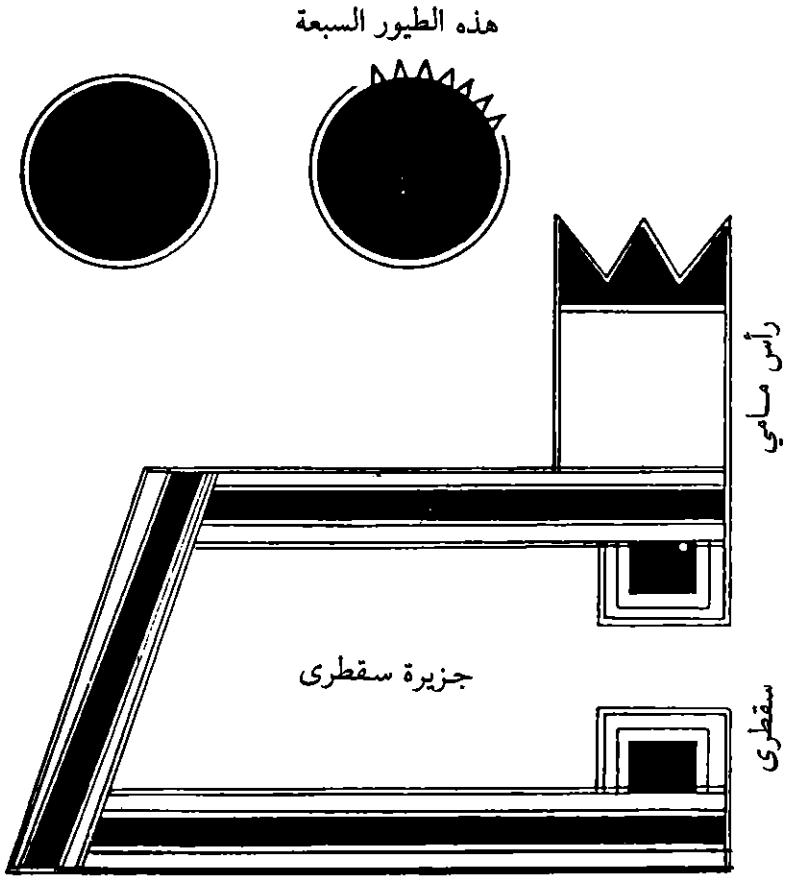

رسم وضعه ابن المجاور لسقطرى . قال «وهذا جانب المطلع من جزيرة سقطرى . وهذه صورة تراها إذا كنت في وسطها وحاذيتها وأما إذا دانيتها من البحر فربما تتغير هذه الصورة وتراها على صفة أخرى» .

قال : حدثني فهر بن عبدالله بن راشد وهو سلطان حضرموت قال : إن أصل المهرّية من قرية الدبادب ، لم تجرِ فيه صلاة لأن أمير المؤمنين أبا بكر الصديق رضي الله عنه ، بعث بجيش إلى هذه الأعمال ، فعصت أهل هذه القرية عليهم ، فلما انتصروا على أهل هذه القرية ركبّوا السيف على أهلها ، لا يزالون يقتلون فيهم إلى أن جمد الدم فيهم قدر قامة . فلم يسلم من القوم إلا قدر ثلاثمائة بنت بكر مخلخلات مدملجات (أي لابسات الخلاخيل والدمالج) ملبّسات ، فتعلقوا بجبل مقابل ، فلما رأى أهل الجبل ذلك أمهروهم وتزوجوهم ، فجاء من نسلهم المهرة . وحدثني أحمد بن علي بن عبدالله الواسطي قال : إن المهرة من بقية قوم عاد ، فلما أهلك الله تلك الأمم نجا هؤلاء فسكنوا **جبال ظفار وجزيرة سقطرى وجزيرة المصيرة** . وهم قوم طوال حسان ، لهم لغة منهم وفيهم ، ولم يفهمها إلاّهم ، ويسمّونهم السحَرَة . وما اشتُقَّ اسم السحرة إلاّ من السحر لأن فيهم الجهل والعقل ومن الجنون ، يأكلون نعم الله بلا حمد ولا شكر ، ويعبدون غيره (يتحدث هنا عن نصارى سقطرى) . وهم في هذه الديار يشبهون الدوابَّ سائرين ملء تلك السهول شبه السيول ، والجبال شبه الجبال . وفيهم يقول الشاعر :

كم تُوعظون ولا تغني مواعظكم
فالبَهْمُ يزجرها الراعي فتنزجرُ
أرضاكم صور الناس الذين همُ
ناسٌ ولكنكم في فعلكم بقرُ

= فيها مركز الجمرك اليمني عندما كانت اليمن الجنوبية تحت الاحتلال البريطاني . وقد توحدت اليمن عام ١٩٩٠ .

لو كنتمُ بشـــراً كـــانت تُنهنهكمْ
نوائـــبُ الدهر إلا أنكـــم حُـــمُـــرُ

انتهى كلام ابن مجاور .

ويبـدو أن المؤرخين على اختـلاف مـشـاربهم يتناقلون قـصص السـحر عن سـقطرى . ومن ذلك أن مـاركـو بولو عند عـودته من الصين وصف سـقطرى التي لـم يرها (رحلتـه ١٢٩٠ ميـلادية ومـا بعدها) وذكـر أن أهلها سحرة يستطيعـون أن يجعلوا البحر الهادىء مليئاً بالعواصف والأمواج العاتية ، كـما أنهم يستطيعـون أن يحوّلوا البـحـر الهـائج المائج إلى السكون . . وتستطيع نسـاء الجـزيرة أن يغـوين الرجـال ثم يقـتلنهم بعـد أن يأخـذن أمـوالهم . كـمـا أنهن يستطعن أن يتحوّلن إلى حـوريات الماء فيغـوين البحّارة ويقتلنهم في لجج البـحـار . ويستطعن تحـويل أعدائهـن من النسـاء إلى حيـوان الفـقـمـة (عـجل البـحـر) . . ويحـوم حـول جـون (خليج) حـديبـو مـجمـوعـة من الجن ، وفي الليل يظهـر مـصاص الدمـاء Vampire ، كما أن بهـا مجموعة من الخفافيش التي تعيش على الدمـاءالبشرية ، والتي تهاجم الأجانب والغرباء فقط . أمـا سكان الجزيرة فلا تتعرض لهم بأي أذى . وإذا تأخر المطر قام الساحر أو الساحرة بأدعية خاصة موجهـة للقمر فينزل المطر . . أما إذا فـشل في إنزال المطر فإن الأهالي يقطعـون يديه . وعقـوبة السـاحر إذا قـتل أحداً من سكان الجـزيرة أن يرمى من جبل حباق ، أمـا في الوقت الحاضـر (١٩٦٧) فيـقـول برين دو رئيس البـعـثـة البـريطانيـة إلى سـقطرى أنه يُكتـفى بنفـيـه إلى الجبال[١] .

(١) برين دو : سقطرى جزيرة السكينة ص٣٨ وسارجنت في نفس الكتاب ص١٤٢ .

سقطرى عند السالمي : وقد سبق أن نقلنا ما ذكره **السالمي المؤرخ العماني** (نقلاً عن سارجنت وأحمد العبيدلي) عن حكم الأئمة الأباضية من عمان لسقطرى ونكث بعض النصارى العهد وقتلهم الوالي وبعض النساء والأطفال ، واستنجاد زهراء السقطرية بالإمام الصلت ، وكيف أسرع بالاستجابة وتأديب الناكثين وإعادتهم إلى جادة السبيل ، مع الإحسان والعدل مع الذين لم ينكثوا العهد من نصارى سقطرى (لم نستطع العثور على نص ما كتبه بالعربية ولكنا وجدنا نقولاً عنه فقط) .

سقطرى وابن ماجد : وقد وصف شهاب الدين أحمد بن ماجد ابن محمد بن معلق السعدي (النجدي الأصل العماني ، أسد البحر وعلاّمته الذي دلَّ فاسكو دي جاما البرتغالي في رحلته البحرية للوصول إلى الهند فأخذه من جزيرة القمر الكبرى والتي يقال لها اليوم مدغشقر ، إلى كلكتا في الهند سنة ١٤٩٨م ، وصاحب المؤلفات البحرية والقصائد والأراجيز في علم البحار ومخترع الإبرة المغناطيسية) ، وصف سقطرى فقال (نقلاً عن فينالي نومكين ، وسارجنت)[١] :

«الجزيرة العاشرة : (في المحيط الهندي) هي سقطرى : جزيرة مسكونة شبه مستديرة (الواقع أنها شبه مستطيلة) طولها خمسون فرسخاً أو أكثر وعرضها قريباً من ذلك[٢] ، وتأتيها المياه من كل مكان .

---

(١) فيتالي نومكين : سقطرى جزيرة العنقاء ص٣٤ ـ ٣٧ وسارجنت في المرجع السابق ص١٤٤ .

(٢) الفرسخ أربعة أميال . والواقع أن أقصى طول لسقطرى هو ٧٥ ميلاً أي نصف تقدير ابن ماجد أما عرضها فلا يزيد عن ٢٢ ميلاً .

«وتقع الجزيرة شرق الساحل الصومالي . وسكانها خليط من النصارى وغيرهم . ويقال إنهم من بقايا اليونان ، وقد ذكر ذلك عمر بن شاهنشاه بن أيوب صاحب كتاب «تقويم البلدان» .

«وسكانها كثيرون يبلغون عشرين ألفاً . . وقد استولى على هذه الجزيرة كثيرون ، ولكنها لم تكن خالصة لأحد سوى سكانها الأصليين . وفي زماننا هذا فإنها تحت حكم محمد بن علي بن عمرو بن عفرار ، وابن عبد النبي سليماني الحميري (وكلاهما من شيوخ المهرة) ، وقد قاما ببناء دفاعات واستحكامات قوية يصعب اختراقها . وقد فرضا على السكان أن يقدم كل رجل زنة موند (أقل من كيلو جرام) من الزبدة مرة في العام للسلطان . وعلى كل امرأة أن تقدم شملة (تشتهر سقطرى بسجاد من الصوف يدعى شملة) مرة كل سنة .

«وفي زمن العباسيين كانت سقطرى تحكم من قبل رجل من غير العرب ، فعمد الأهالي إلى التخلص منه ومن جنوده ، وذلك عندما سقوهم خمراً ، فلما سكروا قاموا بقتلهم جميعاً . وفي زمننا هذا أيضاً قاموا بقتل أحمد بن محمد بن عفرار الذي حكم سقطرى بعد وفاة والده ، فقام أعمامه وأفراد قبيلته من المهرة بالهجوم على سقطرى والانتقام من القتلة . وعيّن آل عفرار (حكام المهرة وسقطرى) ، عبد النبي السليماني الحميري حاكماً على سقطرى .

«وأهالي سقطرى كرام يستضيفون الأغراب ويكرمونهم بما عندهم من الأكل واللبن والتمر والماء ، بل والثياب . وتقوم نساؤهم بإكرام الضيف وتقديم الطعام . . وكانت أمور الأهالي تعود إلى

امرأة منهم ، ولكن ضعف أمرها في زمننا هذا ، بينما يقوم بإجراء عقود الزواج قسس منهم في كنائسهم .

«وقد استولى المهريون على سقطرى لكي تكون لهم ملجأ عندما يشتد عليهم خصومهم من حكام حضرموت وظفار . وقد سألني محمد بن علي بن عمرو بن عفرار (قبل أن يحكم سقطرى) ماذا يجب عليه أن يفعل تجاه هذه الجزيرة ، ولكنني تجاهلت هذا السؤال . . وعندما أصبح حاكماً للمهرة أنفق أمواله واستولى على سقطرى . وعندما مات بقي كثير من أفراد عشيرته في سقطرى . . واستطاعوا أن يستقلّوا بأمور الجزيرة حتى بعد أن سقطت قشن (عاصمة المهرة) بيد حكام الشحر ، بل واستطاعوا بعد فترة من الزمن أن يعيدوا دولتهم في المهرة ، وأن يستولوا على الشحر ذاتها ، بعد أن حاصروها لمدة ثلاثة أشهر حتى أصابتهم المجاعة . وقد سمح المهرة لحاكم الشحر بدر بن محمد الكثيري أن يغادر المدينة إلى حضرموت (الداخل) وذلك سنة ٨٩٤هـ/ ١٤٨٩م» .

«في هذه الفترة كانت سقطرى تتبع المهرة ويحكمها بنو سليمان وبنو عفرار من قبيلة بني زياد المهرية» .

ويقول سارجنت إن اسم الظهر يطلق عند البحارة العرب في الخليج وجنوب الجزيرة العربية على الساحل الذي يتلقى الرياح واسم البطن على الساحل الآخر الأقل تعرضاً للرياح . ففي الخليج وعمان يطلق الظهر على المناطق الشمالية (لأنها تتعرض للرياح) أما في سقطرى فيطلق لفظ الظهر على السواحل الجنوبية لأنها هي التي تعاني بشدة من الرياح . وقد ذكر ابن ماجد أنه أبحر في ظهر سقطرى يقصد سواحل سقطرى الجنوبية . . ويقول إن الكرامية

التجار بين الهند ومصر قد لا يستطعيون معرفة جبال سقطرى من جبال الشحر فيرمي البحارة الحبال المثقلة بالرصاص في البحر فإذا أخرجت نظيفة فإنها سقطرى وإذا كانت ملوثة فإنها الشحر .

سقطرى وسليمان المهري : وقد وصف البحار العربي سليمان المهري عام ٩١٧هـ/ ١٥١١م رأس شعاب (في الغرب) ورأس مامي (رأس مومي في الشرق) كما وصف بندر السوق الهام آنذاك (في الشرق) وبندر قلنسية في الغرب . كما وصف البحار الكويتي وصاحب السفن (السنابيق : جمع سنبوق) عيسى الكتامي بعض المناطق الشمالية من سقطرى ، ولكنه أخطأ في تسمية بعض الأماكن حيث سمى رأس مومي ، رأس مؤمن (لعل الإسم الصحيح هو رأس مؤمن ولكن الأهالي حرفوه واختصروه إلى رأس مومي) ، وبندر كام سمّاه بندر ناكام . وقد وصف بدقّة قلنسية وبادوه (Ba-doh) ورأس شعاب . . ووصف الجزائر الأخرى التابعة لسقطرى والواقعة إلى الغرب منها وسمّاها الصابونيات وهي درسة وسمحة وقارقير فرعون (القرقور هو القارب والجمع قراقير) .

ويقول سارجنت أيضاً أن البحار الباطاي؟ Ba Tayi أطلق على هذه الجزيرة الأخيرة اسم كعال فرعون (أي خصيتي فرعون !!) ، وذلك في قصيدة له نظمها سنة ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م .

وقد ذكر العديد من الكتّاب والرّحالة العرب مدينة السوق وأن السفن ترسو فيها وتنمو فيها أشجار النخيل بكثافة واستمرت السوق هي العاصمة فترة طويلة إلى زمن الغزو البرتغالي عام ٩١٢هـ/ ١٥٠٧م ثم تحولت بعد ذلك العاصمة إلى حديبو (تمردة أو مدينة التمر) .

ومع مرور الزمن ضعفت مكانة سقطرى التي كانت لها في الأزمنة الغابرة في عهد الفراعنة والهنود واليونان والرومان . وذلك بسبب فقدان الأهمية لتجارة البخور واللبان والمر ومع ذلك بقيت تجارة الصبر مستمرة من سقطرى طوال ما يسمى القرون الوسطى . وقد أكدت المصادر الطبية الإسلامية ابتداء من أبي بكر الرازي في كتابيه «الحاوي في الطب» (وهو دائرة معارف طبية وفارماكولوجية) والمنصوري ، وابن سينا في كتابه القانون والبيروني في كتابه الصيدنة ، وابن البيطار في كتابه «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية» والملك الغساني الرسولي في كتابه «الأدوية المفردة» والدينوري في كتابه «النبات» وعشرات المصادر الأخرى أهمية الصبر وفوائده وأن أحسن أنواعه السقطري .

وقد ظلت تجارة الصبر مستمرة وإن كانت بدأت تفقد قيمتها تدريجياً . ويقول سارجنت إنه رأى في قائمة الواردات إلى مرسيلية في فرنسا وفلورنسا (إيطاليا) عام ١٢٢٧ وعام ١٣١٠ على التوالي إسم الصبر السقطري وشجرة دم الأخوين . كما وجد في قائمة واردات راجوزا Ragusa (لعلها سرقسطة في إسبانيا) إسم الصبر السقطري المستورد عام ١٤٥٨م[1] . واستمرت تجارة الصبر إلى أوربا إلى القرن السادس عشر وبداية السابع عشر ثم كادت تحتضر . واستغنت أوربا وغيرها عن الصبر السقطري منذ أواسط القرن السابع عشر ، ومع هذا ظل الصبر السقطري يصدر إلى شرق

(١) سارجنت : «سكان سواحل سقطرى» فصل في كتاب برين دو : سقطرى جزيرة السكينة ص١٣٥ .

إفريقيا والبلاد العربية وغيرها ويذكر ولستد أنه تم تصدير ٨٣ قربة من الصبر (طنين) عام ١٨٣٣[١] .

(١) ملحق مذكرات ويلستد في كتاب برين دو : سقطرى جزيرة السكينة ص٥٠

الفصل الرابع

غزو البرتغاليين لسقطرى وسواحل جنوب الجزيرة العربية

ظهرت البرتغال وأسبانيا كأعظم قوتين بحريتين في العالم منذ أواخر القرن الخامس عشر الميلادي وطوال القرن السادس عشر . وتحققت على أيدي رجال هاتين الدولتين إقامة إمبراطوريتين ضخمتين كما تحققت اكتشافات بحرية هامة . فقد قام بارثليميو دياس البرتغالي عام ١٤٨٨م بالإبحار حول رأس الرجاء الصالح إلى المحيط الهندي ، وتبعه فاسكو دي جاما الذي خرج من لشبونة في البرتغال عام ١٤٩٧ ليدور حول رأس الرجاء الصالح . . وبمساعدة أمير البحر العربي شهاب الدين أحمد بن ماجد بن محمد بن معلق السعدي[1] الذي أرشده من جزيرة القمر الكبرى

(١) أحمد بن ماجد السعدي (وفاته بعد ٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م) أمير البحر وأعظم بحارة العرب في القرون الوسطى . من أهل نجد ، توطن عمان وقاد أسطولها البحري . . ويعتبر من كبار ربابنة البحر العرب جال في البحر الأحمر (بحر القلزم) وخليج البربر (الصومال) والخليج العربي والمحيط الهندي وعرف سواحله ووصل إلى خليج البنغال في شرق الهند (البنغال مقسمة اليوم بين الهند وبنجلادش) ، ووصل إلى بحر الصين . . وهو في الواقع الذي دل فاسكو دي جاما إلى الهند من ماليندي . والفضل يعود له . وعلى أية حال فإن طريق الهند البحري معروف منذ أقدم الأزمنة للعرب . إلا أن الغربيين كعادتهم لا=

(المقصود جزيرة مدغشقر) وصل فاسكو دي جاما إلى ماليندي[1] ومنها إلى ميناء كلكتا في الهند . وقد أعجب القائد البرتغالي بابن ماجد وما أبداه من مهارة ومقدرة وعلم بحري . . وذكر كتاب المعرفة (البحار والمحيطات)[2] أن ابن ماجد قابل البحار البرتغالي كوفيلهام في سقطرى وذلك عام ١٤٨٦م عندما اضطرته الرياح أن يلجأ إليها في أثناء رحلة بحرية كان يريد أن يقوم بها إلى الهند . . وعرف كوفيلهام تفاصيل كثيرة عن ساحل إفريقيا الشرقي وجزيرة القمر الكبيرة (جزيرة مدغشقر) . . والطريق البحري إلى الهند .

وعندما عاد كوفيلهام إلى وطنه أقنع ملك البرتغال بإرسال بعثة بحرية للطواف حول إفريقيا والوصول إلى جزيرة القمر الكبيرة

= يعترفون لأحد بفضل ويعتبرون فاسكو دي جاما مكتشف طريق الهند . . والواقع أن التجارة البحرية كانت منذ أقدم العصور عامرة بين الهند وجنوب الجزيرة العربية وسواحل إفريقيا .
وقد ذكر برتن الانكليزي أن بحارة عدن سنة ١٨٥٤ كانوا إذا أرادوا السفر قرأوا الفاتحة للشيخ ماجد مخترع الإبرة المغناطيسية .
ولابن ماجد العديد من المؤلفات في علم البحار منها «الفوائد في أصول علم البحر والقواعد» و«العمدة البحرية في ضبط العلوم البحرية» ، و«المنهاج الفاخر في علم البحر الزاخر» والقصيدة المسماة «المهرية» ، و«الأرجوزة السبعية» ، و«أرجوزة بر العرب في خليج فارس» ، و«المراسي على ساحل الهند الغربية» وختم كتابه «الفوائد» سنة ٨٩٥هـ/ . (انظر الأعلام للزركلي ج١/ ٢٠٠ الطبعة الخامسة ١٩٨٠ ، وكتاب الملاح العربي لمحمد ياسين الحموي وكتاب المعرفة : البحار والمحيطات ص٦٩) .

(١) ماليندي ميناء على سواحل شرق افريقيا يقع الآن في كينيا . وقد ذكر فيتالي نومكين المستشرق الروسي في كتابه عن سقطرى والدكتور برين دو في كتابه عن سقطرى أيضاً أنها في الصومال . . وربما كان الأمر كذلك في القرن الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين . أما اليوم فهي في كينيا .

(٢) كتاب المعرفة : المحيطات والبحار ص٦٩ .

ومنها إلى الهند . وعلى أثر ذلك أرسل بارثليميو دياس عام ١٤٨٨ ثم فاسكو دي جاما عام ١٤٩٧م .

وقررت البرتغال الاستيلاء على بعض سواحل شرق إفريقيا وجنوب الجزيرة العربية وذلك للتمهيد للوثوب على الهند ، واستيلائها على سواحلها ، وإقامة مستعمرات فيها ، واستغرقت القرن السادس عشر بأكمله في محاولاتها البحرية تلك .

ومنذ بداية القرن السادس عشر بدأت البرتغال غزواتها البحرية ، ففي عام ١٥٠٢ غادر فاسكو دي جاما لشبونة (البرتغال) مرة أخرى مصحوباً بعشرين سفينة بحرية لينطلق إلى الهند مؤسساً مجموعة من القلاع والموانئ تحت السيطرة البحرية البرتغالية على طول ساحل مليبار ، وناهباً ثروات هائلة من سكان تلك المدن ، وناشراً الخراب والدمار للمدن الهندية ، ثم عاد إلى لشبونة محمّلاً بالغنائم الضخمة[١] .

مهاجمة عدن :

وفي عام ١٥٠٣م (٩٠٨هـ) هاجم البرتغاليون ثغر عدن لأول مرة . يقول السيد صالح الحامد في كتابه تاريخ حضرموت[٢] :

«وفي عهد السلطان عامر بن عبد الوهاب (الطاهري الذي ينتسب إلى الخليفة العادل الراشد عمر بن عبد العزيز) كان التنافس

---

(١) فيتالي نومكين : جزيرة العنقاء (سقطرى) Vitaly Naumkin: The Island of Phoenix, Ithaca Press, Reading, U.K. 1993 P.34 - 37

(٢) السيد صالح الحامد : تاريخ حضرموت ، مكتبة الإرشاد ، جدة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م ج٢/ ٥٧٥ .

بين دول أوربا ، بعد افتتاح طريق رأس الرجاء الصالح ، قد بلغ أشده . وكان البرتغاليون هم المجلّون في حلبة هذا السباق . .

«ولما كانت عدن ثغراً مهماً من الناحية العسكرية لموقعها الجغرافي بين البحر الأحمر والمحيط الهندي ، ومع ما كان لها (وتشاركها المخا آنذاك) من أهمية تجارية فقد اتجهت أنظار البرتغاليين إليها وإلى جاراتها الأخرى من موانئ اليمن . ففي سنة ٩٠٨هـ/١٥٠٣م أرسل البرتغاليون (سفنهم الحربية) من ناحية الهند فأغارت على شواطئ جزيرة العرب (وهاجموا عدن) ، ونهبوا في غارتهم هذه سبعة مراكب وقتلوا أهلها . وتكرر منهم هذا الصنع بعد ذلك ، الأمر الذي أثار ثائرة الجراكسة (المماليك الذين كانوا يحكمون مصر) فجرّدوا حملة بحرية لمطاردتهم مؤلفة من عدة سفن فمرّت بعدن ورست بقربها . وكان والي عدن من قبل الظافر عامر (بن عبد الوهاب الطاهري) (مولاه) الأمير مرجان الظافري . وبعد ذلك توجهوا لمطاردة البرتغال نحو الهند» .

وفي عام ١٥٠٥م غادر الأسطول البرتغالي لشبونة بقيادة فرانسسكو دي أليدا ليهاجم سواحل شرق إفريقيا ، وقد أدّى تلك المهمة بنجاح[1] .

مهاجمة سقطرى سنة ١٥٠٧ :

وتنامى إلى سمع ملك البرتغال دوم عمانويل الأول وصف جزيرة سقطرى عندما اضطر الكابتن ديجو فرناندز بريرا أن يقضي

(١) فيتالي نومكين : جزيرة العنقاء (سقطرى) مصدر سابق ص٣٧ ، ٢,٣٨ .

شتاء عام ١٥٠٣م في سقطرى[١] بسبب سوء الأحوال الجوية التي منعته من الذهاب إلى الهند ، فأعجبته سقطرى ووصف للملك مرافيها الجيدة ووجود الماء العذب فيها ووفرة الغذاء والمراعي . . وأهم من ذلك كله ـ حسب وصفه ـ أن أغلب سكانها نصارى ، ويجب تخليصهم من حكامهم المسلمين (المورو) وبما أن «المورو» هم أعدى أعداء النصرانية عامة والبرتغال بصورة خاصة فيجب محاربتهم أينما كانوا !! وخاصة أن تجارتهم وسفنهم ترسو في سقطرى ، ولذا يصبح احتلال سقطرى هدفاً استراتيجياً ، وعملاً يرضي الرب وينقذ سكانها النصارى من براثن هؤلاء المسلمين المورو !![٢] .

لهذا كله أصدر الملك أمره إلى قواده الكبار تريستاو دي كونها والفونصو دي البوكيرك باحتلال جزيرة سقطرى وبناء قلعة فيها ، كما نظّم الملك إرسال الرهبان الفرنسسكان ليبنوا الكنائس ، وليعيدوا السكان إلى النصرانية الحقّة أي الكاثوليكية (لأن سكان سقطرى من المنوفيست الموحدين أي القائلين بالطبيعة الواحدة للسيد المسيح . . وهم يتبعون الكنيسة الشرقية ، وكانوا يتبعون من قديم النساطرة في العراق) .

وانطلق دي كونها والبوكيرك من لشبونة في ١٥ أبريل ١٥٠٦م (٩١١هـ) في عشرين سفينة ووصلوا إلى ماليندي (على ساحل شرق إفريقيا ، وهي في كينيا اليوم) . وكان الجو غير ملائم للإبحار

---

(١) المصدر السابق . بينما ذكر برين دو في كتابه سقطرى جزيرة السكينة أن ذلك حدث عام ١٥٠٥م .

(٢) فيتالي نومكين ص٣٤ ـ ٥١ .

منها إلى سقطرى بسبب الرياح فمكثوا فيها إلى يناير ١٥٠٧ (٩١٢هـ) عندما انطلقوا صوب سقطرى حتى وصلوا إلى مدينة السوق (في الشمال الشرقي من ساحل سقطرى) . . وهناك أطلقوا مدافعهم في الهواء . تحيّة للسكان النصارى الذين توقعوا أن يرحّبوا بهم ، ولكنهم فوجئوا بوجود قلعة وحامية مكونة من ١٣٠ رجلاً من المهرة يقودهم الحاج إبراهيم بن سلطان قشن (عاصمة المهرة آنذاك) .

وقد ذكر صاحب الحوليات والمؤرخ البرتغالي دي باروس de Barros الذي صاحب الحملة على سقطرى عام ١٥٠٧م أن سلطان قشن من بني عفرار (بن عفرير) من قبيلة بني زياد المهرية كان يحكم سقطرى وذلك منذ عام ١٤٨١م[١] .

المقاومة البطولية ضد البرتغاليين : وصل الأسطول البرتغالي إلى مدينة السوق (عاصمة سقطرى وميناءها آنذاك) في أبريل ١٥٠٧ ورفض الحاج إبراهيم بن عفرير المهري حاكم سقطرى الاستسلام لتهديد البوكيرك ولا لإغرائه بالمال ، ورفض التنازل عن سقطرى بأي ثمن كان . وقام البوكيرك ودي كونها بقذف مدينة السوق وقلعتها بالمدافع من البحر ولكن ذلك لم يجد فتيلاً ، ونزل الحاج إبراهيم ومعه عدد من رجاله من القلعة عندما شاهد البرتغاليين يحاولون إنزال قواتهم على الشاطئ ، وقام ببناء حاجز رملي أثناء الليل .

وقام البوكيرك بإصدار أمره إلى ابن أخته دون الفونصو دي

---

(١) المصدر السابق وبرين دو Brain Doe : سقطرى جزيرة السكينة Socotra: Island of Tranquility, IMMEL Publishing Ltd, London 1992 P21 - 24.

نورنها Alfonso de Noronha بإنزال قارب كبير مع أربعين فارساً ومدفع صغير مع عدّته من القاذفات ، وسلالم ، ورافعة لاقتحام القلعة . . وفي الوقت نفسه استمر دي كونها da Cunha بضرب القلعة بالمدافع من البحر .

وقرر السلطان الحاج إبراهيم أن يقف للفونصو دي نورنها في عشرين من رجاله وأمر الباقين بسرعة العودة إلى القلعة لحمايتها . ولم يكن مع السلطان ورجاله سوى سيوفهم المقعوفة Cutlasses ورماحهم القصيرة . . واشتجر القتال بين الفريقين غير المتكافئيين عدداً وعدة . . وأبدى السلطان ورجاله بسالة نادرة جعلت البرتغاليين أنفسهم يعجبون بشجاعته وبطولته حتى قال عنه المؤرخ البرتغالي بريرا دا كوستا الذي صحب الحملة : «لقد كان السلطان إبراهيم) رجلاً شجاعاً لا يهاب الموت . وكان رجاله مسلحين بالسيوف والرماح والقسيّ والسهام . وقد حاول البرتغاليون التفاهم معه والنزول إلى الميناء وعرضوا عليه الأموال في مقابل أن يتخلى عن القلعة ولكنه رفض ذلك بإباء وشمم .

«وبدأ جنودنا (البرتغاليون) يستعدون للهجوم على هذه الحامية الصغيرة واستطاع الفونصو البوكيرك في رحلة استكشافية أن يتعرف على جون (خليج صغير) بعيد عن أنظار الحامية فأمر ابن أخيه الفونصو دي نورنها بأن يجهز مركباً (قارباً) بأربعين فارس ببنادقهم مع مدفع صغير مع عدّته وقنابله ، واثنين من المدفعجية (الطوبجية) ، ورافعة وسلالم . . إلخ وتتبعه مجموعة من القوارب محمّلة بالجنود المدججين بالسلاح . . وبالفعل وصلت القوات إلى الساحل ، وفي تلك الأثناء هدأ البحر وأمكن للسفن الكبيرة أن تقترب من القلعة وتدكّها من البحر بالمدافع .

«وقام الحاج السلطان إبراهيم بالنزول من القلعة مع مجموعة من رجاله إلى الساحل لمنع البرتغاليين من التقدم . وأبدى الحاج إبراهيم ضروباً من الشجاعة والبطولة مع رجاله القليلين . . وبدأت المعركة بالسيوف والحراب وجُرح العديدون من الجانبين ، وفي مبارزة بين الفونصو دي نورنها والحاج إبراهيم كاد الفونصو أن يهلك لولا نجدة البوكيرك ورجاله الذين حملوا على البطل الحاج إبراهيم فقتلوه ، ومع هذا فإن دي نورنها أصيب بجروح طفيفة»[1] .

وعندما رأى رجال الحاج إبراهيم مصرع قائدهم أسرعوا بالتراجع إلى القلعة والقوات البرتغالية تطاردهم ، ولم يمكّنوهم من دخول القلعة بل اضطروهم للفرار إلى الجبال . . ولكن الرجال القليلين الموجودين في برج المراقبة صمدوا صمود الأبطال المغاوير ، ورموا البرتغاليين بالحجارة حتى أنهم أصابوا البوكيرك نفسه إصابة بالغة في رأسه إلا أنه لم يفقد الوعي ،وبقي يصدر أوامره بعد أن أبعد رجاله من مرمى البرج .

وحاول البرتغاليون أن يحتالوا على المقاومين ووعدوهم بالأمان مقابل استسلامهم ، ولكن هؤلاء رفضوا الاستسلام واستمروا في رمي السهام والحجارة . ولم تجد قوات البوكيرك بداً من دك الحصن بدبابات الحصون والمنجنيق والمدافع . . واستعرّ القتال والتلاحم بالأيدي من شبر إلى شبر حتى أن دي نورنها كاد يقتل مرة أخرى عل يد أحد هؤلاء الأبطال المغاوير .

---

(١) وصف المعركة بأكملها وغزو سقطرى نقلناه عن كتاب فيتالي نومكين السابق ذكره ص٣٤ ـ ٥١ وكتاب برين دو (المذكور سابقاً) ص٢١ ـ ٢٤ وهما نقلاه من المصادر البرتغالية والأوربية العديدة .

وبعد ست ساعات من القتال المتواصل استطاع البرتغاليون بمدافعهم وبنادقهم ودباباتهم (دبابة الحصون من النوع القديم وليست من نوع الدبابات الحديثة) أن يستولوا على القلعة . وكانت نتيجة المعركة استشهاد البطل الحاج إبراهيم بن عفرير (سلطان الجزيرة) مع خمسين من رجاله (وفي رواية ثمانين) . و أسر رجل واحد فقط وتراجع الباقون إلى الجبال لإذكاء روح المقاومة بين سكان سقطرى ضد المحتلين الغاصبين . . وكان الأسير «عمر» رُبّاناً ماهراً استفاد البوكيرك من معلوماته البحرية ومعرفته المواقع الهامة على طول ساحل جنوب الجزيرة العربية والخليج (العربي) . وقُتل من البرتغاليين سبعة وجُرح منهم خمسون رجلاً ، كانت جروح بعضهم بليغة . وكان من ضمن الجرحى البوكيرك قائد الحملة وابن أخته دي نورنها .

البرتغاليون يحولون مسجد السوق إلى كنيسة :

وفي اليوم التالي قام البرتغاليون المتعصبون بتحويل مسجد السوق إلى كنيسة وسموها كنيسة سيدتنا سيدة النصر «Our Lady of the Victory» وأقاموا قُدّاساً فيها ترأسَهُ الراهب الفرنسسكاني أنتونيو دي لوريرو Antiono de Loureiro . واستغرقت هذه المعركة نهاية أبريل وأوائل مايو لعام ١٥٠٧م (٩١٢هـ) . . وحاول البرتغاليون أن يسترضوا بدو سقطرى النصارى وأنهم من نفس دينهم وعقيدتهم ، ولذا لا بد أن يتعاونوا مع البرتغاليين ضد المسلمين العرب (المورو) وأن يطهّروا هذه الجزيرة من الدين المحمدي ويطردوا أو يقتلوا أيّ عربي مسلم . ولكن نصارى سقطرى رفضوا ذلك كله ووقفوا مع أبناء عمومتهم من المهرة المسلمين الذين لم

يروا منهم إلا كل سماحة وحسن معاملة . . وهكذا ترى الأوربيين عموماً ، والبرتغاليين والأسبان خصوصاً ، يختلفون عن نصارى المشرق الذين عاشوا في كنف الإسلام في يسر وسماحة وحرية كاملة وحقوق غير منقوصة ، فقد كانوا على مدى التاريخ الإسلامي يعيشون في بحبوحة وأمن وأمان ـ ولا سيما أن الرسول الكريم قد أوصى بهم خيراً حتى وهو على فراش الموت (وصيته ﷺ بالنساء وأهل الذمّة) .

لذا كان معظم أطباء الخلفاء والوزراء والسلاطين من أهل الكتاب ، أهل الذمة على مدى التاريخ الإسلامي ابتداء من معاوية بن أبي سفيان إلى الناصر صلاح الدين الأيوبي ومن جاء بعده إلى الدولة العثمانية . . بل وصل الأمر بالمسلمين إلى حدّ البلاهة حيث ولوا النصارى واليهود والصابئة الوزارة (والوزير آنذاك بمثابة رئيس الوزراء اليوم) وتولّوا تلك المناصب في الدولة العباسية في المشرق والدولة الأموية في الأندلس وعند ملوك الطوائف وفي الدولة الفاطمية وفي غيرها من الحكومات الإسلامية المختلفة .

والأمر جد مختلف عند نصارى أوربا فليس للمسلمين إلا السيف أو التنصير أو الطرد من البلاد . . و الأمر على ذلك إلى اليوم كما شاهدناه في البوسنة والهرسك وفي الشاشان وفي القوقاس . . وفي فرنسا التي يسمونها بلاد النور ويسمون عاصمتها باريس عاصمة النور!! وما هو إلا ظلام الكفر وتعصب النصارى المقيت الذي تظهر سخائمه في إعلامه القذر الفاجر .

وفي شهر أغسطس من سنة ١٥٠٧ توجّه دي كونها حسب أوامر ملك البرتغال ببعض سفنه إلى الهند بينما توجه البوكيرك إلى

عمان وهرمز ، تاركين وراءهم حامية مكونة من مائة جندي تحت قيادة دي نورنها . . وفي رواية أخرى أن البوكيرك توجه إلى عدن وجدة لاحتلالهما .

ولسوء حظ البرتغاليين فإن نصارى سقطرى كانوا متعاونين جداً مع أبناء عمومتهم من المسلمين المهرة . . وسرعان ما اتضحت حركاتهم العدوانية ضد البرتغاليين حيث منعوا عنهم الماء والغذاء إلا بكميات ضئيلة .

وعندما عاد البوكيرك بعد ثمانية أشهر عام ١٥٠٨م/ ٩١٣هـ إلى سقطرى وجد الحامية في حالة يرثى لها فغضب غضباً شديداً ، وقام بقتل عدد كبير من أبناء سقطرى من المسلمين والنصارى رجالاً ونساءً وأطفالاً (كما هو معتاد منهم) . . وفرض على الأهالي أن يزودوا الحامية كل سنة بـ٦٠٠ رأس من الغنم و٢٠ بقرة و٤٠ وقراً من التمر . ثم غادر سقطرى ليصبح مندوب ملك البرتغال في الهند وذلك عام ١٥١٠/ ٩١٦هـ . وكانت تلك آخر زيارة له لسقطرى .

وقد ذكر المؤرخ الحضرمي وصاحب الحوليات السيد أحمد بن عبدالله بن علوي المعروف بشنبل (من نسل السيد علي بن الفقيه المقدم محمد بن علي آل باعلوي)[1] في أحداث عام ٩١٦هـ/

(١) السيد أحمد بن عبد الله بن علوي المعروف بشنبل وهو من نسل السيد علي بن الفقيه المقدم محمد بن علي آل باعلوي . وفاته سنة ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م . له «التاريخ» في تاريخ حضرموت من سنة ٥٠١ إلى ٩٢٠ هجرية أي سنة وفاته . وقد قام بطبعه مؤخراً السيد عبدالله الحبشي في صنعاء . وللسيد شنبل «رسائل» مجموعة . ويعتبر كتابه التاريخ من المراجع الهامة في تاريخ حضرموت وما حولها .

١٥١٠م أن خميس وعمرو ابني الشهيد الحاج السلطان إبراهيم بن عفرير الزايدي الطوارئي المهري ، قاما بحملة انتقامية شنّوها من القشن (عاصمة المهرة آنذاك) ضد الفرنجة البرتغاليين الذين كانوا لا يزالون في جزيرة سقطرى فدخلوها واقتتلوا مع الفرنجة الكفار الذين قتل منهم عشرة وهزموا فانكفأوا وغنم المسلمون منهم مغنماً .

وبدأ البرتغاليون يتضايقون من بقائهم في سقطرى حيث يواجهون العداء من الأهالي مسلمين ونصارى . . . وتبين لهم أن هناك مرافئ أفضل وأحسن من سقطرى على طول ساحل جنوب الجزيرة العربية مثل عدن والشحر والمكلا . . وعرف البرتغاليون أنهم كانوا واهمين عندما تخيّلوا أن نصارى سقطرى يؤيدونهم كما كتب ذلك صاحب الحوليات المؤرخ البرتغالي نيقولا دي ريبلو حيث زعم أن كل النساء يدعين ماريا ، وكل الرجال توم (توماس) ، وأن البدو النصارى من أهل سقطرى كانوا ودودين مع البرتغاليين . . وأن سكان غرب سقطرى أصبحوا يتحدثون البرتغالية لفرط محبتهم للبرتغال .

واتضحت الحقيقة رويداً رويداً . وتبيّن للبرتغاليين أن سكان سقطرى من النصارى يعادونهم حتى قال كاستنهيدا Castanheda : «إن نصارى سقطرى يفضلّون المورو المسلمين على إخوانهم النصارى البرتغاليين ، ويتآمرون معهم ضدنا[1] . ووصف دي جواز De Gois كيف أن سكان سقطرى النصارى ثاروا ضد البرتغاليين وتآمروا ضدهم مع أبناء عمومتهم من المسلمين . وقد منعوا عنهم

(١) فيتالي نومكين : جزيرة العنقاء . . دراسة لسكان سقطرى مطبعة إثاكا ، ريدنج ، بريطانيا ١٩٩٣ ص٣٧ ـ ٥١ وبرين دو : سقطرى جزيرة السكينة ص٢١ ـ ٢٤ .

المؤونة . . وفي خلال فترة وجيزة مات عدد من البرتغاليين في قلعتهم بسبب الاغتيالات والجوع والمرض ، حتى أن حاكم سقطرى الجديد فيريرا Ferreria الذي وصل إليها في نوفمبر ١٥٠٩م مات في أغسطس ١٥١٠م .

وكثرت التقارير لدى ملك البرتغال تنصحه بأن يتخلى عن هذه الجزيرة المشاكسة والمرهقة . لذا أمر الملك قائده في الهند البوكيرك بأن يسحب الحامية البرتغالية الموجودة في سقطرى . وبالفعل أرسل البوكيرك سفينتين حربيتين كبيرتين عام ١٥١١م (٩١٧هـ) وسحب الحامية ودك القلعة والمسجد وأخذ معه كل ما يمكن أخذه حتى رداء الكاهن وأدوات الطبخ .

وبخروج البرتغاليين عادت الجزيرة إلى حكم بني عفرار (عفرير) من المهرة واستمروا على ذلك إلى نوفمبر عام ١٩٦٧ عندما سلّمت بريطانيا كل مناطق الجنوب إلى الجبهة القومية التي كان يسيطر عليها الشيوعيون ـ ونصحت بريطانيا كل حكام الجنوب من السلاطين والمشايخ بأن يرحلوا وتخلّت عنهم بكل صفاقة ، واضطر آخر سلاطين المهرة أحمد بن عبدالله بن عيسى بن أحمد بن سعد بن عفرار وأخوته وحاشيته أن يغادروا المهرة وسقطرى إلى الأبد .

وذكر بعض المؤرخين من البرتغاليين ، كما ينقله فيتالي نومكين في كتابه عن سقطرى أن البوكيرك حاول عام ١٥١٣م/ (٩١٩هـ) أن يحتل عدن ، ولكنه واجه مقاومة شرسة وفشل في ذلك فمرّ في طريق عودته إلى الهند بجريزة سقطرى ووجد خمسين رجلاً من المهرة يعيدون بناء القلعة التي هدمها رجاله من قبل سنة ١٥١١ عند انسحابهم منها ، فهجم عليهم وقتل منهم رجالاً . ولكنه

انسحب من الجزيرة خوفاً من المشاكل الكثيرة التي قد جرّبها مع سقطرى وسكانها .

وفي العام التالي أي عام ١٥١٤م حضر بيرو دي البوكيرك (وهو غير الفونصو دي البوكيرك القائد المشهور) إلى سقطرى ليتموّن بالمياه لسفنه ، ودفع الثمن لسلطان سقطرى . . وفي عام ١٥١٧ وصل إلى سقطرى أسطول ضخم من البرتغاليين مكوناً من ٤٣ سفينة بقيادة سوارس Soares وتمونوا بالمياه . . ولم يمانع سكان سقطرى ولا سلطانها من دخول السفن البرتغالية للتموين فقط مع دفع الثمن . . وتكرر ذلك عدة مرات ، وجاءت السفن البرتغالية للتموين عام ١٥١٨ وعام ١٥٢٣ وعام ١٥٢٧ .

ولما تأكّد لأهل سقطرى وحكامها من بني عفرار أن البرتغاليين قد تخلّوا عن فكرة الاستيلاء على سقطرى ، وأن سفنهم تأتي فقط للتزود بالمياه فإن سلطان قشن (المهرة) وابن عمه في سقطرى كانوا يبدون الصداقة للسفن البرتغالية . . وأظهروا بوضوح أنهم يفضلون البرتغاليين الذين تخلوا تماماً عن احتلال سقطرى على الأوربيين الآخرين وخاصة منافسيهم من الروميين (الواقع اليونانيين) الذين لهم أطماع في سقطرى . ذكر ذلك فيتالى نومكين في كتابه عن سقطرى نقلاً عن خطاب الفونصو دي ميلو Alfonso de Melo إلى ملك البرتغال جاو الثاني Joao II عام ١٥٢٧ .

وفي عام ١٥٤١م زار الأدميرال جوا دي كاسترو سقطرى ، وزار مدينة السوق في الشرق ، وقلنسية في الغرب ، وكتب في مذكراته أن السقطريين يحترمون الإنجيل وأنهم قد تنصروا منذ زمن قديم جداً بواسطة القديس توماس عندما تحطمت سفينته بالقرب من سقطرى

في طريقه إلى الهند فنزل إلى سقطرى وبنى بها كنيسة من أخشاب سفينته المحطمة . وذكر دي كاسترو «أن السكان المحليين قد طال بهم العهد حتى جهلوا الديانة المسيحية رغم وجود عدد من الكنائس عليها الصلبان ، وهم يرغبون في تعلم دينهم وآدابه . . وأن الرجال يتسمّون باسم بيير وجين وأندريه ، أما النساء فكلهن ماريا !!! وليس لهؤلاء السكان ملك أو أسقف أو مطران . . ويعيشون حياة بدائية كالوحوش دون نظام قانوني ، أو سياسي ، أو قضائي . . ولسكان سقطرى الأصليين وسامة وهم طوال القامة متناسقي الأعضاء ، ووجوه الرجال محترقة من الشمس ، ويمشي الرجال شبه عراة يتزرون بمئزر يدعى الكمبل . وللنساء وسامة وجمال معتدل . . . وليس لأهل سقطرى (من النصارى) سلاح ، لا هجومي ولا دفاعي . . (بعض هذا الكلام غير دقيق وفيه وهم وخطأ) .

«والجزيرة فقيرة وليس فيها سوى الصبر الذي يصدّر بكميات جيدة إلى مختلف بقاع العالم ، وشجرة دم الأخوين (دم التنين) . . والجزيرة جبلية وعرة . . وفيها أنواع من الطيور المختلفة ولا يزرع فيها حبوب ولا قمح ولا أرز . ويكثر بها النخيل ويعتبر التمر غذاءهم الأساسي مع اللبن من الأغنام والأبقاء والماعز . . وتنمو هنا بعض الأعشاب والأشجار الطبية وأشجار الريحان والحبق ذات الرائحة الزكية» انتهى كلام دي كاسترو .

وفي عام ١٥٤٤م وصل راهبان من الفرنسسكان البرتغاليين إلى سقطرى لنشر المسيحية الكاثوليكية ولتعميد أهلها . وقد زعما (كذبا) أنهما قد قاما بتعميد جميع السكان وتحويلهم إلى نصارى

كاثوليك . وفي عام ١٥٦٢ زار البادري (الأب) جاسبر كويلهو والبادري جوا لوبس جزيرة سقطرى ومكثا فيها ينشران المسيحية الكاثوليكية حتى لاقا حتفيهما (بالموت الطبيعي) . وتبعهما البادري ليوناردو دا جراسا والبادري فاليرو دي لوريتو .

وفي عام ١٥٤٤ كتب حاكم شاول Chaul إلى ملكة البرتغال يتحدث عن سقطرى التي زارها قائلاً : «إن الشيخ حاكم سقطرى لا يجبر أحداً من السكان على أن يعتنق الإسلام بل يترك لهم الحرية كاملة في ممارسة شعائرهم . ولكن سيكون في مصلحة إلَهَنا القوي أن نبيده . رغم أن الشيخ يقول إنه صديقنا ، وأن بلاده هي الوحيدة التي تستطيع سفننا أن ترسو في سواحلها وموانيها بكل أمان وترحاب في أثناء سفرنا إلى جوا في الهند .

«وعلينا في الوقت الحاضر أن لا نُغضب الشيخ ، لأننا لو فعلنا ذلك لطلب من الأتراك أن يأتوا إلى قشن (عاصمة المهرة) وإلى سقطرى . وذلك سيكون أسوأ شيء نرغب فيه . وقد قام حاكم قشن وحاكم سقطرى بالتحالف معنا خوفاً من الأتراك . وسنحتاج إلى قوة كبيرة جداً لإخضاع المهرة وسقطرى . تقدّر بخمسة عشر إلى عشرين ألف جندي . وذلك أمر متعذّر علينا في الوقت الحاضر» .

وهكذا كان البرتغاليون مثل بقية الأوربيين يعاملون المسلمين في كل مكان وزمان بنيّة الغدر والفتك بهم عندما تحين الفرصة ، بينما يستخدمون أساليب الخداع والكذب وإظهار الصداقة . .

ومن مآسي المسلمين على مدى التاريخ أنهم يتحالفون مع أعداء

الإسلام ضد مناوئيهم السياسيين من المسلمين . حدث ذلك في الأندلس وفي الشام أثناء الحروب الصليبية ، وفي القوقاس ، وفي المغرب العربي . . وفي جنوب الجزيرة العربية واستمر ذلك إلى العصر الحديث حيث استعان الشريف حسين ببريطانيا لمحاربة الأتراك وهكذا دواليك . . ولا يتعلّم المسلمون قط للأسف الشديد وينخدعون بمعسول الكلام . . والأعداء يتربّصون بهم ويثيرون الأخ على أخيه والابن على أبيه ، المسلمون للأسف بأسهم بينهم شديد ، ويتعاونون مع أعداء الإسلام لإنهاء خلافاتهم الصغيرة الحقيرة .

وبذل البرتغاليون جهوداً مضنية في تنصير سكان سقطرى . . ورغم الجهود الضخمة التي بذلوها ، بل ربما بسبب هذه الجهود تحول سكان سقطرى في الجبال من نصرانيتهم القديمة إلى الإسلام . . وبحلول القرن السابع عشر الميلادي كادت تختفي النصرانية وعندما زار ما يسمونه القديس اغناطيوس لويولا St Ignatius of Loyola سقطرى (في النصف الثاني من القرن السادس عشر) غضب من سكان سقطرى النصارى لضعف عقيدتهم وعدم اهتمامهم بالدين .

وفي عام ١٦١٢ وصل البحار لويس دا جاما إلى سواحل جزيرتي سمحة ودرسة (من جزر سقطرى) وكان بحارته يعانون من الأمراض والوباء فقام الأهالي المسلمون بمساعدته وحملوا الجنود والبحارة إلى البر ، وأعطوهم الغذاء والدواء ، ورغم ذلك مات منهم أربعمائة شخص .

وغضب البرتغاليون لذلك ، واعتبروا سكان سقطرى وحاكمها مسؤولين عن هذه الوفيات بزعم أنهم لم يقدموا لهم الدعم

الكافي ، ولم يعتنوا بمداواة المرضى كما ينبغي ، لذا توجه القائد جاسبار دي ابريو دي ليما Gaspar de Abrue de Lima عام ١٦١٤ في حملة تأديبية للجزيرة وللقبض على حاكمها مع رجاله . . ولكنه فشل في مهمته تلك فشلاً ذريعاً .

وضعفت سلطة البرتغاليين في القرن السابع عشر وبدأ نجمهم في الأفول ، واستطاع سلطان عمان ناصر بن مرشد بن سلطان (حاكم عمان في الفترة ١٦٢٤ ـ ١٦٤٨م) أن يهزم البرتغاليين وأن يطردهم من عدد من المواقع ، وأن يفرض على من بقي منهم الجزية ، كما حدَّد مسار تجارتهم .

ويعترف الراهب فينسينزو Vincenzo الذي زار سقطرى في أواسط القرن السابع عشر أن المسيحية قد كادت تختفي من الجزيرة وأن بقاياها ضئيلة جداً ، وأن السكان النصارى قد تحولوا إلى الإسلام زرافات ووحدانا .

ويقول فيتالي نومكين : واختفت آثار البرتغال من سقطرى ما عدا بقايا القلعة المهدمة في السوق (انظر الصورة رقم ١٩ و٢٠) ، وبقايا المسجد الذي حوّله البرتغاليون إلى كنيسة (انظر الصورة رقم ١٨) وبعض أشجار البرتقال التي أدخلوها إلى الجزيرة .

«ولا يذكر أهل سقطرى اليوم أي شيء عن البرتغاليين مما يوكد أن احتلال البرتغاليين لسقطرى وتكرر زياراتهم لها كان فترة عابرة لم تترك أي أثر . . ومع ذلك فهناك أغنية لبعض سكان الجبال في سقطرى تذكر أنهم كانوا يعيشون في بلد غني وسعيد ولكن ذنوبهم أرسلتهم إلى هذه الجزيرة» . انتهى كلام نومكين من كتابه «سقطرى جزيرة العنقاء» .

ولكن ويلستد البريطاني ذكر حينما زار سقطرى عام ١٨٣٤ أن قبائل السيمي والسيفي والدرمي والزرزحي ذكروا أنهم يرجعون إلى أصول برتغالية وأنهم كانوا يعرفون باسم الكمهين Camhane ولعل ذلك تحريف لاسم القائد البرتغالي دي كونها . . ويقول ويلستد أن هؤلاء ذوي ملامح أوربية مختلط بالدماء العربية وهم أطول من نظرائهم ولون بشرتهم أفتح من قرنائهم . وشعرهم سبط وأنوفهم مستقيمة وبحجم أصغر وشفاه دقيقة . ويسكنون جبال حجهر . . ولكنهم جميعاً مسلمون ولم يبق منهم أحد على نصرانيته بعد أن اختلطوا بسكان الجزيرة من المهرة المسلمين[١] .

هجوم البرتغاليين على الشحر[٢] :

بعد أن فشل البرتغاليون في احتلال سقطرى وتأكدوا من عدم ملاءمتها لهم بدأوا يتجهون إلى احتلال مواقع هامة على طول الساحل الجنوبي لجزيرة العرب . ومن تلك المواقع الهامة جداً مدينة الشحر ، ميناء حضرموت المشهور المعروف على مدى التاريخ . وكانت أول غارة برتغالية على الشحر في ٩ ربيع الثاني سنة ٩٢٩هـ/ ١٥٢٤م .

---

(١) أحمد العبيدلي : سكان سقطرى من المصادر العربية المبكرة ، صحيفة الحياة العدد ١١١٠٨ بتاريخ ٢٣/ ١/ ١٤١٤هـ الموافق ١٣/ ٧/ ١٩٩٣ ، وملحق كتاب برين دو : سقطرى جزيرة السكينة الذي نقل فيه جزءاً من مذكرات ويلستد ص٢٠٥ ـ ٢١٩ .

(٢) تعتبر الشحر من أهم موانئ حضرموت في الماضي حتى أن ساحل حضرموت كله كان يسمى الشحر ، بل وصل الأمر في بعض الأحيان لإطلاق اسم الشحر على حضرموت كلها .

وقد كتب المؤرخ العلامة السيد محمد بن هاشم بن طاهر العلوي في كتابه «تاريخ الدولة الكثيرية» يصف وقائع هذه الغارة فقال :

«وفي صبيحة ذات يوم أقبلت سفائن صيد السمك من عرض البحر مذعورة قائلة إنها رأت عدداً من المراكب الغريبة مقبلة نحو البلاد . وسرعان ما انتشر هذا الخبر المشؤوم في الشحر ، فأقبل الناس يهرعون نحو السيف (يقصد سيف البحر وهو الميناء) . وصعد النساء والكسالى على سطوح البيوت لينظروا ما ذُكر . وما لبثت السفائن أن تراءت للملأ متجهة نحو الشاطئ ، يبلغ عددها ١٤ سفينة ، فألقت مراسيها ، فكان ذلك صبيحة يوم الخميس لتسع خلت من ربيع الثاني سنة ٩٢٩هـ . ولم يبلغنا نزول أحد منها ذلك اليوم ولا الليلة التي تلته ، ولا طلع إليها أحد . ولكن لم يشعر أهل البلد عند فجر الجمعة إلا بالضوضاء والرطانة المزعجة تحت البيوت وفي الأزقة والطرقات . وارتفع الضجيج وعلا صراخ الصارخين بالقتال . وإذا بالإفرنج يتسوّرون الديار وينهبونها ، وإذا بهم يحرقون ويخربون . وتصدى الناس لقتالهم ، واستمرّ القتل في الفريقين[1] . وقتل من أعيان الشحر جماعة ، منهم الأمير مطران بن منصور والإمام العلامة الشيخ أحمد بن عبد الرحمن بلحاج بافضل[2] .

(١) كان المفروض أن يستعد أهل الشحر لقتال أعدائهم منذ أن رأوا سفنهم لا أن ينتظروا ثلاثة أيام حتى تركوهم يهجمون عليهم في ديارهم . وربما كان ذلك بسبب عدم معرفتهم وتوقعهم أن هذه السفن الغريبة ربما جاءت لأغراض سلمية مثل التجارة . . ولكن هذا ليس بعذر وكان الواجب معرفة أهداف العدو منذ وصوله إلى سواحل الشحر .

(٢) (٨٧٧ ـ ٩٢٩هـ) فقيه شافعي له تصانيف منها «النكت على الإرشاد» في الفقه و«النكت على روض ابن المقري» في مجلدين .

وكان هذا الإمام ممن قاتل قتال الأبطال . وفعل الأفاعيل في هجماته ، وأرسل رسلاً مستعجلين برسائل مؤثرة إلى حضرموت (الداخل) يستنفرهم للجهاد . وممن استشهد أيضاً الشيخان أحمد وفضل إبنا رضوان بافضل ، والفقيه العالم يعقوب بن صالح الحريضي (نسبة إلى مدينة حريضة في دوعن) وخلق كثير من المسلمين رحمهم الله وأثابهم بفضله آمين[1] .

«ومكث الإفرنج بالشحر الجمعة والسبت والأحد ثم انسلّوا ليلة الإثنين إلى سفائنهم وضربوا بها عرض البحر مقلعين نحو الهند . هذا كله صار والسلطان بدر (أبو طويرق الكثيري) في أول أدوار سلطنته ، وتكرر بعد ذلك تحكك الإفرنج بالشحر ، غير أنهم لم يزالوا في كل مرة يعودون ، راضين من الغنيمة بالإياب» انتهى كلام السيد محمد بن هاشم كما نقله عنه محمد بن علي باحنان في تاريخه «جواهر تاريخ الأحقاف»[2] .

المعركة الثانية مع البرتغاليين في الشحر وهزيمتهم :

عاود البرتغاليون هجومهم على الشحر للمرة الثانية في سنة ٩٤٢هـ/ ١٥٣٦م وخاصة أنهم قد تعرّفوا على السواحل الجنوبية لجزيرة العرب واحتلوا لفترات محدودة بعض مناطقها . وكان الأمل

(١) إن موقف العلماء مشرّف جداً فقد جاهدوا جهاد الأبطال واشتركوا في القتال واستشهد عدد منهم ، وكانوا في مقدمة الصفوف ، ولم يكتفوا بالتحريض على القتال . وهذا هو المفروض فيهم دائماً إلا من عذره الله بسبب عجز أو شيخوخة أو مرض .

(٢) تاريخ جواهر الأحقاف لمحمد بن علي باحنان ، مكتبة النهضة الحديثة بمكة المكرمة ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م ج٢/ ١٨٦ ـ ١٨٧ .

لا يزال يراودهم في احتلال الشحر . وفي هذه الفترة شهدت حضرموت دولة قوية أسسها بدر (أبو طويرق) الكثيري . . وعندما عاد البرتغاليون لمهاجمة الشحر كان السلطان بدر قد استعدّ لهذه المعركة فهزمهم هزيمة نكراء في البر والبحر .

وقد وصف المؤرخون تلك المعركة ومنهم باسخله في تاريخه والعيدروس في النور السافر في أعلام القرن العاشر والسيد محمد بن هاشم في «تاريخ الدولة الكثيرية» . وقد نقل المؤرخ محمد بن علي باحنان في كتابه «جواهر تاريخ الأحقاف»[1] ما كتبه السيد محمد بن هاشم حول هذه الحملة البرتغالية فقال :

«في سنة ٩٤٢هـ (١٥٣٦م) أقبل الإفرنج بجمع عظيم من السفن الكبار والصغار وصادف هجومهم على الشحر وجود السلطان بها ، فأعدّ لهم العدّة ، فلما نزل أبطالهم إلى البر أرسل إلى سفائنهم من يأسرها ومن فيها . والتحم القتال بحراً وبراً ، واختلط الحابل بالنابل فكثر الطعن والصراع كتفاً لكتف ، وحضر ذلك أشراف الجوف بعد عودتهم من المشقاص . . ورأى الإفرنج من حامية الشحر ما لم يعهدوا مثله قط في الماضي من النزال والكفاح ، وأصبح يوم الأحد لخمس بقين من رمضان والشوارع لا يخلو كلٌّ منها من قتيل ، أكثرهم من الإفرنج . وعلم الذين في البرّ بأن سفائنهم سقطت في يد بدر وأن جنودها يسحبونها إلى السيف (الميناء) سحباً ، ورجالها أسارى يقادون بالأكبال ، فلم يسعهم وقد تيقنوا من الهلاك المحيط بهم إلا أن يطلبوا الأمان ويسلّموا أنفسهم أسارى فأمّنهم السلطان بدر ، ومنهم القبطان الأكبر (أي قائد

(١) جواهر تاريخ الأحقاف ج٢/ ١٩١ ـ ١٩٤ .

الحملة) وذلك عند حلول وقت الظهر ، ثم فرّقهم على ضباطه فجعل للأشراف عشرة أسارى ، وللعساكر الزيود عشرة ، وللعسكر من يافع عشرة وللعبيد النوبيين عشرة ، واستولى على خشبهم (سفنهم) ، أربع عشرة خشبة (سفينة) كباراً . . وقد هرب منهم نحو مائة شخص وخشبة من خشبهم ، وعثرت جنود بدر على جماعة منهم في البيوت مستخفين بعد هزيمتهم الساحقة ، فكان جملة المأسورين منهم سبعين رجلاً .

«ثم وصل جماعة منهم من جهة سواحل إفريقيا الشرقية ومعهم مال ، فأخذ السلطان مالهم وقيّدهم مع أصحابهم . ثم بعد أن تمّ الأمر أرسل السلطان بدر رحمه الله ٣٥ رجلاً منهم في خشبة (سفينة) إلى السلطان العثماني ، فسافروا بهم إلى جدة ، فلما وصلوا إلى مكان يقال له الثغر قريباً من جدة ، انطلق من القيود سبعة منهم ، وهجموا على رجال الخشبة وهمّوا بالبطش بهم ، فتألب عليهم رجال السفينة وأفنوا السبعة المذكورين بأكملهم . وأرسلوا الباقين في غراب كبير (قارب كبير) .

«وأرسل (السلطان) أيضاً إلى ظفار أحد عشر شخصاً من الإفرنج قُتل منهم ستة ، وأما الخمسة الباقون فأرسلهم السلطان محمد بن عبدالله أخو السلطان بدر وهو يومئذ والي ظفار إلى هرمز . وهذا من جملة الأسباب التي أدت إلى اختلافه مع أخيه بدر .

«وخطر للسلطان بدر أن يذهب فيصّيف في حضرموت فصعد إليها واستصحب معه ٣٠ شخصاً من الإفرنج الأسارى في يوم الإثنين السابع عشر من ربيع الأول (سنة ٩٤٣هـ/ ١٥٣٧م)

وأعقب ذلك دوام الاتصال بين السلطان بدر والإفرنج من حرب إلى صلح ، ومن صلح إلى حرب ، ومن قتل إلى أمان ، وكثر أسارى الإفرنج عنده ، واختلط الأهالي بهم ، وأنس السلطان ببعضهم فجعلهم من ندمائه[1] . وظهر من بعض هؤلاء نوايا سيئة وخيانة فنكّل بهم .

«وفي ذات ليلة وهو بالشحر تآمر القوم على قتله وكانوا مجتمعين معه في بيت فأغلقوا عليه الأبواب ، وأسرعت بعض الجواري فأسرّت إليه الخبر ، فلم يجد له مخرجاً إلا من بيت الخلاء ، فخرج وسلّمه الله ، وأصبح ذلك اليوم متغيِّراً منهم ، ثم أمر بهم فقتلوا عن آخرهم وبعث برؤوسهم إلى السلطان سليم (العثماني) .

«وفيها (أي ٩٤٣هـ/ ١٥٣٧م) جهَّز عاهل الدولة العثمانية جيشاً يبلغ أربعين ألفاً تحت قيادة الوزير سليمان باشا يريد حرب البرتغال ،و بعد أن طلب بدر (الكثيري) ذلك الانجاد منه ، فقصد القائد الشحر في غارب (قارب) يقلّ ثلاثين تركياً ، فلما حضر القائد بين يدي بدر قدم له مرسومين وخلعتين من السلطان سليمان بن سليم ، وعاد القائد من الشحر معززاً بالهدية السنية له وللسلطان . ولما وصلت التجريدة (الحملة البحرية) إلى جدة رأى السلطان سليمان أنها غير كافية لهجوم البرتغال بالهند فأمر بالعودة إلى مصر ومضاعفة الاستعداد .

---

(١) كيف يجعلهم السلطان من ندمائه بعد أن استعرّت الحرب بينه وبينهم؟ وهل كان السلطان يجلس لشرب الخمور أيضاً؟ هذه المشكلة كثيرة الورود في تاريخ السلاطين والحكام على مدى التاريخ الإسلامي إلا من عصم ربك .

«وحاول سنان باشا احتلال الشحر سنة ٩٤٤هـ/ ١٥٣٨م فحصنها بدر أبو طويرق ومنعها فلم يظفر التركي بشيء ثم عاد إلى اليمن لاحتلالها فثار أهل اليمن جميعاً ضده ، وانتقض عليه أهل عدن وولوا عليهم علي بن سليمان البدوي (صاحب خنفر) سنة ٩٤٣هـ/ ١٥٣٧م وذلك لشدة كراهية أهل عدن للترك لقتلهم الوالي عامر بن داود الطاهري ، فقد تعاهدوا مع البرتغال على أن يكونوا يداً واحدة ضد الترك . فخاف بدر (أبو طويرق) أن يقوي نفوذ البرتغاليين في عدن ويستولوا على حضرموت ، وقد منع الترك . لذلك أرسل جيشه إلى زبيد لفك حصار الترك وألزم أهل اليمن طاعتهم ليتمكنوا من سحق البرتغاليين . وفعلاً ساروا بالجيش التركي والحضرمي إلى عدن واحتلوها سنة ٩٤٥هـ/ ١٥٣٩م وقتلوا علي بن سليمان البدوي والي عدن وبعضاً من رجاله ، وقضوا على سلطة البرتغاليين .

«وعاود البرتغاليون هجومهم على الشحر واحتلوها عام ١٠٩٦هـ/ ١٦٨٦م ولكنهم واجهوا مقاومة باسلة من الأهالي واستشهد منهم خلق كثير بينهم عدد من العلماء والصلحاء من السادة والمشايخ . واستطاعوا أن يطردوا الإفرنج عام ١٠٩٧هـ/ ١٦٨٧م بعد معارك طاحنة» .

استنجاد سلطان المهرة بالبرتغاليين :

رغم الحروب المتكررة التي خاضها المهرة حكام قشن وسقطرى ضد البرتغاليين إلا أنهم حسّنوا علاقتهم مع البرتغاليين للأسباب التالية :

١ ـ يأس البرتغاليين من الاستيلاء على سقطرى أو قشن بعد تجربتهم المريرة في سقطرى (١٥٠٧ ـ ١٥١١) . وتحولت العلاقات إلى علاقات تجارية ، واستفاد أهل سقطرى من رسو السفن البرتغالية وأخذهم الأموال في مقابل تموين السفن بالمياه ورسوّها في موانيهم .

٢ ـ خوف المهرة من الأوربيين الآخرين . ولذا أوجدوا نوعاً من العلاقة مع البرتغاليين .

٣ ـ خوف البرتغاليين من الأتراك ، وكذلك خوف المهرة .

٤ ـ قيام السلطان بدر الكثيري بالهجوم على المهرة والاستيلاء على عاصمتهم قشن في ٢ ربيع الثاني عام ٩٥١هـ/ ١٥٤٥م . وكانت الحرب بين المهرة والسلطان بدر سجالاً في أول الأمر ، بل وصل المهرة إلى الشحر وهاجموها . ولكن السلطان بدر تمكن من دحرهم ، ثم استولى على أرضهم . وبنى حصناً في قشن ، وجعل على أهل المهرة حاكماً من قِبَله هو أحمد مطران ، ومعه الفقيه العلامة محمد بن عمر بحرق .

وثار المهرة واستردّوا بلادهم وقتلوا الأمير أحمد مطران فهاجمهم السلطان بدر واستولى على قشن مرة أخرى بعد قتال عنيف في ١٧ جمادى الأولى ٩٥١هـ/ ١٥٤٥م ونتيجة لذلك كله توجَّه سعيد ابن عفرار المهري سرّاً إلى الهند مستنجداً بالبرتغاليين فجاء بهم إلى قشن وحصرها بهم ، ثم استولى على الحصن في ٢٩ صفر سنة ٩٥٥هـ (١٥٤٩م) وقتلوا جميع عساكر بدر .

ولما وصل الخبر إلى السلطان بدر الكثيري جهَّز جيشاً كبيراً فلما

وصل إلى حيريج جاء سعيد بن عفرار لمصالحة السلطان بدر ، فقبل منه السلطان . واعترف الكثيري بسلطة سعيد بن عفرار على المهرة ، وفي المقابل تعهَّد ابن عفرار على أن لا يتحرّش المهرة بموانئ بدر ، ولا شيء من بلاده ، ولا يستعين بالبرتغاليين الكفرة ضده .

وهذا موقف يحمد لكلا السلطانين بدر الكثيري وسعيد بن عفرار المهري . وعلى حكام المسلمين (عرباً وعجماً) أن يتصالحوا ويتنازلوا لبعضهم البعض بدلاً من أن يأكلهم الأعداء الكفرة المتربصون بهم جميعاً .

مهاجمة البرتغاليين لعدن وعلاقتهم بها :

كان أول هجوم للبرتغال على عدن قد تم في عام ٩٠٨هـ/ ١٥٠٣م وذلك قبل الهجوم على سقطرى أو أي من الموانئ الأخرى . وكانت تلك الغارة هي لمجرد التهديد والنهب ولكن حاكم عدن عامر بن عبد الوهاب الطاهري (الذي كان يحكم أرجاء واسعة من اليمن) استعان بالجراكسة (المماليك الذين كانوا يحكمون مصر) فطاردوا السفن البرتغالية عدة مرات حتى ألجأوها إلى الفرار إلى قواعدهم في الهند .

وتحسنت العلاقة وتوثقت بين الجراكسة (المماليك حكام مصر) وبين الطاهريين ففي سنة ٩١٦هـ/ ١٥١٠م أرسل حاكم مصر إلى السلطان عامر بن عبد الوهاب هدية قيمة فرد التحية بأحسن منها وأرسل حمولة مركب هدايا . ولكن هذه العلاقة الجيّدة لم تستمر طويلاً ، بل تعكرت تماماً وتحولت إلى حروب دامية مما أدى بالطاهريين إلى الاستعانة بالبرتغاليين فيما بعد لمواجهة الجراكسة . (وهو أمر سيء كثير التكرار في تاريخ المسلمين) .

وفي سنة ٩٢٠هـ/ ١٥١٣ وصل البوكيرك القائد البرتغالي المشهور إلى عدن في حملة بحرية مؤلفة من ١٦ سفينة مع ١٧٠٠ جندي . . إلا أنهم ووجهوا بمقاومة شرسة أدت إلى قتل أو أسر كل من تمكن من البرتغاليين من الدخول إلى عدن . ولذا صبّ البرتغاليون جام غضبهم على السفن التي في الميناء فنهبوها ثم أحرقوها وساروا نحو كمران وباب المندب . وعند عودتهم حاولوا مرة ثانية الاستيلاء على عدن ولكنهم فشلوا في ذلك ، فرموا البلد بالمدافع من البحر ووقع بذلك ضرر كبير في الأموال والأنفس كما يقول المؤرخ السيد صالح الحامد في كتابه تاريخ حضرموت[1] .

وللأسف قامت الحرب بين الطاهريين في عدن واليمن وبين الجراكسة المماليك حكام مصر . وفي أوائل رجب سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٦ توجه سليمان باشا في حملة بحرية مكونة من ٢١ مركباً لمهاجمة عدن . وانتهت المعركة بهزيمة الجراكسة ورجوعهم من حيث أتوا . إلا أن هجوم الجراكسة المماليك حكام مصر استمر على التهائم وغيرها وانتهت المعارك الطاحنة بين الفريقين بقتل السلطان عامر بن عبد الوهاب بالقرب من صنعاء في ٢٣ ربيع الثاني سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م .

وبدأ منذ ذلك الحين نوع من التعاون بين البرتغاليين وخلفاء السلطان عامر بن عبد الوهاب . ففي عهد السلطان عامر بن داود الطاهري الذي حكم عدن ولحج وأبين بعد أن تقلص حكم الطاهريين تم نوع من الاتصال والتعاون بين البرتغاليين والسلطان

(١) السيد صالح الحامد : تاريخ حضرموت ، مكتبة الإرشاد جدة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨ ج٢/ ٥٧٥ .

عامر بن داود ، واغتاظت الدولة العثمانية التي بدأت تسيطر على معظم أرجاء العالم الإسلامي بما في ذلك مصر ، وأرسل السلطان العثماني قوة كبيرة لمطاردة البرتغاليين المغيرين على سواحل جزيرة العرب والمتعرِّضين لسفن المسلمين التجارية .

وعندما وصل قائد الحملة سليمان باشا إلى عدن استدعى سلطان عدن عامر بن داود للحضور إلى سفينته الخاصة وأظهر له الإكرام ، فلما استقر المقام بعامر بن داود قام سليمان باشا بقتله وقتل من معه من الرجال . وذلك للانتقام من تعاون السلطان عامر مع البرتغاليين[1] .

(١) يذكر السيد صالح الحامد نقلاً عن المؤرخ الكبسي أن لا صحة لهذا الزعم وأن السلطان عامر بن داود لم يتعاون مع البرتغاليين . . وإنما كانت تلك وشاية من أعدائه .

الفصل الخامس

بريطانيا وسقطرى

حكم المهرة لسقطرى

لقد خضعت سقطرى منذ أقدم الأزمنة لحكام حضرموت والمهرة . . ولكنها منذ القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) خضعت لحكم الأئمة الإباضية في عمان . . واستمر الأمر على ذلك بين مّد وجزر فتارة تخضع لحكم عمان وأخرى لحكم المهرة وحضرموت . وفي بداية القرن الخامس عشر الميلادي خضعت سقطرى لسلطنة فرتك الكثيرية التي كانت تحكم حضرموت والمهرة وظفار من عاصمتها الشحر . . وفي أول الأمر اعترف آل كثير بهيمنة الدولة الطاهرية التي كانت تحكم عدن واليمن الشافعي . . وعندما حاولت الدولة الكثيرية التخلص من تلك السيطرة وقعت الحرب بينهما وانتهت الحرب بهزيمة الدولة الكثيرية في عام ١٤٥٦م وامتدت بذلك دولة الطاهريين من البحر الأحمر إلى ظفار ودخلت سقطرى تحت سيطرتهم .

وبدأ بنو عفرار (ويقال لهم أيضاً بنو عفرير) من قبيلة الطواري الزايدي المهرية في السيطرة على قشن عاصمة المهرة آنذاك واستولوا على سقطرى في عام ١٤٨٢م ومنذ ذلك الوقت ظلت سقطرى

تابعة لهم حتى تم الاستقلال لليمن الجنوبي من بريطانيا عام ١٩٦٧ ، عندما سلّمت بريطانيا الحكم للجبهة القومية ، وأمرت السلاطين المختلفين لمناطق الجنوب بالمغادرة ومنهم آخر سلاطين المهرة أحمد بن عبدالله بن عيسى بن أحمد بن سعد بن عفرار . وانتهى بذلك حكم بني عفرار الذي امتد قرابة خمسة قرون تخللها حكم البرتغال لسقطرى لمدة أربع سنوات فقط (١٥٠٧ ـ ١٥١١) . . وهيمنة بريطانيا على سقطرى والمهرة منذ عام ١٨٨٦ .

السلفيون يحتلون سقطرى وحضرموت والمهرة : واحتلها السلفيون الذين قدموا من نجد بعد أن احتلوا حضرموت والمهرة عام ١٨٠١م (١٢١٤هـ)[1] . ويقول ويلستد الذي زار سقطرى عام ١٨٣٤ في مذكراته أنه وجد حديبو والسوق قد دمرتا بواسطة جنود السلفيين . . وفرّ السكان إلى الجبال . . ولا تزال آثار الدمار بادية للعيان عند زيارته لها . . وانحسر السلفيون وانسحبوا من سقطرى بعد أن واجهوا حرباً شرسة من كل مكان . ففي حضرموت

---

(١) تختلف المصادر التاريخية في السنة التي احتلّ بها السلفيون بقيادة ناجي بن قملا (يكتبه الحضارم بن قملة) فهناك من ذكر حدوث ذلك عام ١٨٠٠م وبعضهم ذكره عام ١٨٠١ (برين دو في كتابه سقطرى جزيرة السكينة ، وفيتالي نومكين سقطرى جزيرة العنقاء) . أما السيد سقاف الكاف في كتابه حضرموت عبر ١٤ قرناً فقد ذكر حدوث ذلك عام ١٨١٠م/ ١٢٢٤هـ . ويقول العلامة السيد محمد أحمد الشاطري أن ابن قملة هجم على حضرموت من نجد بعد أن كاتبه السيد عبد الرحمن الكاف وشجّعه على أن يغزوها . وذلك بسبب خصومة بينه وبين منصب آل الشيخ أبي بكر بن سالم صاحب عينات ، حيث قام المنصب بإغراء بعض قبائل يافع بإحراق وإتلاف مزروعات السيد الكاف ، فغضب الكاف وراسل ابن قملة فكان ما كان .

انهزمت قبائلهم في منطقة حريضة في دوعن . وكان قائد جيش الحضارم في هذه الواقعة السيد علي بن جعفر بن محمد العطاس[1] . كما واجه السلفيون معارك ضارية في نجد والحجاز حيث شنت الدولة العثمانية ودولة محمد علي باشا في مصر هجوماً كاسحاً بقيادة إبراهيم باشا فكان لا بد من الانسحاب من الأطراف والتركيز على الوسط . وبذلك عادت سقطرى إلى حكم بني عفرار من المهرة . وكان السلطان يكتفي بأن يأخذ من سكان سقطرى الجبليين (البدو) ما يوازي كيلو جراماً من الزبدة من كل رجل وشملة (قطيفة من الصوف) من كل امرأة مرة في العام . . وما عدا ذلك فلم تكن هناك ضرائب . . وكان السلطان وأسرته يتّجرون بالأسماك ولهم مراكب صيد ويصدّرون السمك إلى شرق إفريقيا كما كانوا أيضاً يتّجرون بتصدير الصبر ودم الأخوين . . ولهم مزارع في حديبو والمناطق الأخرى يقوم عليها عبيدهم الذين جلبوهم من شرق إفريقيا . . وأهم زراعة لهم هي النخل .

وبدأت بريطانيا تظهر كقوة بحرية عالمية منذ القرن السابع عشر الميلادي ، ووصلت سفنها إلى الهند وبدأت تتنافس هي وهولندة لاحتلال مواقع البرتغاليين والأسبان .

أول بريطاني يصل إلى سقطرى : وفي عام ١٦٠٩ وصل أول بريطاني كتب عن سقطرى وهو جون جوردين John Jourdain إلى سقطرى وقد كتب في مذكراته في يوم ٢١ أغسطس ١٦٠٩ ما يلي[2] :

---

(١) تاج الأعراس للسيد علي بن حسين بن محمد العطاس ج١/١٥٣ ، ١٥٤ نقلاً عن كتاب حضرموت عبر ١٤ قرناً للسيد سقاف الكاف .

(٢) نقلاً عن برين دو في كتابه سقطرى جزيرة السكينة ص ٢١ ـ ٢٤ .

«وجدت سلطان سقطرى على الساحل ومعه ٣٠٠ رجل مسلح بالرماح والسيوف والخناجر والسهام . ولقد رحّب بي السلطان وتلطف معي وأخبرني أنه تجهزّ بالسلاح لأنه ظن أنني من الهولنديين الذين هاجموا بلاده من قبل . . وأكد لي أن الإنجليز لم يظهر منهم سوى الصداقة ، ولذا فإنه يرحّب بهم في أي وقت وسيقدم لهم أي معونة ممكنة . وسألني السلطان إن كنت أعرف القبطان كيلنج Keeling والقبطان هوكنز Hawkins؟ فلما أخبرته أننا نتبع جميعاً شركة الهند الشرقية ، وأنني أعرفهما معرفة وطيدة ، سُرّ بذلك السلطان سروراً بالغاً ، وسلمني السلطان خطاباً من القبطان كيلنج مكتوب باللغة الإنجليزية التي لا يفهمها السلطان ورجاله . . وكان السلطان يظن أن الخطاب توصية به فإذا بالخطاب يحذرنا من سقطرى وسلطانها وسكانها ويقول لنا : «إنهم أهل غدر فانتبهوا وخذوا حذركم !! مع أننا لم نرَ منهم إلا كل معاملة حسنة»[١] .

«وبالفعل أحضر عبيد السلطان ما نحتاجه من المياه لسفينتنا ، كما اشترينا أيضاً ثمانية هندردويت[٢] من الصبر السقطري الممتاز وذلك بسعر ٢٠ ريالاً فضيّاً (ماريا تريزا) وفوقها ستة هندردويت

---

(١) هكذا الغربيون الأوربيون دوماً وأبداً يقابلون من يحسن إليهم بالإساءة والغدر متى تمكّنوا من ذلك . . ولكنهم يُبدون الصداقة والبشاشة وحُسن الخلق حتى يتمكّنوا . هذه كانت سياستهم في الأمريكتين التي أبادوا سكانها الذين كانوا يبلغون عشرات الملايين وهكذا فعلوا في استراليا . . وفي الهند . . وفي أفريقيا . . وفي كل بقعة من بقاع العالم استطاعوا الوصول إليها . . ولا تزال هذه سياستهم إلى اليوم .

(٢) الهندردويت وحدة وزن تساوي ١١٢ رطلاً في انجلتره و١٠٠ رطل في الولايات المتحدة .

هدية مجانية من السلطان . وفي اليوم التالي اشترينا ١٢٠ رطلاً من العصارة المجففة الحمراء لشجرة دم الأخوين (دم التنين) بسعر ٣٠ ريالاً فضياً» .

زيارة السير توماس رو لسقطرى : وفي شهر أغسطس من عام ١٦١٥م توجه السير توماس رو Thomas Roe إلى سقطرى في ثلاث سفن وهي : Dragon, Peppercon, Lyon ولكنه عندما حاول الرسو واجه بعض الصعوبات بسبب الرياح الموسمية ، ولم يستطع أن يرسو في تمردة (حديبو) ، واضطر أن يتجه شرقاً في قبالة جبل حواري ، ولكنه للمرة الثانية اضطرته الرياح أن يتجه شرقاً ليرسو في بندر دليشا[1] . .

ووصف السير توماس رو بندر دليشا الذي لا يزيد عن قرية صغيرة ووصف جبال حجهر ورأس ديهامري ووادي دليشا (دليشه) شمال تل بيت جبر . . وأعجب بشاطئ دليشه وما حولها الذي يتميز برمله الناعم الأبيض ، حتى صخوره كانت بيضاء ناصعة . . واستطاعت سفنه الرسو لمدة أسبوع . وفي تلك الفترة نزل بعض الضباط وقائد السفينة لمقابلة السلطان الذي وضع لهم خيمة ليمكثوا فيها في بندر دليشه .

وقام الضابط بوتون باستئجار حصان ودليل وذهب لزيارة مدينة حديبو ومدينة السوق .

زيارة القبطان هنس والليفتنانت ويلستد لسقطرى : ومع مرور الزمن قلّ الاهتمام بسقطرى لوجود مرافئ أفضل في عدن وغيرها ،

(١) برين دو : سقطرى جزيرة السكينة ص ٢١ ـ ٢٤ .

ولانعدام الاهتمام في أوربا بالصبر السقطري ، ولكن مع افتتاح قناة السويس وظهور السفن التجارية بدأ الاهتمام بسقطرى مرة أخرى وقام القبطان هينس Haines بزيارة لسقطرى عام ١٨٣٤ ومكث فيها مع بعثة دراسية كاملة إلى عام ١٨٣٥ وكان من ضمن هذه البعثة الليفتنانت ويلستد Wellsted الذي وضع دراسة شبه متكاملة عن سقطرى[١] . وتعتبر تلك الدراسة والملاحظات عن سقطرى أفضل ما كتب عن سقطرى بالإنجليزية إلى حينه .

وقررت بريطانيا استئجار أو شراء جزيرة سقطرى وخاصة بعد أن أوضح تقرير الليفتنانت ويلستد صلاحيتها لرسو السفن الذاهبة إلى الهند وإيجاد محطة لتموين السفن بالمياه وبالفحم Bunkering Station ، كما ذكر التقرير أن دخل سقطرى ضئيل جداً ، وأن السلطان لا يتدخل في شؤون الأهالي ويكتفي بأن يأخذ من الأهالي كمية من الزبدة وسجاجيد سنوياً . أما الدخل من بيع الصبر والمياه فقد تدنى إلى حوالى ثلاثمائة ريال فضي .

لهذا كله أرسلت الحكومة البريطانية القبطان روس Ross من الأسطول البريطاني الهندي عام ١٨٣٤ إلى سلطان المهرة وسقطرى في قشن ليجسَّ النبض . وبالفعل استطاع القبطان روس أن يوقع اتفاقية في قشن (عاصمة المهرة آنذاك) مع السلطان أحمد بن فرتك وابن عمه عمرو (من آل عفرار) وبموجبها يسمح السلطان للسفن البريطانية بالرسو في سقطرى والتزود بالمياه . . ثم بالفحم عندما تبني بريطانيا مخازن للفحم ، ولكن دون أن يكون لبريطانيا أي سلطة على الجزيرة .

(١) قام البروفسور برين دو بنقل جزء من هذه الدراسة والمذكرات وجعلها كملحق في كتابه سقطرى جزيرة السكينة ، ١٩٩٣ ص٢٠٥ ـ ٢١٩ .

سلطان سقطرى يرفض بإباء وشمم تأجير سقطرى : وفي العام التالي ١٨٣٥ ذهب القبطان هينس إلى السلطان عمرو الطويري (من آل عفرار) لتوقيع اتفاقية لشراء سقطرى من السلطان . ويصف اللفيتنانت ويلستد الذي كان مع القبطان هينس تلك الزيارة فيقول : «لقد زرنا السلطان الضرير الطاعن في السن عمرو الطويري وذلك للمفاوضة في استئجار أو شراء سقطرى بمبلغ جيد من المال . ورغم أن السلطان كان فقيراً وحالته المادية تدفعه إلى قبول العرض السخي إلا أنه أبدى روحاً أبيّة تليق بإمبراطور عظيم صاحب إمبراطورية ضخمة غنية . . وكان السلطان طاعناً في السن وقد عمى بصره ، ويقوده غلام صغير عندما دخل علينا الغرفة . وبعد أن استمع لمقترحاتي هبَّ السلطان واقفاً وصاح : «هل ترغب حكومتك في شراء سقطرى حقاً؟ إن سقطرى هي هبة الله للآباء والأجداد ، ولن أفرّط فيها أبداً . والله لو ملأت هذه الغرفة من الأرض إلى السقف بالذهب لما أعطيتك ما يوازي مساحة هذه الغرفة من أرض سقطرى . . وداعاً يا قبطان هينس» .

وخرج القبطان هينس ومن معه يجرّون أذيال الخيبة ، ولكنهم معجبين في قرارة أنفسهم بشجاعة وإصرار هذا الشيخ الطاعن في السن الذي رفض إغراء المال رغم فقره وحاجته الشديدة له . .

فشل حملة بريطانيا على سقطرى : وعاد القبطان هينس إلى حكومته في الهند التي قررت الاستيلاء على سقطرى بالقوة بعد أن عرفت تفاصيل كثيرة عن وضعها العسكري والمالي والشعبي . . وبالفعل أرسلت بريطانيا من مقرها في الهند قوة بحرية بقيادة القبطان هينس في العام نفسه (١٨٣٥) لاحتلال سقطرى ومعه عدد وافر من الجنود البريطانيين والهنود مع مدافع وعدد كافية .

ولكن سوء الطالع واجه هذه الحملة ، فقد كانت العواصف عاتية وأغرقت عدداً من الزوارق الحربية قبل إنزال الجنود وبداية المعركة . ثم أبدى أهل سقطرى شجاعة فائقة في القتال رغم أنهم لم يكن لديهم من السلاح إلا السيوف والرماح والسهام والخناجر مما جعل الاستيلاء على الجزيرة يتحول من نزهة كما كان متوقعاً إلى معركة باهضة التكاليف . . ومما زاد الأمر صعوبة أن الحمى (ولعلها الملاريا) انتشرت في الجنود وقتلت عدداً كبيراً منهم ، وأنهكت الآخرين حتى لم يقووا على دفن موتاهم[1] .

وفي عام ١٨٣٩ استطاع القبطان هينس أن يستولي على عدن الأكثر أهمية من سقطرى ، والأفضل من ناحية الميناء وعدم وجود العواصف . . ومنذ ذلك الحين احتلت بريطانيا مناطق عدة من أرض اليمن وجعلتها على ثلاثة أقسام :

١ ـ مستعمرة عدن .

٢ ـ المحميات الشرقية وتشمل سلطنة الكثيري والقعيطي في حضرموت وسلطنة المهرة وسلطنة الواحدي .

٣ ـ المحميات الشرقية وتشمل عدداً كبيراً من السلطنات والمشيخات وأهمها لحج ويافع العليا والسفلى والعوالق العليا والسفلى وأبين . . واستولت على مجموعة من الجزر مثل سقطرى

---

(١) سليم زبال : استطلاع عن سقطرى مجلة العربي العدد رقم ١٥٢ و١٥٣ لشهري يوليه وأغسطس ١٩٧١ . والغريب حقاً أن البروفسور برين دو لم يذكر قصة غزو سقطرى الفاشلة ، كذلك لم يذكرها ويلستد ولا دائرة المعارف البريطانية (مادة سقطرى) ولا دائرة المعارف الإسلامية (مادة سقطرى) ولا فيتالي نومكين في كتابه عن سقطرى جزيرة العنقاء .

وتوابعها ، وجزر كوريا موريا وجزيرة ميّون في باب المندب . وجزر حنيش الكبرى والصغرى وجبل زقر . . وقد جعلت هذه الجزر تابعة مباشرة لعدن .

سلطان سقطرى يرفض مرة أخرى تأجيرها لبريطانيا : وفي عام ١٨٤٤ أصيبت سقطرى بجفاف شديد مما أدى إلى هلاك الماشية وكثير من السكان بسبب المجاعة . وعندما قامت فرنسا بالاتصال بسلطان المهرة في قشن عام ١٨٤٧ وعرضوا عروضاً مغرية لاستئجار أو شراء سقطرى ، كان السلطان في موقف لا يحسد عليه ، ولكنه رغم ذلك وقف موقفاً شجاعاً أبياً حيث رفض مرة أخرى تأجير أو بيع سقطرى لأي دولة كانت فسقطرى هي لأهلها فقط مهما كانت الحاجة ماسة وشديدة للمال ، فقدر اللفيتنانت كرتندن Cruttenden الدخل السنوي لسقطرى في تلك الفترة بـ٣٢٠ ريالاً فضياً (من رسو السفن وبيع المياه والصبر) . وفي عام ١٨٧٧ ارتفع الدخل ووصل إلى ٦٤٠ ريالاً فضياً في العام حسب تقدير القبطان هنتر Hunter .

السلطان الجديد يوقع اتفاقية مع بريطانيا : وقلقت بريطانيا قلقاً شديداً عندما وصلت القوات المصرية ـ التركية إلى الصومال وأطلت على رأس جواردافوي الذي يقع على بعد ٢٥٠ كيلو متر من سقطرى . وأرسل المقيم السياسي في عدن رسائل إلى حكومته عام ١٨٧٤ ينبه إلى هذه المخاطر . وقررت بريطانيا مرة أخرى محاولة شراء أو تأجير سقطرى من سلطانها الجديد وبالفعل وقعت بريطانيا مع سلطان المهرة وسقطرى السلطان سعد بن حامد بن عفرار اتفاقية صداقة عام ١٨٧٦ وبموجبها أعطت بريطانيا للسلطان

٣٠٠٠ ريال فضي دفعة واحدة ، ومقرر سنوي مقداره ٣٦٠ ريالاً فضياً (ماريا تريزا) ، وبالمقابل فإن على السلطان أن لا يقيم أي علاقة مع أي دولة سوى بريطانيا . وفي العام التالي (١٨٧٧) مات السلطان وتولى بعده ابن عمه السلطان سالم بن عيسى الذي رتبت له بريطانيا زيارة إلى عدن مع استقبال حافل[١] .

بريطانيا تحتل سقطرى رغم اتفاقية الصداقة : ورغم وجود اتفاقية الصداقة إلا أن بريطانيا العظمى قررت أن تحتل الجزيرة بعد أن عرفت ضعف السلطان وحاميته ومداخل الجزيرة ومخارجها ، وبعد أن أوجدت علاقات مع بعض مشايخ الجزيرة . وبالفعل قامت بريطانيا باحتلال سقطرى عام ١٨٨٦ ضاربة عرض الحائط بمعاهدة الصداقة . وهو أمر نلاحظه على مدار التاريخ عند الدول الأوربية في تعاملها مع الآخرين . . وجعلت بريطانيا سقطرى تابعة لمستعمرة عدن ، وقُدِّر سكانها آنذاك بتسعة آلاف شخص[٢] .

لغة أهل سقطرى حميرية قديمة مختلطة بالعربية (القرشية) : وكان القبطان هينس قد لاحظ أن لغة أهل سقطرى تختلف عن اللغة العربية في اليمن وحضرموت والأقطار الأخرى . وأدرك أن اللغة المهرية ليست إلا لغة حميرية قديمة تتخللها بعض الألفاظ العربية . ويفتخر المهريون بلغتهم وبنسبهم إلى عاد بن أنس بن إرم ابن سام بن نوح[٣] .

وقد لاحظ هينس واللفيتنانت ويلستد (١٨٣٤) أن الطبقات

(١ ـ ٣) برين دو : سقطرى جزيرة السكينة ص ٢١ ـ ٢٤ والملحق من نفس الكتاب ص ٢٠٥ ـ ٢١٩ .

الدنيا والبدو من أهل سقطرى لا يعرفون من الإسلام إلا القشور ، بل إن بعضهم لا يعرف كيف يصلي . وقد لاحظا أن الذكور لا يختنون إلا عندما يشارفون سن العشرين على عكس ما شاهداه في المناطق الإسلامية الأخرى التي يختن فيها الذكور في سن الطفولة[1] . وفي حفل الختان يقص شعر الرأس الكث الأشعث ويلبس المختون عمامة ويرجّل ما بقي من شعره ويعقده إلى الخلف .

وقد لاحظ هينس أيضاً أنهم يحملون سيوفاً ليس لها أغماد وأنهم يجيدون استعمال العصي والحجارة . ويقيم السلطان في قشن في المهرة بينما يرسل أحد أبناء أخيه إلى سقطرى .

وتعتبر الجزيرة هادئة ومسالمة . ولكن إذا حدثت جريمة قتل فإن على القاتل وأهله أن يدفعوا دية لأهل القتيل وذلك لإقامة هدنة محددة فإذا انتهى الأمد فإن من حق أولياء الدم أن يثأروا لقتيلهم .

وفي حالة السرقة فإن على الجاني أن يعيد المال المسروق كما أن عليه أن يدفع غرامة ولكن لا تقطع يده .

ومنذ احتلال سقطرى وجعلها تابعة لحكومة عدن قامت عدة بعثات بزيارة سقطرى ودراستها . ففي عام ١٨٨٠ قامت بعثة البروفسور الدكتور بلفور J.B. Balfour (أستاذ علم النبات) من جامعة جلاسجو بزيارة سقطرى وكتابة تقرير عن نباتاتها وحيواناتها .

---

(١) ليس ذلك مقتصراً على سقطرى ففي تهامة وعسير كان الأطفال لا يختنون إلا بعد البلوغ ويتركون حتى يشارفون سن العشرين . وقد استمروا على ذلك إلى عهود قريبة جداً (عشرين عاماً فقط) .

وفي العامين التاليين (١٨٨٠ ـ ١٨٨٢م) قام البروفسور شوينفورث G. Schweinfurth عالم النبات المشهور بزيارات متعددة لدراسة مكثفة عن نباتات سقطرى .

وفي عام ١٨٨٣ قام المقيم البريطاني بدراسة إقامة فنار في رأس مومي (أقصى الشمال الشرقي للجزيرة) وتكفلت حكومة بريطانيا في الهند بنفقات إقامته وتشغيله بعد أن وافق سلطان المهرة على ذلك عام ١٨٨٥ .

وعندما تحطمت السفينة Airy عام ١٨٨٤ قام الأهالي وسلطان قشن بإنقاذ عدد من بحارتها وإكرامهم فقدمت له بريطانيا خطابات الشكر مع ٥٠٠ ريال فضة عرفاناً بالجميل .

ولكنها في عام ١٨٨٦ قامت بفرض معاهدة حماية مع سلطان المهرة وسقطرى بحيث تكون سقطرى تحت حماية بريطانيا . وتم رفع العلم البريطاني في تمرده (حديبو) في ٣٠ أكتوبر ١٨٨٦ ، وفي ٣ نوفمبر ١٨٨٦ رفع العلم البريطاني في قلنسية .

وفي مايو عام ١٨٨٦ زادت بريطانيا المقرر السنوي لسلطان قشن بمقدار ١٢٠ دولاراً (٣٦٠ + ١٢٠ = ٤٨٠) وبقيت العلاقات مع سلطان المهرة من آل عفرير جيدة حتى عام ١٩٦٧ عندما أمرت بريطانيا جميع السلاطين في الجنوب أن يهربوا ويسلموا السلطة إلى الجبهة القومية (التي دعمتها بريطانيا وسلمتها البلد بأسرها بعد اتفاقات سرية) .

مجموعة من الصور لسقطرى
ومدنها وجبالها ونباتاتها وحيواناتها البرية والبحرية

صورة رقم (١) : مدينة حديبو (قمردة) عاصمة سقطرى كما تبدو من البحر وهي مدينة صغيرة جميلة متواضعة ببيوتها من الحجارة وتحيط أشجار النخيل بأكثر المنازل . وميناءها رديء ولا ترسو فيه السفن ، ويحتاج إلى تعميق . كما أن المدينة تفتقر إلى المياه النظيفة والكهرباء والخدمات الصحية .

صورة رقم (٢) : المسجد الجامع لحديبو وهو مسجد متواضع .

صورة رقم (٣) : باب منحوت على واجهة أحد المنازل البسيطة في حديبو . ومع ذلك فإن زخرفة الباب وطريقة نحته تدل على ذوق وفن .

صورة رقم (٤) : مدينة حديبو وتبدو خلفها (من الجنوب) جبال حجهر التي يصل ارتفاعها إلى ١٥٠٠ متر فوق سطح البحر . . والتي تكثر فيها أشجار الصبر ودم الأخوين وغيرها من الأشجار الغريبة .

صورة رقم (٥) : صورة من قلنسية حيث يصطادون «القرش» المعروف محلياً باسم «اللخم» ويجففونه ثم يصدرونه . (خمسين ألف حوت من اللخم سنوياً) .

صورة رقم (٦) : فتى صياد من قلنسية يحمل على كتفه سمك القرش المفترس وتحت قدميه عشرات من سمك القرش التي تجفف وتملّح وتصدّر إلى شرق إفريقيا وعمان وحضرموت .

صورة رقم (٧) : صورة من جبال قلنسية (رأس قلنسية) توضح بقايا ثلاث قلاع أثرية بنيت في الماضي للدفاع عن الجزيرة من المعتدين .

صورة رقم (٨) : الصيادون من قرية قطوب (كادوب) يجففون مئات الأسماك على الصخور بعد تمليحها استعداداً لتصديرها إلى حضرموت وشرق إفريقيا وعمان .

صورة رقم (٩) : مسجد قرية كادوب (قطوب) ويحرص الأهالي على بناء مسجد أو أكثر في كل قرية . . وتكثر المساجد في المناطق الساحلية حيث يسكن عدد من الحضارم والمهرة . . وقد يوجد بينهم طلبة علم يرشدون الناس . أما المناطق الجبلية فلا تكاد ترى بها مسجداً ، والجهل بالدين فيها مطبق .

صورة رقم (١٠) : صورة خلابة لجبال رأس حباق الذي يقع غرب كادوب مباشرة . وتبدو أشجار الخيار السقطري النادرة الوجود مع منظر الجبال والشاطئ اللازوردي مع الرمال الناعمة الصفراء في منظر بانورامي أخاذ .

صورة رقم (١١) : الصيادون من قطوب(كادوب) يرتاحون في ظلال السمبوق بعد عناء رحلة الصيد الشاقة .

صورة رقم (١٢) : الشاطئ الرملي الناعم والصياد يحمل بعض الأسماك وقارب الصيد عائد من رحلته . منظر يتكرر في معظم سواحل سقطرى الشمالية . الصورة هنا لقرية غوبّة Ghubbah التي تقع في منتصف الساحل الشمالي لجزيرة سقطرى .

صورة رقم (١٣) : صورة من بادية سقطرى ورحلة الجمال في تلك الشعاب والوديان بحثاً عن الكلأ

والمرعى الخصيب في جبال حجهر . . وفي منطقة «دعرهو» قلب البادية السقطرية تكون الجمال ذات أهمية بالغة . وتحية القوم فيها بحك الأنوف ، وهي عادة منتشرة في أنحاء الجزيرة العربية ودول الخليج .

صورة رقم (١٤) : صورة لوادي قليسان Kilisan في بادية سقطرى حيث يعمل الأهالي برعي الماشية أساساً . . كما أن لكل أسرة مجموعة من النخيل أيضاً . صورة أخرى لوادي قليسان الذي تكثر فيه الأعشاب والصخور وفي الصورة بقايا جدار صخري .

صورة رقم (١٥) : حيرة (بركة) دائمة تتكون من عيون لا تنضب تقع وسط جبال الحجهر .

صورة رقم (١٦) : صورة لمجموعة من أبقار سقطرى بالقرب من ساحل حديبو . وتكثر الأبقار في المناطق الجبلية لدى الرعاة . وهي أبقار صغيرة الحجم نسبياً وبدون سنام ولكنها تنتج اللبن بكميات وافرة . وقد قدرت حكومة عدن عددها عام ١٩٨٤ بأربعة آلاف بقرة .

صورة رقم (١٧) : فتاة سقطرية صغيرة تعرض بضاعتها من اللبان السقطري الذي كان في الماضي مطلوباً في مصر واليونان وروما والهند لمعابدها . وفوق رأس الصبية قرون الوعول المنتشرة في سقطرى .

صورة رقم (١٨) : صورة مدينة السوق التاريخية التي غزاها البرتغاليون وهدموا مسجدها ثم عند انسحابهم هدموا قلعتها وتوضح الصورة بقايا المسجد الأثري الذي حوله البرتغاليون عند استيلائهم على الجزيرة إلى كنيسة (سيدتنا سيدة النصر) . وتظهر بقايا الأعمدة وبقايا الدرج لباحة المسجد الأصلي الذي هدمه البرتغاليون الهمج عند انسحابهم من الجزيرة .

صورة رقم (١٩) : بقايا قلعة مدينة السوق . وتبدو القرية الحالية ولا يزال يحيط بها بقايا جدران الحصون الممتدة حولها . لقد بنى حكام سقطرى من بني عفرار من المهرة هذه القلعة ثم هدمها البرتغاليون عند انسحابهم ، ثم عاد أهل سقطرى وبنوها من جديد . . ولكنها تهدمت بعد ذلك بفعل عاديات الزمن .

صورة رقم (٢٠) : صورة لمدينة السوق تظهر فيها بقايا القلعة القديمة ، كما تظهر بحيرة صغيرة ماؤها عذب تحيط بها النخيل ، بالقرب من شاطئ البحر ومن الخلف جبل حواري ليكتمل المنظر البديع .

صورة رقم (٢١) : الفريق البريطاني لدراسة واستكشاف جزيرة سقطرى عام ١٩٦٧ برياسة الماجور بيتر بوكسهول ومجموعة من الباحثين في مختلف المجالات يرتاحون تحت ظلال النخيل في مدينة السوق ووضعوا لافتة أسموها هيلتون السوق للدلالة على موقع إقامتهم وللتسلية .

صورة رقم (٢٢) : كوخ مبني من جريد النخل والحجارة وجذع النخلة يستخدمه الرعاة الجبليون أثناء نزولهم من جبال حجهر في أثناء الشتاء الفارس . وفي الصيف ينتقل الرعاة مرة أخرى إلى الجبال الشاهقة .

صورة رقم (٢٣) : تستخدم هذه المغارات في جبل حواري المطل على مدينة السوق كمقابر عند الشدائد والأوبئة والمجاعات .

صورة رقم (٢٤) : أحد رجال سقطرى يدخن التبغ في غليونه الغريب الشكل الذي يصنعونه من الأشجار .

صورة رقم (٢٥) : هذا الفتى السقطري الوسيم اختلطت فيه الدماء العربية واليونانية . . ولا تستغرب عندما ترى عيوناً زرقاء مع بشرة سمراء فقد أسكن الإسكندر المقدوني مجموعة كبيرة من جنده في هذه الجزيرة قبل ٢٣٠٠ عام واستقروا هنالك واختلطوا بالأهالي على مدى الزمن .

صورة رقم (٢٦) : يتم التبادل التجاري في كثير من الأحيان بالمقايضة فيقدم الأهالي أصداف اللؤلؤ وأسماك القرش ويأخذون مقابلها الأرز والشاي والسكر والأقمشة . . وتوضح الصورة أحد الأهلي وهو يقدّم الأصداف إلى التاجر .

صورة رقم (٢٧) : يخشى الأهالي من ذبابة ديمازر الاستوائية التي تضع بيضها في أنف الإنسان أو الحيوان أو فمه وتنمو فيه اليرقات حتى تكاد تخنقه . . ولذا يبادر الأهالي وخاصة في بادية سقطرى إلى وضع عقد من الخرز أعلى الشفة العليا وعلى مدخل الأنف لوقايته منها حسب اعتقادهم ، وربما كان وجود الخرز عاملاً مهما لإبعاد الذبابة الخطيرة .

صورة رقم (٢٨) : خريطة سقطرى كما رسمها البرتغاليون عام ١٥٤١ وتوضح الصورة خليج حديبو من منطقة رأس حباق وتبدو في خلفية الرسم جبال حجهر (الجهة اليمنى من الصورة) أما في الجهة اليسرى فتبدو مدينة السوق والقلعة قرب الساحل والكنيسة (المسجد الذي حوله البرتغاليون إلى كنيسة) . وتبدو سفن البرتغاليين العديدة راسية في حديبو وأخرى مواجهة لمدينة السوق .

صورة رقم (٢٩) : فتاة سقطرية بدوية بلباسها التقليدي مع جميع زينتها (النطاق والاقراط والأسورة كلها من الفضة) وتتدلى من النطاق مجموعة من المفاتيح .

صورة رقم (٣٠) : فتاة سقطرية تغزل الصوف أثناء رعيها لأغنامها . والسقطرية نشيطة فهي تعمل في الرعي والغزل وتجلب المياه عند الحاجة ، وتطبخ الطعام وتداوي المرضى ولها استقلالها المالي فهي تملك قطعاناً من الماشية ومجموعة من النخيل وتبقى معها بعد زواجها ، فإذا حدث طلاق أخذت جميع أموالها ورجعت إلى بيت أهلها . وقد لاحظ الباحثون الكثرة النسبية في حوادث الطلاق في البادية ويسر الزواج للبكر وللمطلقة . فقد تتزوج المرأة في البادية عدة مرات . . ولا تشعر في ذلك بالحرج . . بينما زواج المطلقة غير يسير في كثير من البلاد العربية والإسلامية .

صورة رقم (٣١) : بقايا قلعة صغيرة في منطقة رأس حباق وتوضح الصورة أحد أبناء بادية سقطرى يعبر الوادي مع جماله في هذه المنطقة الوعرة .

صورة رقم (٣٢) : بقايا مذبح من كنيسة قديمة في منطقة سمار قار Simar Qar عندما كانت سقطرى نصرانية .

صورة رقم (٣٣) : قرية جارات في جزيرة عبد الكوري الصغيرة التابعة لسقطرى . وتبدو البيوت الصغيرة مبنية من الأخشاب المحلية والحجارة كما يبدو ركام من الحجارة المنصوبة كمعلم .

صورة رقم (٣٤) : قط الزباد (أكبر من القط المستأنس) يأكل الدجاج والتمر وسمك السارديين . يمسكه الأهالي ويضغطون على غدة بالقرب من فرجه فيفرز مادة دهنية هي الزباد الذي يستخدم لتثبيت العطور الفاخرة ، ويخلط مع أنواع الطيب فيعطيها قوة نفاذة في رائحتها .

صورة رقم (٣٥) : شجرة دم الأخوين (الايدع) التي يسميها الأوروبيون دم التنين Dragon blood أو Dracaena Cinnabari وتكثر في جبال سقطرى وخاصة في منطقة «عصا جالو» و«دعرهو» ولها خصائص طبية كثيرة .

صورة رقم (٣٦) : الأواني الفخارية التي يزيّنها أهالي سقطرى بعصارة شجرة دم الأخوين (العندم ، الايدع) .

صورة رقم (٣٧) : شجرة الصبر (الألوه) Aloe Vera يستخرج منه الصبر الذي يستخدم في الطب القديم ، وبدأ استخدامه مرة أخرى في مراهم الحروق والتجميل . وأجود أنواعه السقطري .

الصورة رقم (٣٨) : شجرة اللبان (الكندر) Olibanum (Frankincense) التي تنمو في سقطرى

وحضرموت والمهرة وعمان والصومال . . وكانت للبّان أهمية قصوى في المعابد ، واستخدم في الطب القديم على نطاق واسع ولا يزال يستخدم أحياناً في الطب الشعبي .

صورة رقم (٣٩) : شجرة يوفوربا عبد الكوري (الحليبة أبو لبن ، ويوفوربا العربية) . تستخدم في الأغراض الطبية لعلاج لدغة الثعبان والعقرب والأمراض الجلدية . ومغلي النبات يستخدم للسعال والربو ولإدرار البول والإمساك . ويسميها أهل سقطرى (أمتي) .

صورة رقم (٤٠) : شجرة نريمو Adenium (العدنة) التي تنبت بين الصخور بدون زراعة . يستعمل الأهالي إفراز جذعها لعلاج أمراض العيون ، أما أوراقها فسامة . وتوجد هذه الشجرة في جبال سقطرى واليمن وعسير . وقد استطاع الباحثون من كلية الصيدلة في الرياض استخراج أربع مواد مضادة للسرطان منها . وتوضح الصورة أشجار العدنة المنتشرة في جبال حجهر في سقطرى .

صورة رقم (٤١) : شجرة الخيار السقطري المعجب Cucumber Trees (Dendrosicyos Socotrana) يسميها الأهالي قمحين . وهي مصدر للدواء ولغذاء الجمال . وتوضح الصورة أيضاً جبال رأس كورمه .

صورة رقم (٤٢) : بادية سقطرى حيث يشتغل معظم البادية برعاية الماشية ونتيجة وعورة الطرق فإن الجمال هي وسيلة الانتقال الوحيدة . وتوضح الصورة الرعاة حول بئر في منطقة وادي سبلين بالقرب من رأس كورمه Qormih .

صورة رقم (٤٣) : شجرة المر Myrrh الذي يستخدم في الأدوية والبخور منذ أقدم الأزمنة .

صورة رقم (٤٤) : سمك القرش (اللخم) المشهور بضراوته وشدته وقوة افتراسه وسرعته التي تصل إلى ٢٠ ميل في الساعة . . وسمك التونه (الديرك ، الشمد) ومنه أنواع كبيرة . . وكلاهما يكثر في بحار سقطرى . . ويصطادهما بكثرة أهل سقطرى رغم وسائلهم البدائية جداً . . ويعتمد الصياد على مهارته وشجاعته وقدرته على استخدام الحربة لصيد القرش ويستخدم الشباك القوية والكبيرة نسبياً لصيد أسماك التونة .

صورة رقم (٤٥) : شجرة الأترج التي مدحها الرسول ﷺ وقال «إن المؤمن مثل الأترجة ريحها طيب» وطعمها طيب تنمو هذه الشجرة المباركة في اليمن وفي سقطرى .

صورة رقم (٤٦) : رسم يوضح حوت العنبر Spern Whale رقم (١) والحوت الأزرق Blue Whale رقم (٢) . يعيش حوت العنبر في المناطق الدافئة مثل المحيط الهندي ويكثر حول سقطرى . . ويقذف من أمعائه العنبر فيحمله الموج إلى الساحل ويوجد طافياً في البحر . . وقد كان يوجد بكميات تجارية في سواحل وشواطئ سقطرى . .

والحوت هو الذي بلع سيدنا يونس (إذ أبق إلى الفلك فساهم فكان من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم) . . والحوت العنبر هو الذي وجده سيدنا أبو عبيدة في غزاه على سيف البحر بعد أن أجهدهم الجوع فأكلوا منه وائتدموا لمدة شهر وحملوا منه وشائق وأطعموها النبي ﷺ .

صورة رقم (٤٧) : تكثر حيتان الدولفين في بحار سقطرى . . وهي من أذكى المخلوقات البحرية وألطفها ، وتعتبر نوعاً من أنواع الحيتان رغم صغر حجمها بالمقارنة مع الحوت . وهي من الثدييات ولها قدرة كبيرة على التعلم ، وقد وصفت بأنها تساعد الإنسان ولا تعتدي عليه أبداً إلا إذا اعتدى عليها .

صورة رقم (٤٨) : أسماك التونة (الديرك ، الكنعد) التي تكثر في سواحل سقطرى .

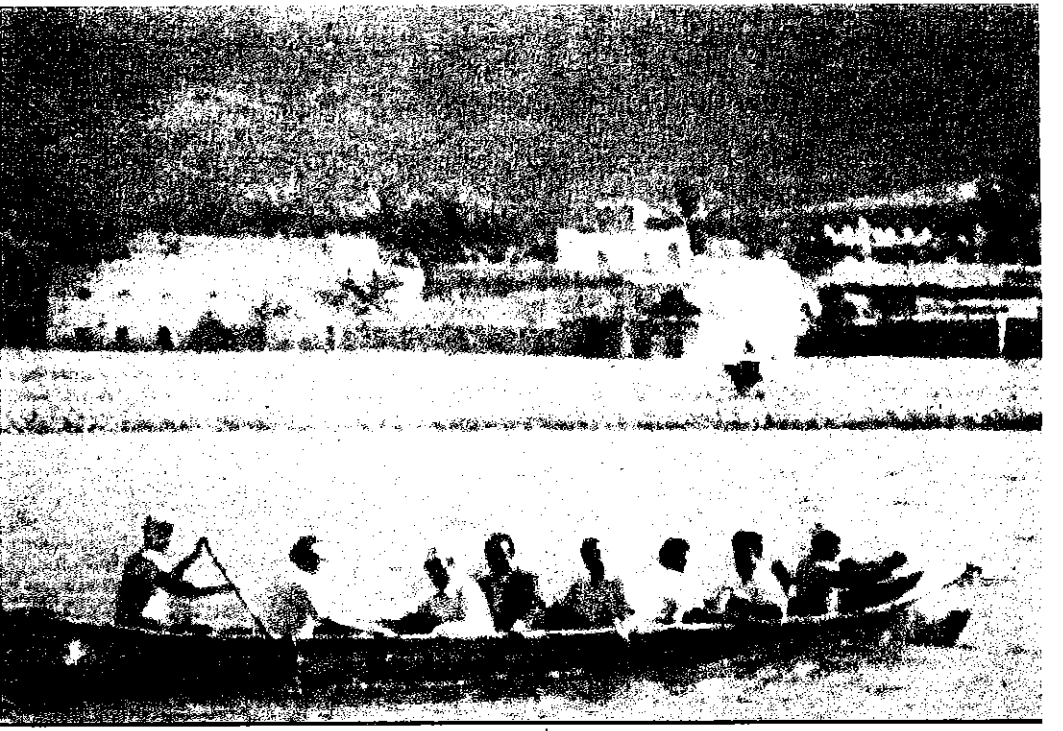

١

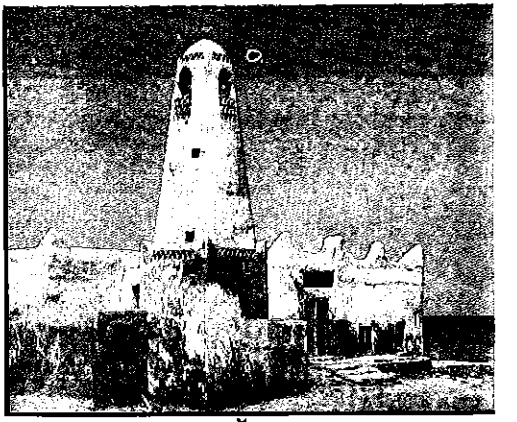

٢

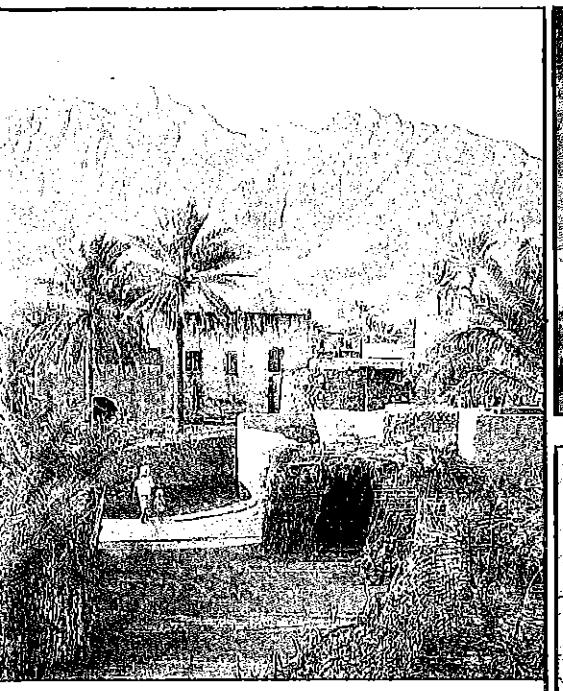

٤

٣

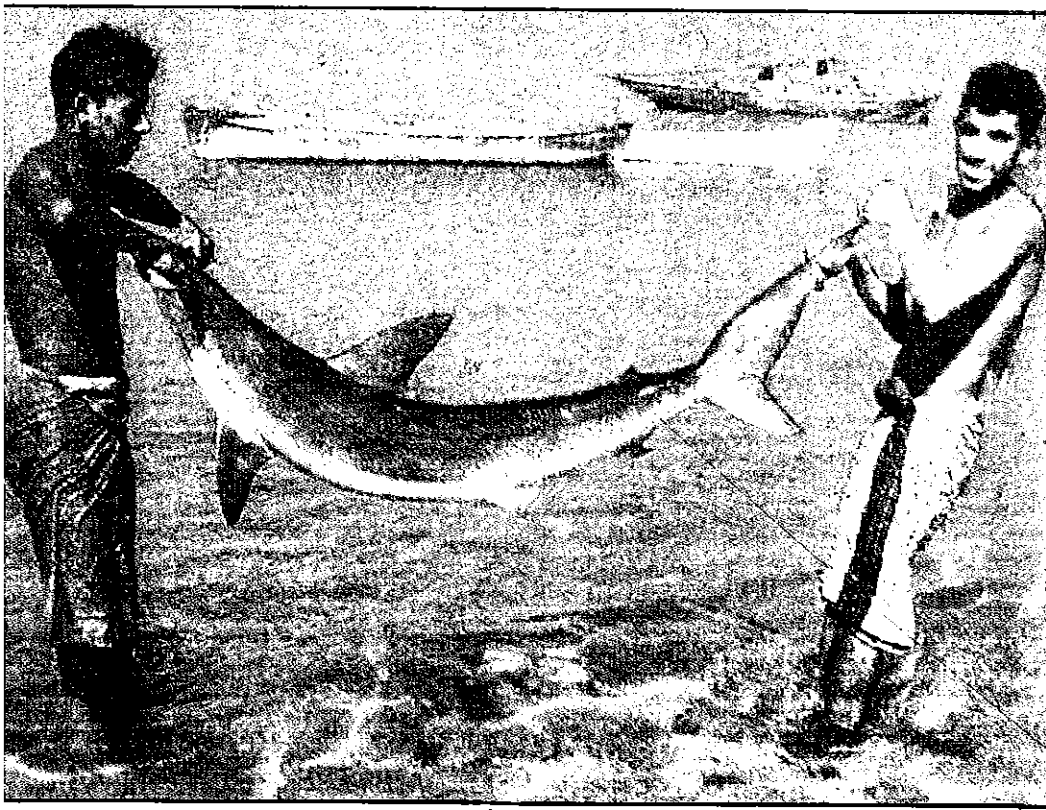

٥

٦٧

٧٧

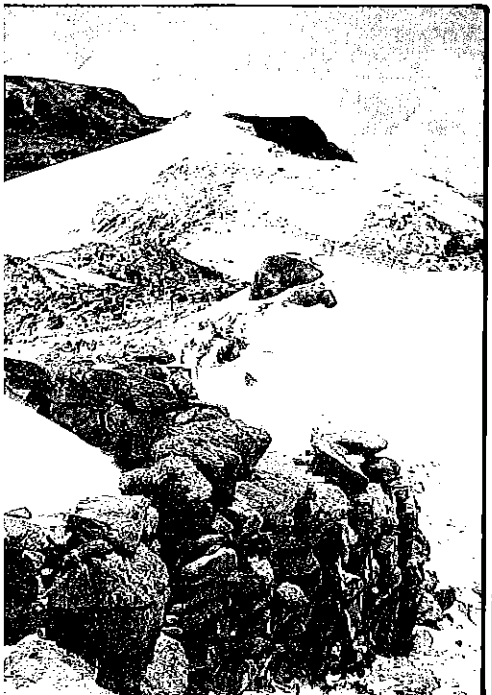

٨ ٩٧

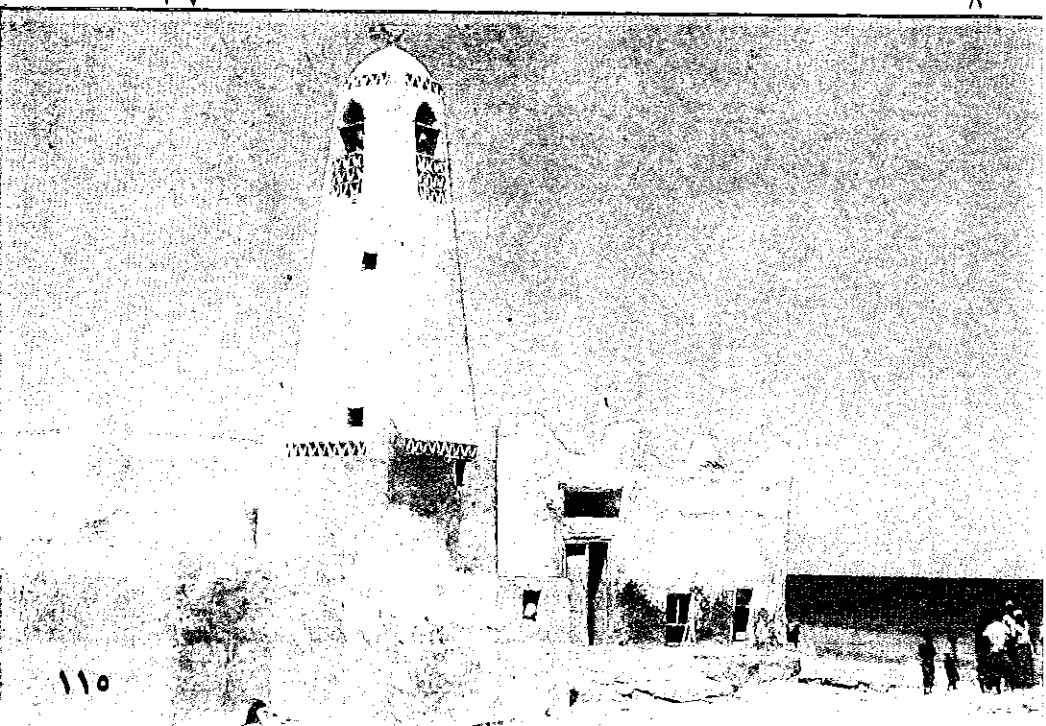

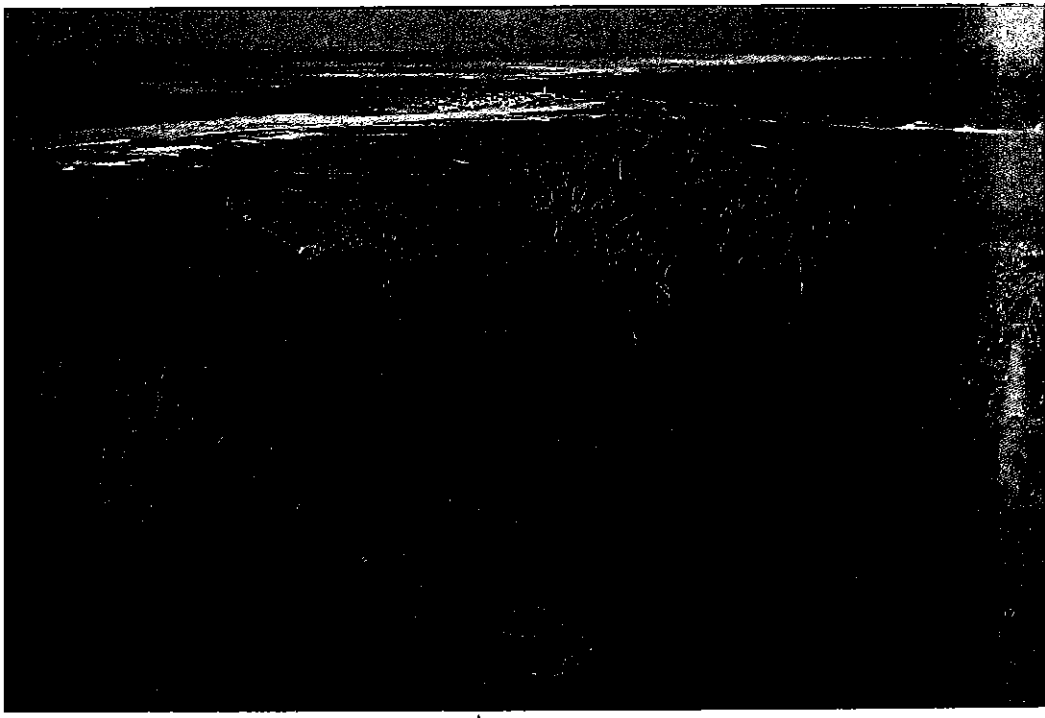

١٠

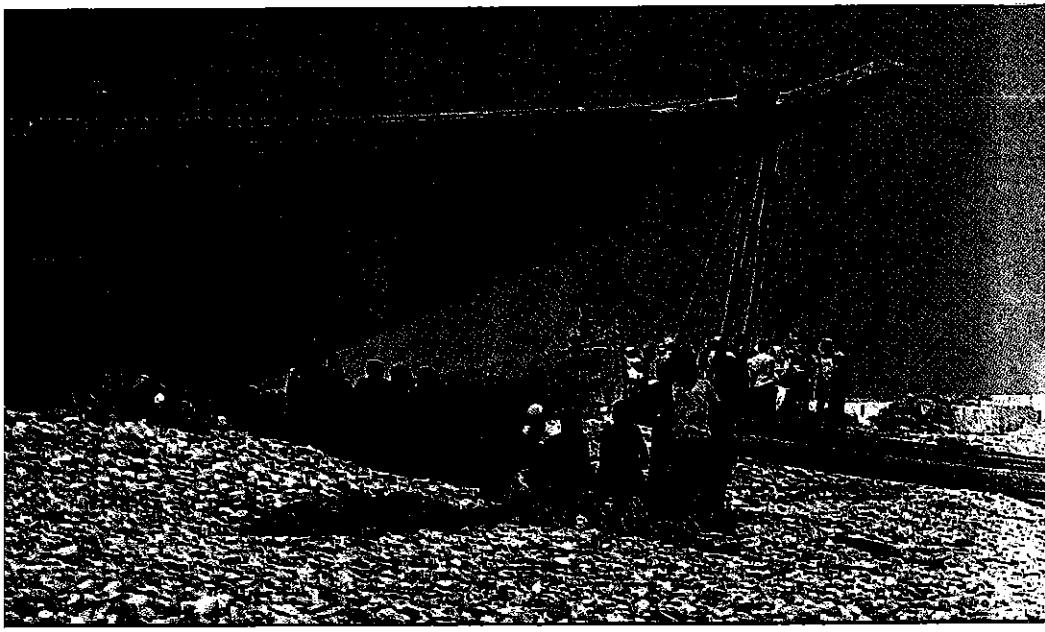

١١

١٣

١٢

١٤

١٦

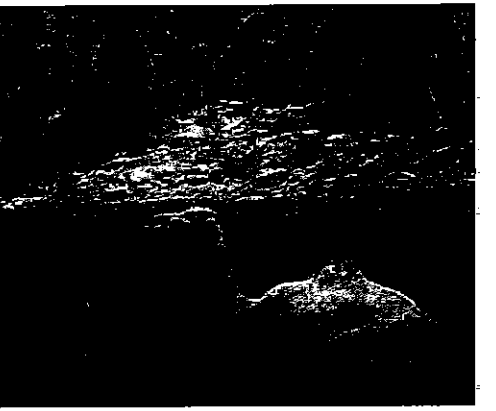

١٥

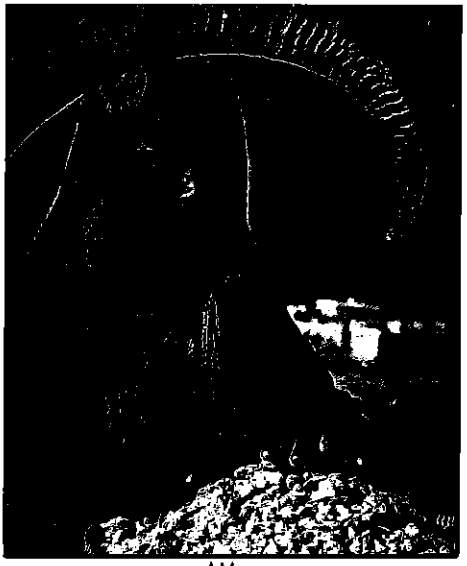

١٧

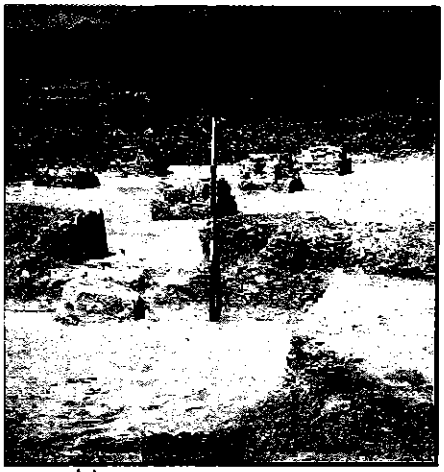

١٨

١٩

٢٠

٢١

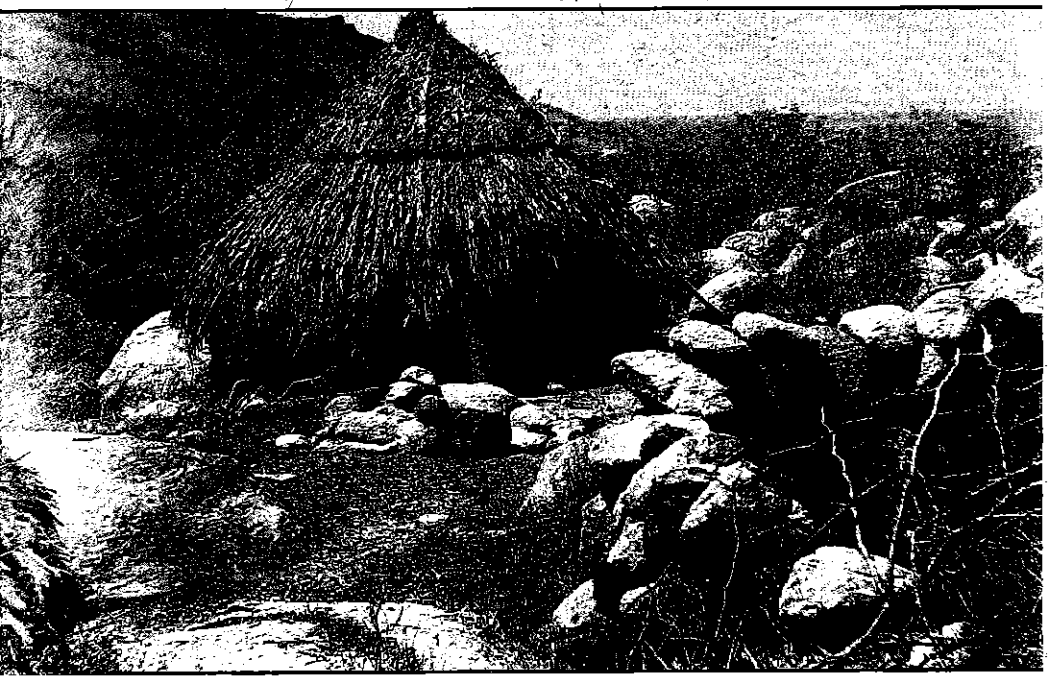

٢٢

٢٣-

٢٥

٢٤

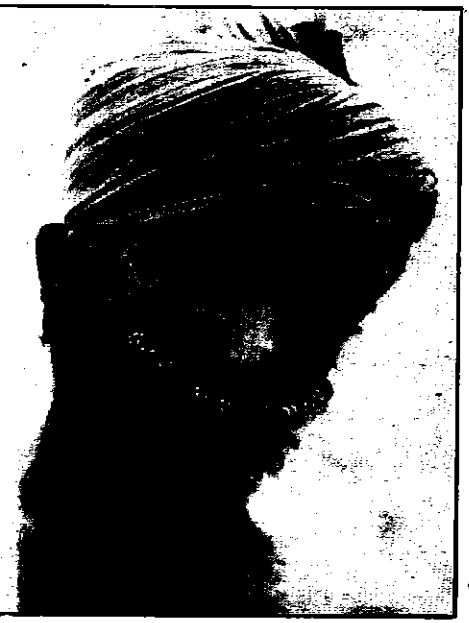

٢٧

٢٦

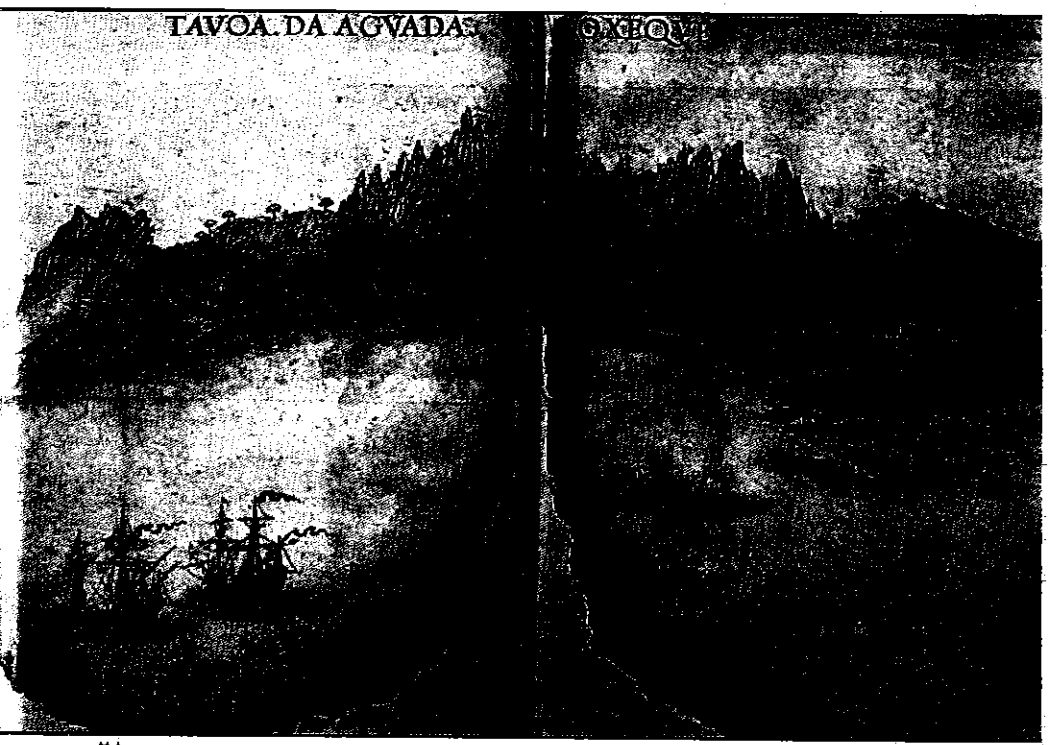

٢٨

٢٩

٣٠

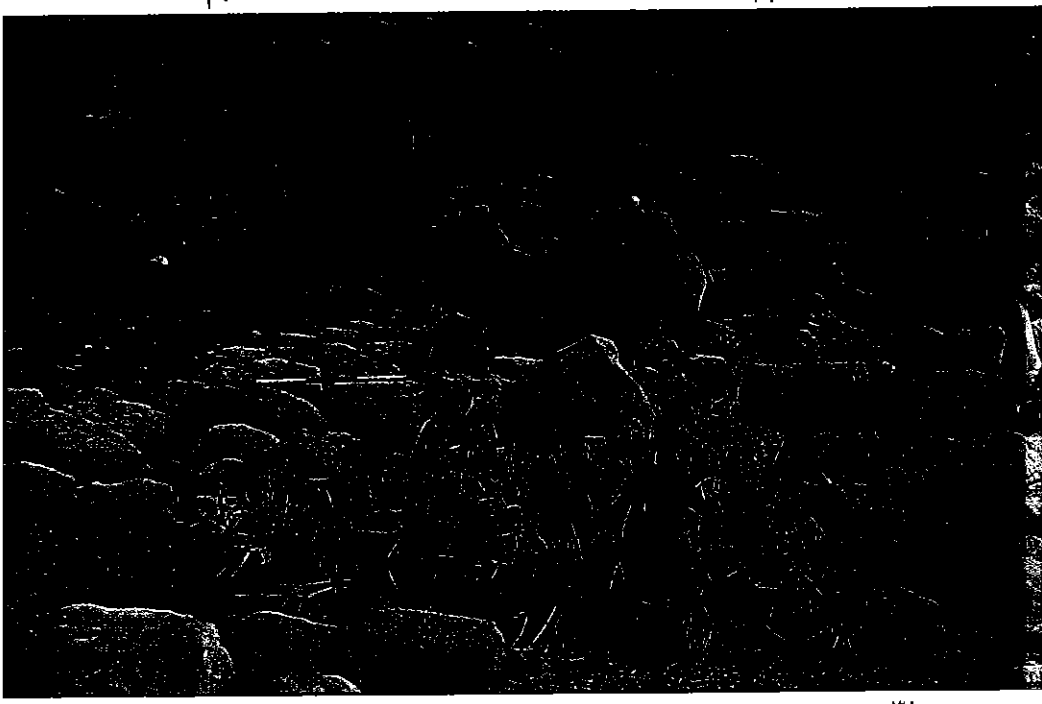

٣١

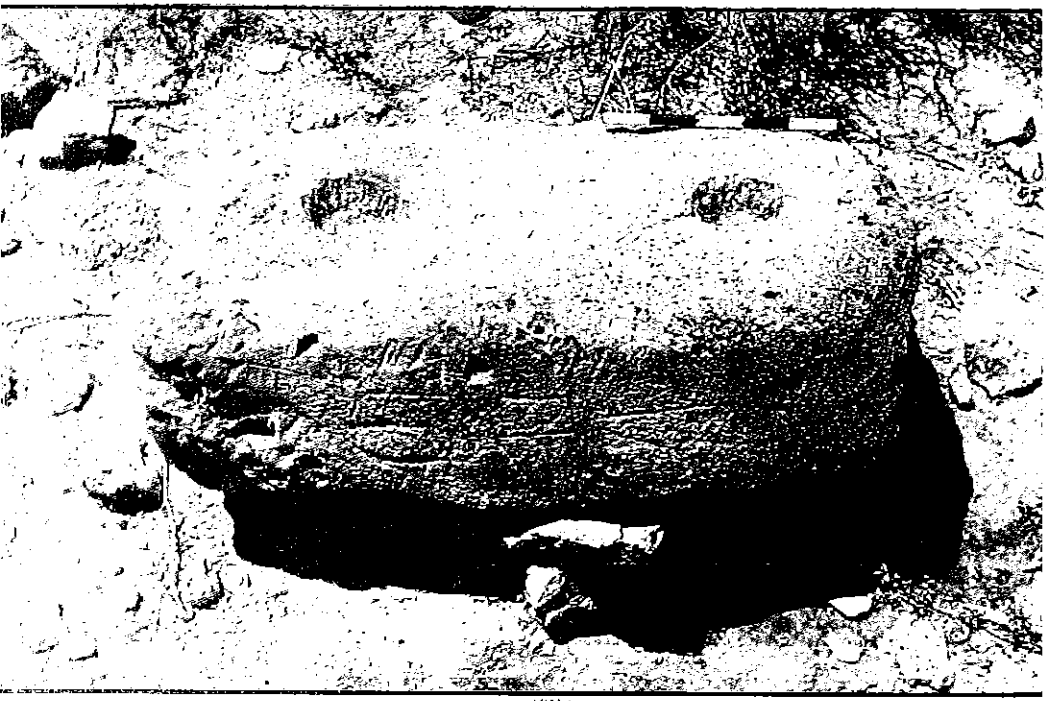

۳۲

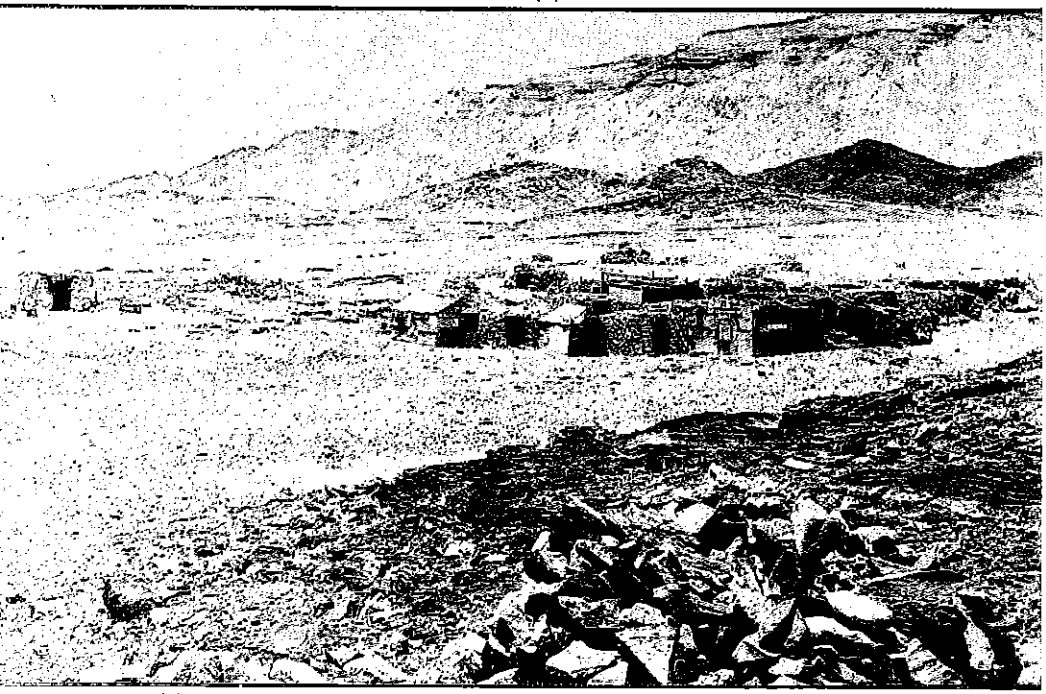

۳۳

٣٥

٣٤

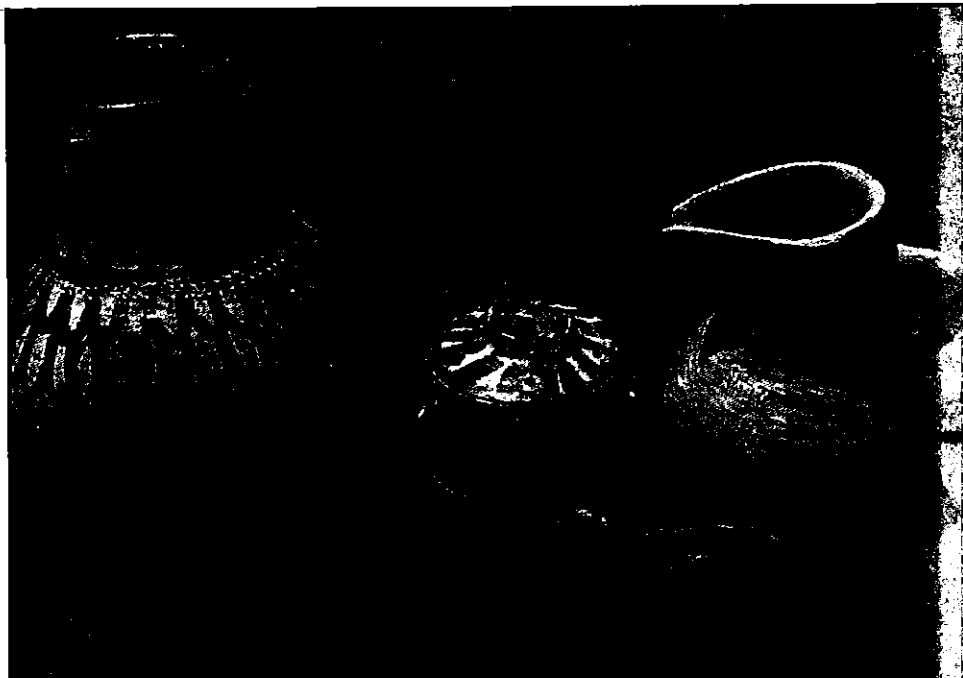

٣٦

٣٨

٣٧

٣٩

٤٠

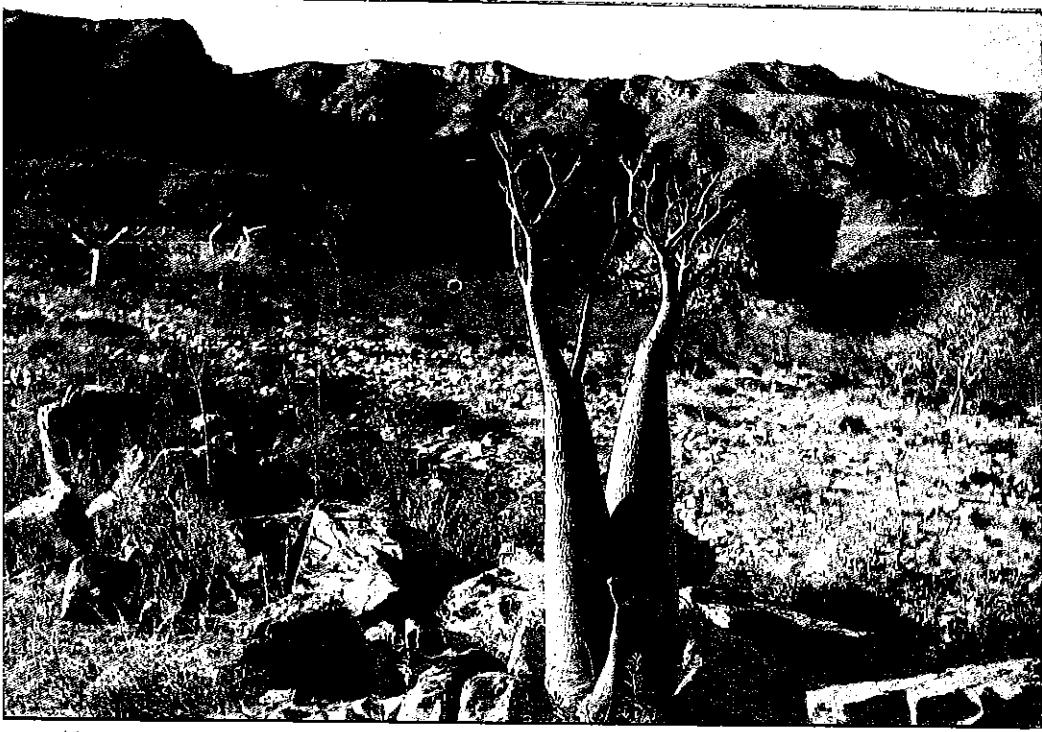

٤١

٤٢

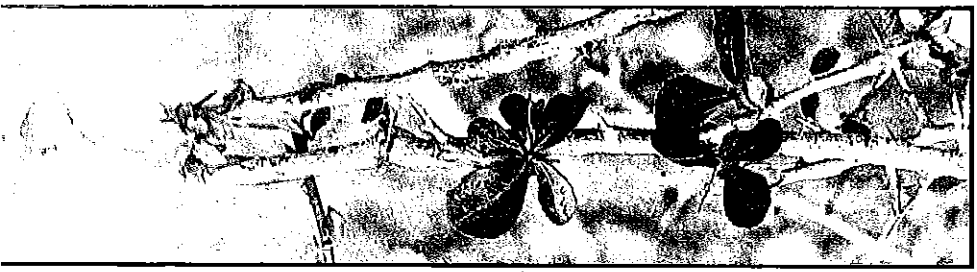

٤٣

٤٤

٤٥

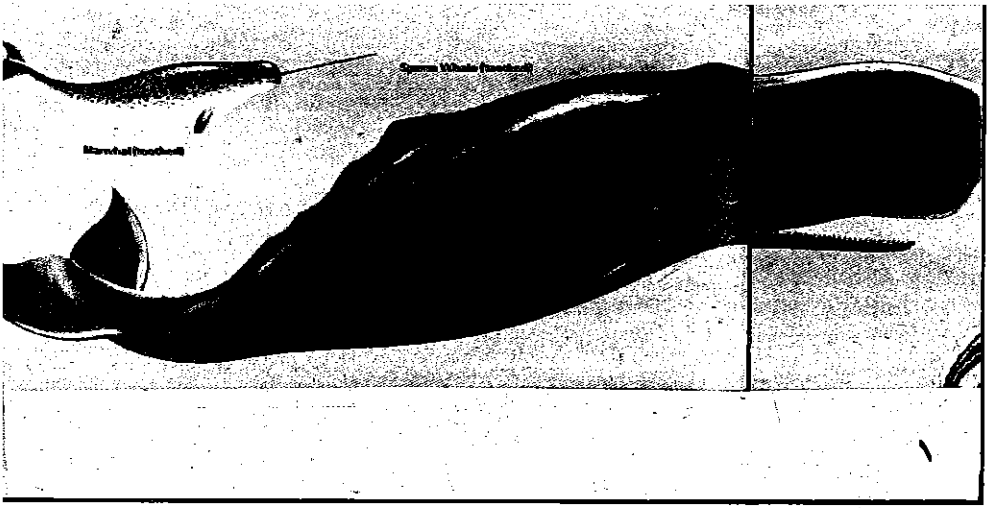

١

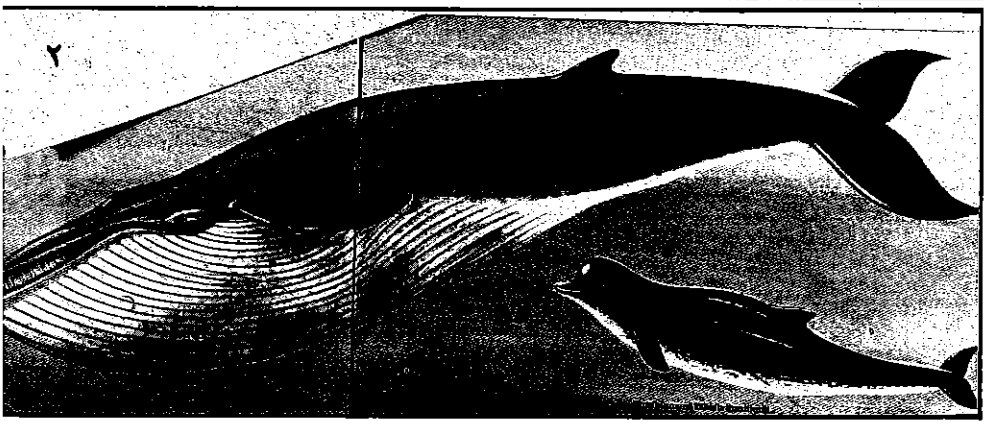

٢

٤٦

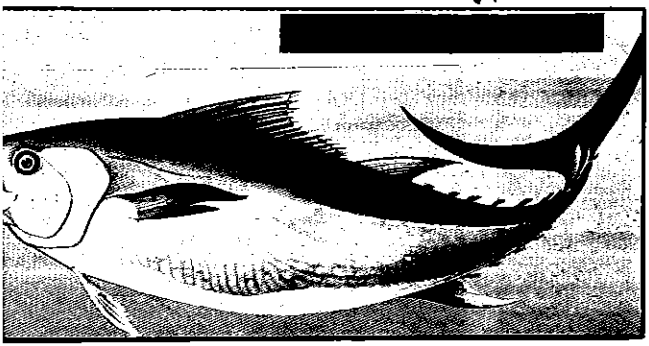

٤٨

٤٧

الفصل السادس

جغرافية سقطرى ووضعها الحالي

موقع سقطرى :

تقع جزيرة سقطرى في المحيط الهندي على بعد ٤٠٠ كيلو متر من الساحل الجنوبي لجزيرة العرب (حضرموت والمهرة) وعلى بعد ٢٥٠ كيلو متر من الصومال ، وبالذات من رأس جواردافوي ، وهو أقصى طرف لإفريقيا من جهة الشرق . ورغم أن جزيرة سقطرى تتبع محافظة عدن إلا أنها تبعد عنها بحوالي ٨٥٠ كيلومتراً (٥٩٠ ميلاً) ، وهي تقع جنوب شرق مدينة عدن . كما أنها تقع جنوب شرق مدينة المكلا على بعد ٥٠٠ كيلومتر تقريباً (٣٢٧ ميلاً) ، وجنوب مدينة سيحوت في المهرة على بعد ٣٥٠ كيلو متر (٢٣٥ ميلاً) وتقع فيما بين خطي العرض ١٢,٧ و١٢,٤٣ درجة شمال خط الاستواء وخطي الطول ٥٣,١٩ و٥٤,٣٢ درجة شرق خط جرينتش ، (انظر الخريطة رقم ١) .

وتشكل جزيرة سقطرى والجزر الأصغر الجرداء التابعة لها أرخبيلاً ، وهي تشكل امتداداً جغرافياً وجيولوجياً لساحل الصومال الشمالي . أما تاريخياً فهي مرتبطة ارتباطاً سياسياً وسكانياً واقتصادياً باليمن وبالمهرة على وجه الخصوص .

خريطة رقم (٢) خريطة جزيرة سقطرى وأهم مدنها ومعالمها

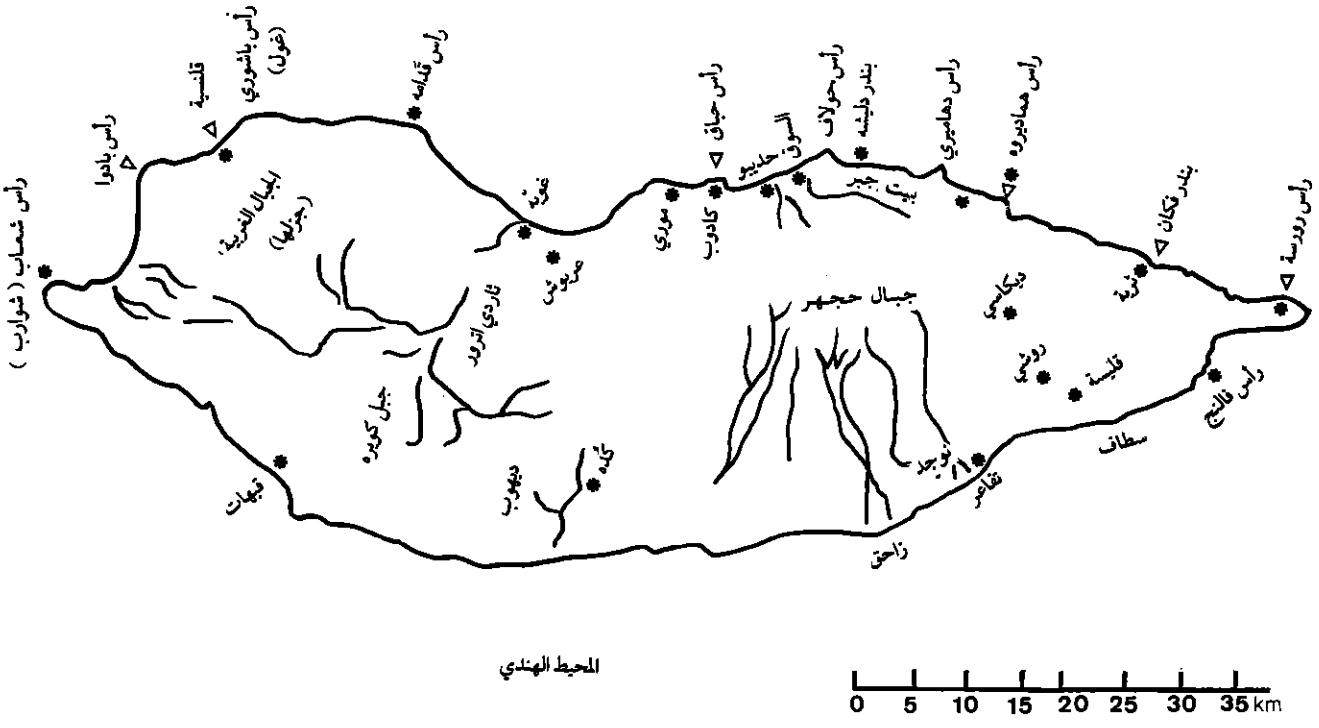

والجزر الأصغر هي جزر عبد الكوري ، والأخوين وهما : سمحة ، ودرسي ، وسمبويه ، وصخور فروق ، وكلها تقع إلى الغرب والجنوب الغربي من جزيرة سقطرى . . وكلها تتبع محافظة عدن من جمهورية اليمن . وأقصى طول لجزيرة سقطرى من رأس شوارب (شعاب) في الغرب إلى رأس مومي (رأس ردرسة) في الشرق هو ١٢٠ كيلو متراً (٧٥ ميلاً) وأقصى عرض لها ٣٥ كيلومتر (٢٢ ميلاً) ، وتبلغ مساحتها ٣١٠٠ كيلو متراً مربعاً . (انظر الخريطة رقم ٢) .

أهم مدن سقطرى ، حديبو : وأهّم مدن سقطرى حديبو (مدينة التمر أو تمرده) وهي تقع على الساحل الشمالي للجزيرة ، وهي قرية صغيرة سكانها في حدود ستة آلاف شخص تقريباً ، بيوتها متواضعة مبنية من الحجر ولكنها تتمتع بمنظر جميل إذ يحيط بأكثر البيوت أشجار النخيل . . وفيها مأمور الجزيرة وبضعة مدارس ابتدائية ومدرسة ثانوية وحيدة ، ومركز صحي ومستوصف . . ويعمل أهلها أساساً في صيد السمك وقليل منهم يعمل في الزراعة واستخراج اللؤلؤ والتجارة البسيطة . (انظر الخريطة رقم ٢ والصورة رقم ١) ويبعد المطار الصغير ١١ كيلومتراً (سبعة أميال) عن حديبو وهناك رحلة واحدة أسبوعياً للخطوط الجوية اليمنية (اليمدا) من المكلا لحديبو . . وهي الطريقة الوحيدة للوصول إلى الجزيرة في الصيف إذ إن الرياح الموسمية (من يونيه إلى سبتمبر) تجعل الوصول إلى الجزيرة عن طريق البحر أمراً متعذراً (انظر الصورة رقم ١) . وفي حديبو أربعة مساجد هي :

١ ـ المسجد الجامع وهو مسجد الجمعة (صورة رقم ٢) .

٢ ـ مسجد الروضة ويدعى أيضاً مسجد باحارث لأن الذي أقامه رجل من آل باحارث الحضارمة (من مدينة الغرفة) .
٣ ـ مسجد النور ويقع قرب منزل السلطان وفي موقعه كانت دار الحكومة القديمة ثم تهدمت وبني المسجد مكانها .
٤ ـ مسجد عبد الرحيم وهو قريب من الشاطئ .

وفي حديبو والمدن الساحلية مجموعة من السادة الحضارمة ومنهم آل الحامد (من آل الشيخ أبي بكر بن سالم صاحب عينات) ومجموعة أخرى من آل الشيخ أبي بكر بن سالم ومن آل العيدروس والجفري . . وبعضهم لهم مئات السنين في الجزيرة كما يقول سارجنت ، ويعملون في التجارة البسيطة وفي زراعة النخيل كما أن لبعضهم مزارع صغيرة للخضروات وبعض الفواكه والتمباك . . ويشتغل بعضهم بالإرشاد الديني ، وإن كان الجهل بالدين متفشياً في سقطرى وخاصة في المناطق الجبلية حيث لا يعرفون من الإسلام إلا القشور . . وكثير من البدو لا يعرفون كيف يصلون . ويتهاونون بالصلاة وأمور الدين .

وتعتبر قلنسية (على الساحل الشمالي الغربي للجزيرة) ثاني أهم مدنها ، وأهلها يشتغلون بصيد الأسماك ، وهي قرية صغيرة ليس فيها سوى مدرسة ابتدائية واحدة ومركز صحي صغير جداً (الصور ٥ إلى ٧) . . وقد ذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان أيضاً مدينة السوق ، وذكرها أيضاً المستشرق بنت Bent وقال إنها كانت قائمة في أثناء الغزو البرتغالي للجزيرة (١٥٠٧ ـ ١٥١١م) ثم أصبحت خربة ، وهي الآن قرية صغيرة تقع شرق العاصمة حديبو (انظر الخريطة رقم ٢ والصور ١٨ ـ ٢١) ولا تزال بها بقايا

القلعة التي هدمها البرتغاليون عند انسحابهم منها ثم أعاد آل عفرار بناءها . وترى في الصور بقايا المسجد الذي حوله البرتغاليون الهمجيون إلى كنيسة عند استيلائهم على سقطرى سنة ١٥٠٧م . وقد ذكر كتاب التاج ثلاث مدن في سقطرى :

الأولى : **تمردة** (مدينة التمر) وهي حديبو التي تعتبر مرفأ جيداً ما عدا أيام الرياح الموسمية .

والثانية : **منيسه** والتي كانت مقر ملك الزنج (لأن الأحباش احتلوا سقطرى عندما احتلوا اليمن) .

والثالثة : **بندر دليشة** ، ولا تزال قائمة وتقع شرق حديبو على الساحل الشمالي للجزيرة . . والملاحظ أن معظم المدن (في الواقع قرى صغيرة) تقع على الساحل الشمالي ، ويعمل معظم الأهالي في صيد السمك . (انظر الخريطة رقم ٢) .

عدد سكان سقطرى : وهناك اختلاف في تقدير عدد السكان ، ففي عام ١٩٧١ ذكرت مجلة العربي في استطلاعها الجيّد عن سقطرى أن عدد السكان حسب التقدير الرسمي هو ٣٥ ألفاً[١] ويقول تقدير رسمي صدر عن حكومة اليمن الديمقراطية الشعبية عن سقطرى عام ١٩٨٤ أن عدد سكان سقطرى كانوا قد وصلوا أربعين ألفاً ، حسب إحصاء عام ١٩٧٣ ، وأن عشرين ألفاً منهم حضريون يسكنون المدن (الواقع قرى صغيرة) والباقون بادية يعيشون في وسط الجزيرة حيث الجبال والوديان الكثيرة والمراعي الخصبة ويشتغلون أساساً بالرعي[٢] .

---

(١) العربي : عدد يوليه ١٩٧١ رقم ١٥٢ .

(٢) Ministry of Local Government, Aden: Development potentials of Socotra Island, August 1984.

وتقع قرية كادوب (قطوب) **Qadub** على الساحل الشمالي غرب حديبو وشرق موري على رأس حباق ويشتغل أهلها بصيد السمك أساساً وإن كان لهم أيضاً بعض مزارع النخيل . وفي القرية مسجد . وتوضح الصور (٨ ـ ١١) مناظر مختلفة من قطوب . وتوضح الصور الصيادين يجففون الأسماك بعد تمليحها . كما توضح السنبوق (مركب الصيد الكبير) الذي يستخدمونه لصيد التونة واللخم (القرش) وترى جبال رأس حباق الواقعة مباشرة غرب قطوب . وتبدو أشجار الخيار السقطري العجيب ، والرمال الصفراء الناعمة والشاطئ اللازوردي في منظر بانورامي خلاب .

وتقع قرية غوبّه **Ghubbah** غرب كادوب ويتصل بها وادي يمتلأ بالمياه في أوقات الأمطار الموسمية . وتكثر به الأشجار المختلفة . ويعمل أهل القرية مثل غيرها من قرى سواحل سقطرى في الصيد .

ومن المتوقع أن يكون السكان قد زادوا خلال السنوات العشرين الماضية زيادة كبيرة . ومن الغريب حقاً أن دائرة المعارف البريطانية قدرت السكان تقديراً متواضعاً جداً وهو ثمانية آلاف شخص[١] بينما قدرته دائرة المعارف الإسلامية بثلاثة عشر ألف شخص[٢] هذا مع العلم بأن الحسن بن أحمد الهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب ، منذ أكثر من ألف عام قد قدر عدد الذين يحملون السلاح في سقطرى بعشرة آلاف مقاتل . وعلى تقديره هذا فإن

(١) دائرة المعارف البريطانية الطبعة ١٥ لعام ١٩٨٢ ميكروبيديا ج٩ : ٣١٧ .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية نقلها إلى العربية أحمد الشنتناوي وإبراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس ج١١ : ٤٧٠ ـ ٤٨٠ دار المعرفة ، بيروت .

سكانها في ذلك الوقت كانوا يناهزون خمسين ألف شخص على الأقل . . وإذا كان إحصاء ١٩٧٣ قد جعل السكان أربعين ألفاً فإنهم الآن بعد مرور ما يقارب ربع قرن من الزمن لا شك قد زادوا عن ذلك كثيراً .

التضاريس والطقس والمياه :

تتشكل جزيرة سقطرى من جبال وعرة في الوسط ترتفع ذراها إلى ١٥٠٠ متر فوق سطح البحر وتتصل بالبحر شمالاً بواسطة سهل ضيق يتجه إلى رأس مومي شرقاً وإلى سهل واسع نسبياً يطل على مدينة قلنسية في الغرب . وتظهر جبال حجهر خلف مدينة حديبو ، بل يستطيع الإنسان أن يراها حتى من البحر إذا وصل إلى حديبو . ويتسع السهل جنوباً ليصل إلى المحيط الهندي ، وتعرف هذه الجبال محلياً باسم حجهر (جبال هجير Haggier) . وتبدأ هذه السلسلة الجبلية من الشرق حيث القمم الجرانيتية التي تصل إلى ١٠٠٠ ـ ١٥٠٠ متر فوق سطح البحر ثم تتجه غرباً نحو خليج عدن . . ويتكون السهل الداخلي المتّجه من الجبال جنوباً نحو المحيط الهندي من الكلس (الجير limestone) والدولمايت (dolomites)[1] والمرل (Marl) وهو طين غني بكربونات الكالسيوم .

وسقطرى نتيجة وقوعها بالقرب من خط الاستواء تعتبر منطقة حارة حيث تتراوح درجات الحرارة بين ٢٨ و٣٧ درجة مئوية ،

(١) رخام غني بمعدن الدولمايت .

ونسبة رطوبة عالية على الساحل ، بينما تتمتع المناطق الداخلية المرتفعة بهواء منعش قليل الرطوبة . وتهب الرياح الشمالية بشدة في شهر ديسمبر ويناير بينما تهب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية بشدة في أشهر يونيه ويوليه وأغسطس . وأفضل فترة لرسو السفن هي من فبراير إلى مايو .

وتهبط الأمطار في موسمين الأول من أكتوبر إلى ديسمبر نتيجة الرياح الشرقية الشمالية الموسمية ، وفيه تنزل معظم كمية المطر الذي تناله الجزيرة (٧٥٪) ، والثاني في فصل الربيع ما بين مارس ويونيو نتيجة الرياح الشرقية الجنوبية وتهطل فيه كمية محدودة نسبياً من المطر .

وتبلغ كمية المطر على سقطرى ١٧٠ مليمتر سنوياً وهي كمية ليست بالقليلة إلا أنها تهبط على شكل زخّات قوية من المطر مدرارة غزيرة ، وتندفع في سيول جارفة متجهة نحو المحيط الهندي مشكّلة مجموعة من الوديان التي تمتلئ بالسيول لفترة محدودة ، هي موسم المطر ، ثم تجف جفافاً شديداً في الفترة ما بين يونيه وأغسطس نتيجة توقف المطر وهبوب رياح حارة رملية تبلغ سرعتها ما بين ١٣ ـ ١٧ كيلومتر في الساعة . وهناك رغم ذلك وديان وجداول دائمة الجريان حيث تنحدر من الجبال العالية الذرى وتمدّها عيون تخرج من باطن الأرض أو تتشقق عنها الصخور الجبلية (انظر الصورة رقم ١٥) وتوضّح الدراسة القيّمة التي وضعتها لجنة من الحكومة المحلية في عدن عن احتمالات النمو في سقطرى[١] أنّ مصادر المياه في سقطرى متعددة وهي كالتالي :

(١) Ministry of Local Government, Aden: Development Potentials of Socotra island, Aug. 1984.

١ ـ مياه الأمطار والمياه السطحية (السيول) .
٢ ـ المياه الجوفية .
٣ ـ العيون .

وتعتبر كمية المطر التي تنزل على الجزيرة كافية لو أمكن الاستفادة منها . ورغم أن المحطة الموضوعة لقياس كمية المطر في رأس كرمه تقع في منطقة جافة نسبياً (في الجهة الشمالية المقابلة لجبال هجير) إلا أنها تسجل ما معدله ١٧٠مم من المطر سنوياً ، وهو يعادل ٦٣٠ مليون متر مكعب من المياه ، ٧٥ بالمئة منها (أي ٤٧٠ مليون متر مكعب) نتيجة الرياح الشرقية الشمالية الموسمية في فصل الخريف (أكتوبر ـ ديسمبر) ، والباقي أي ١٦٠ مليون متر مكعب تهبط في فصل الربيع (مارس ـ يونيه) نتيجة الرياح الشرقية الجنوبية الموسمية .

وللأسف فإن هذه الكمية الهائلة من المياه تذهب إلى المحيط دون الاستفادة منها كما ينبغي ، لعدم وجود سدود ، رغم وجود عدد كبير من الوديان التي تحمل السيول طوال فترات الأمطار الموسمية . وتقدر كميات المياه على هيئة سيول بمائة وتسعين مليون متر مكعب وهي كميات وافرة لإقامة مشاريع زراعية ناجحة لو أقيمت لها مجموعة من السدود .

ورغم أن معظم هذه الوديان تجرى موسمياً فقط إلا أن أعالي الوديان تشهد جرياناً دائماً من مساقط المياه في الجبال العالية الذرى ومثال ذلك أودية معابده Maabedeh وإلها Elha ومنافو Manafo التي تنحدر من جبال حجهر العالية الذرى وتمدها عيون متعددة أو

مياه تشقق عنها الصخور ، وتنتهي هذه الوديان في برك واسعة عذبة الماء أو قليلة الملوحة نتيجة وجود حواجز طبيعية طوبغرافية (انظر الصورة رقم ٤) .

وبما أن السهل جنوب جبال حجهر (هجير Haggier) متسع نحو المحيط الهندي فإن الوديان التي تخترقه تحمل كميات وافرة من المياه ومثالها وادي دفهره Defehroahووادي عيري Eiri ووادي برك Berk حيث تبلغ مساحتها على التوالي ١٥٠ ، ١٥٠ ، ١٠٠ كيلو متر مربع .

وإذا قدرنا أنه يمكن الاستفادة من ربع كميات السيول الجارية في هذه الوديان الثلاثة فإنه يمكن الاستفادة منها بمائة وسبعة وأربعين مليون متر مكعب من المياه (٥٥ ، ٥٥ ، ٣٧ مليون متر مكعب لكل وادي على التوالي) . وذلك يستدعي إيجاد مجموعة من السدود والكريف غير الباهظة الثمن ولا المكلفة . وهو أمر يمكن إنفاذه بسهولة لو توجهت العزائم لذلك . وذلك يجعل في الإمكان زراعة ١٥,٠٠٠ هكتار . . وتذكر مجلة العربي أن في منطقة نوجد في جنوب سقطرى ٣٠,٠٠٠ فدان صالحة للزراعة ، أما في الوضع الحالي حيث تفقد كل هذه المياه تقريباً ، فإنه يمكن زراعة ٣٠٠٠ هكتاراً موسمياً (أي أثناء موسم الأمطار) .

وتتمتع الجزيرة بمياه جوفية نتيجة هطول الأمطار الموسمية لمدة ستة أشهر كل عام (أكتوبر ـ ديسمبر ومارس ـ يونيه) . وتجري المياه الجوفية مثل المياه السطحية من جبال حجهر إلى اتجاه المحيط الهندي وهي تتشكل من وديان تبدأ من سفوح هذه الجبال وتمتد

تحتها على هيئة نطاق مائي Water table تحته طبقة صخرية مائية غرينية Alluvial aquifer وهو مثل الأودية السطحية ضيق في أول المجرى ويتسع في الدلتا التي تتكون قرب الساحل ويحمل الماء معه الطمي والصخر الرملي والحصى الصغيرة والكبيرة وفي أحيان كثيرة الصخور الكبيرة ، ويكون اتجاه الانحدار شديداً في بعض الوديان مثل وادي مانافو Manafo حيث يبلغ مدى الانحدار واحد إلى ٥٠٠ في اتجاه الساحل .

ويمكن الوصول إلى المياه الجوفية على عمق يتراوح ما بين متر وعشرة أمتار وهي مياه تكفي للاستغلال على مدار العام لأنها تتجدد بهطول الأمطار . . ويستخدم الأهالي آباراً مفتوحة في السهل الساحلي الشمالي بصورة خاصة . . وهي بطبيعة الحال سطحية ويتراوح عمقها ما بين متر وعشرة أمتار . . ورغم أن معظمها عذب إلا أن بعضها تكون ملوحته شديدة بسبب قربه من البحر .

ومن المعلوم أن حفر آبار عميقة تحت سفوح الجبال مباشرة في أعالي الوديان سيعطي زخماً مائياً عذباً إلا أن الأهالي يفتقرون تماماً إلى آليات الحفر من ناحية ، وإلى الأنابيب التي ستنقل هذه المياه إلى المدن الساحلية حيث يعيش معظم السكان . . ولا بد من أن تقوم الدولة أو شركات تعاونية مدعومة من الدولة بمثل هذه المشاريع .

وتقول الدراسة القيمة المقدمة من الحكومة المحلية في عدن ، أن إقامة السدود على مجاري السيول القوية وحفر الآبار العميقة والإرتوازية على سفوح الجبال سيؤدي إلى توفير المياه النظيفة للشرب وللزراعة ، وهي مشاريع تكاليفها محدودة وقد قدرت في

عام ١٩٨٤ بمليون دولار فقط !! وإذا حسبنا عامل التضخم فإنها لن تزيد بأي حال من الأحوال عن بضعة ملايين من الدولارات تستطيع الدولة توفيرها بكل سهولة مع أن مردودها سيكون كبيراً جداً في رفع المستوى الصحي والاقتصادي لسكان الجزيرة مع إمكانية زراعة ١٥،٠٠٠ هكتار .

النشاط السكاني والاقتصادي :

لا شك أن جزيرة سقطرى تعاني من إهمال كبير منذ أن وطئتها أقدام المستعمر البريطاني بينما لها في الماضي تاريخ مجيد ونشاط اقتصادي وتجاري كبير . . ولا يزال هذا الاهمال مستمراً لدرجة أن كثيراً من أبناء اليمن ذاتها لم يسمعوا عن جزيرة سقطرى ولا يعرفون عنها شيئاً .

ويعمل معظم السكان الذين يعيشون في المدن الصغيرة الساحلية في صيد الأسماك بوسائلهم البدائية . . ولدى الأهالي حوالى ٣٠٠ قارب صغير (هوري) كما أن هناك جمعية تعاونية تكونت في بداية الثمانينات تضم ٥٠٠ صياد ولها ١٥ قارب بموتور و٣٠٠ شبكة صيد (انظر الصور رقم ٥ ، ٦ ، ٨ ، ١١ ,١٢) . وتعتبر سواحل سقطرى من أغنى بلاد العالم بالأسماك ، ولكن نتيجة ضعف الإمكانيات فإن معظم أسماك التونه (الثمد ، الديرك) تصطادها سفن الصيد اليابانية الضخمة والمجهزة بأحدث وسائل الصيد والتي تغزو السواحل اليمنية وساحل سقطرى وتفوز بالتالي بالصيد الوفير .

ولا يستطيع الأهالي المجازفة بالبعد عن الساحل إلا في فترات

هدوء الرياح ، ولهذا فإنهم لا يستطيعون الخروج إلى عرض البحر المائج في فصل الرياح الموسمية من مايو حتى سبتمبر بسبب صغر قواربهم وإمكاناتهم . .

ورغم ذلك فإن ما يصطاده الأهالي ليس بالقليل ، فهناك كمية وفيرة من أسماك التونه (الديرك) والأسماك الصغيرة وأسماك القرش ويتم تصدير خمسين ألف حوت من أسماك القرش سنوياً إلى عُمان وحضرموت وساحل إفريقيا الشرقي والصومال . وعادة ما يخرج الصياد مع رفيقه في الليل في قارب صغير (هوري) لاصطياد القرش ، فإذا ما توسط البحر رمى بحبل طويل تتدلى منه عشرين صنارة ، ثم ينام قرير العين ، حتى إذا ما شعر بالاهتزاز نتيجة التهام القرش للطعم تناول حربته ودخل في معركة بالأيدي مع القرش حتى يقتله فإذا فعل ذلك ربطه بقاربه الصغير ، ثم قفل به عائداً إلى الساحل الذي يصل إليه في ظهيرة اليوم التالي . ويقوم الأهالي بتجفيف الأسماك الصغيرة (الساردين ، العيد) وذلك بنشرها على الساحل تحت وهج الشمس . . أما الأسماك الصغيرة جداً فتجفف بدون تنظيف . . وللأسف فإن هذه الطرق البدائية في الحفظ والتخزين تؤدي إلى تلف كميات كبيرة من الكمية التي يصطادونها ، وتزيد بالتالي في فقرهم ومعاناتهم .

ولا شك أن أهم مصدر للدخل وللنمو الاقتصادي السريع في هذه الجزيرة والارتفاع بمستوى الأهالي يكمن أساساً في إيجاد أسطول للصيد مجهز بوسائل التبريد والحفظ الحديثة ، وهو مشروع مكلف وباهظ التكاليف إلا أن مردوده يستحق كل عناء من أجله .

ويعمل بعض الأهالي في صيد اللؤلؤ من خليج ديحام Deiham ومن الخلجان الأخرى في فترة هدوء البحر (أكتوبر ـ إبريل) . .

وللأسف فإن الغواصين يقومون بالغوص بدون أي أجهزة ولا أدوات للغوص ، ووسائلهم بدائية جداً في التعرف على الصدف وأنواع اللؤلؤ ، وبالتالي فإنهم يبيعون ما يحصلون عليه بأثمان زهيدة للوسطاء والتجار (انظر الصورة رقم ٢٦) .

ويتم استخراج الملح من رأس غول Ras Ghole بالقرب من قلنسية على الساحل الشمالي الغربي حيث يأتي المد بمياه البحر في منخفضات طينية . وعند الجزر تبقى هذه المياه حتى تجف بفعل الشمس ، ويتجمع فيها الملح الذي يأخذه الأهالي ثم يبيعونه على التجار ليتم توزيعه في الجزيرة ذاتها .

ويعمل أهل البادية الذين يسكنون وسط الجزيرة ، حيث جبال حجهر التي تخترقها الوديان والسهل الجنوبي الممتد إلى المحيط الهندي ، في الرعي ، وذلك لخصوبة المراعي خلال فترة الأمطار الموسمية (اكتوبر إلى ديسمبر ومارس إلى يونيه) . . ثم ينتقلون بماشيتهم في فترة الجفاف إلى الأماكن الجبلية حيث تبقى أعالي الوديان دائمة الجريان .

وفي عام ١٩٨٤ كان لدى البادية الرعاة ٥٠,٠٠٠ من الماعز والأغنام و٤٠٠٠ بقرة و٤٠٠ حمار و٢٠٠ جمل ، وهي ثروة حيوانية متواضعة (انظر الصور رقم ١٣ و١٤ و١٦) . . ويوجد في الجزيرة قط الزباد وهو سنّور متوحش يأكل الدجاج وسمك الساردين ويمسكه الأهالي ويضغطون على غدة بالقرب من فرجه فيفرز مادة دهنية تسمى الزباد ، لها رائحة نفاذة ، وتستخدم لتثبيت العطور وتخلط بأنواع الطيب (صورة رقم ٣٤) . وفي الجزيرة أنواع

من الوعول Ibix والبقر الوحشي (المها) Oryx ، وتوجد في المناطق الجبلية . . كما تكثر في بعض المناطق الجبلية والتي بها أشجار كثيفة أنواع من الطيور وبعض الحيات . . (صورة رقم ١٧ لقرون الوعل واللبان) .

ويشتغل بعض الأهالي وخاصة النساء في صناعة السجاد المصنوع من أصواف الأغنام بطريقة بدائية وتسمى الشمله ، ولكن يمكن تطويرها وجعلها مادة للتصدير .

وتصدِّر الجزيرة الأسماك وخاصة سمك القرش المجفف المملح (اللخم) والزباد والعنبر والصدف والشملة بالإضافة إلى التمر والصبر وشجرة دم الأخوين والمر واللبان . . وقد فقدت هذه الأصناف بريقها وما كان لها في الماضي من طلب كبير ، وأصبح سوقها محدوداً جداً . . ولذا فإن التجارة في الجزيرة محدودة جداً ، وتتم في كثير من الأحيان بصورة التقايض ، حيث يقدم الأهالي للتاجر بضاعتهم من الأسماك وأصداف اللؤلؤ والشملة والصبر وشجرة دم الأخوين ويأخذون منه الأرز والشاي والسكر والأقمشة والتبغ الذي يدخنه الرجال في غليون خاص . (انظر الصورة رقم ٢٤) ويعمل بعض الأهالي في زراعة النخيل وعادة ما يكون حول بيت السقطري عدة نخلات يهتم بها في وقت فراغه من الصيد . وربما زرع بعض الخضار والفواكه بالقرب من داره المتواضعة . وينبغي تشجيع هذا الاتجاه إذ يوفر على الأقل بعض القوت للسقطري . وإذا أضيف إلى ذلك السمك الذي لا يبخل به البحر المعطاء فإنّ غذاء السقطري يكون مكتملاً أو شبه مكتمل (الصور رقم ١ ، ٥ ، ٦ ، ٨ ، ١١ ، ١٢) .

الوضع الصحي في سقطرى :

يعتبر الوضع الصحي في سقطرى مأساوياً حيث يذكر تقرير حكومة عدن المحلية (أغسطس ١٩٨٤) عن تطوير سقطرى وتنميتها أن ٩٠ بالمئة من سكان الجزيرة يعانون من أحد الأمراض التالية : الملاريا ، السل ، التيفود والباراتيفود ، الدوسنتاريا (الزحار الأميبي والباسيلي) مع فقر الدم . وفي بعض الأحيان قد يعاني الشخص من جملة من الأمراض في آن واحد .

ولا توجد هناك رعاية للطفولة والأمومة سوى مركز صحي متواضع ، ولذا فإن حالات إسهال الأطفال كثيرة . كذلك لا يوجد برنامج لتطعيم (لتمنيع) الأطفال ضد شلل الأطفال والسعال الديكي والتتانوس (الكزاز) والحصبة والدرن . ونتيجة لذلك فإن وفيات الأطفال مرتفعة جداً .

ولا يزال النفاس والولادة المتعسرة سبباً هاماً لوفاة النساء ومعاناتهن معاناة شديدة . .

ولا يحصل السقطري على ماء نظيف خال من الجراثيم وأسباب الأمراض ، وإنما يحصل على مائه من السيول والغدران والبرك الراكدة والآبار المكشوفة . . ولهذا فإن الأمراض التي تنتقل عن طريق المياه منتشرة ، وبالإضافة لذلك لا يوجد أي نظام للمجاري ولا لإزالة النفايات والقمائم . . ولهذا فإن الذباب منتشر بصورة مزعجة . . ولا يكثر الذباب المنزلي فحسب ، وإنما هناك ذبابة ديعازر الاستوائية التي تضع بيضها في أنف الإنسان أو الحيوان أو حلقه وهي طائرة . فتنمو اليرقات وتبدأ في اجتياح ما حولها من

الأنسجة مسببة دماراً رهيباً . . ولذا فإن الأهالي يضعون عقداً من الخرز تحت الأنف مباشرة يعتقدون أنه يحميهم من هذا الذباب الخبيث الغادر ، (انظر الصورة رقم ٢٧) . ونتيجة لوجود المستنقعات والبرك التي تتخلف من مياه السيول فإن الملاريا منتشرة هناك . ولا توجد أي مشاريع لمقاومتها حتى الآن للأسف الشديد . . بالإضافة إلى ذلك فإن وجود هذه البرك والمستنقعات تشكل بيئة صالحة لنمو القواقع التي تنمو فيها ميراسيديم البلهارسيا .

لهذا كله فإن الجزيرة تعاني من مشاكل صحية مريعة حيث لا ماء نظيف ولا نظام للمجاري ولإزالة النفايات . . وحيث البعوض والذباب ، وفقدان الرعاية الصحية للأطفال والأمهات وللصغار والكبار والرجال والنساء .

ولا بد للتخفيف من معاناة الأهالي من توفير الآتي :

١ ـ مياه نظيفة صحية صالحة للشرب .

٢ ـ نظام للمجاري والصرف وإزالة النفايات .

٣ ـ محاربة البعوض بإزالة المستنقعات ، ورش المبيدات ، وتوفير الناموسيات للأهالي .

٤ ـ محاربة الذباب المنزلي وذبابة ديعازر الاستوائية .

٥ ـ رعاية الطفولة والأمومة وبرنامج لتطعيم الأطفال ضد الأمراض السارية ، وخاصة السل وشلل الأطفال والكزاز والحصبة والسعال الديكي .

٦ ـ إيجاد مراكز صحية تقدم الخدمات الطبية العلاجية والوقائية وتشارك مشاركة فعالة في رفع الوعي الصحي لدى الأهالي .

٧ ـ مراكز لمعالجة الملاريا والدرن وهما أهم مرضين منتشرين في الجزيرة .

وهذه كلها لا تشكل عبئاً مالياً كبيراً ، فتوفير المياه الصالحة للشرب من آبار تحت جبال حجهر وتمد المدن الساحلية لن يكلف ، حسب دراسة حكومة عدن المحلية ، أكثر من مليون دولار . . ولا تكلف الوحدة الصحية المجهزة تجهيزاً حديثاً سوى خمسين ألف دولار .

وتحتاج مشاريع محاربة الملاريا إلى مبالغ أخرى مشابهة ، أما إيجاد نظام للمجاري فإنه مكلف نسبياً ، وربما أمكن الاستغناء عنه مؤقتاً بإيجاد نظام البيارات (Cess Pools) لكل بيت أو لكل مجموعة متقاربة من البيوت .

الحالة التعليمية والثقافية :

لقد أهمل المستعمر البريطاني جزيرة سقطرى إهمالاً تاماً وحرمها لمدة مائة عام من كل وسائل التعليم والصحة والاتصالات والطرق وعزلها عزلاً تاماً عن العالم ، فلا غرابة أن يكون معظم سكان سقطرى أميون عشية الاستقلال (نوفمبر ١٩٦٧) . . وقد قامت الحكومة في عدن بإنشاء ست مدارس إبتدائية (من الصف الأول حتى الثامن) في سقطرى ويبلغ عدد التلاميذ ٢٢٠٠ (ذكوراً وإناثاً) في عام ١٩٨٤ . وهناك مدرسة أخرى لأبناء البادية في ديحام Dieham يدرس فيها ٤٠٠ طالب و٩٠ طالبة تتراوح أعمارهم ما بين السابعة والثامنة عشر . وفي الآونة الأخيرة تم افتتاح مدرسة ثانوية متواضعة في حديبو .

وقد كانت حكومة اليمن الديمقراطية الاشتراكية تحرص على جعل التعليم مختلطاً في كل مراحله في جميع أنحاء الجمهورية ولذا كان التعليم الإبتدائي الذي وفرته الدولة في سقطرى على هذا المنوال . ففي مدرسة البادية مثلاً كان هناك ثلاثة مدرسين ذكور ومدرّسة واحدة يعلّمون التلاميذ بطريقة مختلطة ويبثّون لديهم المبادئ الماركسية !!

ولا شك أن هناك حاجة شديدة لنشر التعليم وتغيير هذا النمط الفاشل والعودة إلى فصل الذكور عن الإناث . . ونشر التعليم الديني ونشر الكتاتيب لتحفيظ القرآن . . ويتميز السقطري رغم جهلة وبداوته بإيمانه ، فعلى سبيل المثال حينما يهم السقطري بذبح شاة أو معزة يأتي أكبر القوم ويضع يده عليها قبل ذبحها ويردد الدعاء التالي والباقون يؤمّنون :

أشكر ربي على الخيرات . .
فيرد الصبية حوله أمينال (أي آمين)
لأن ربي يرفع عنا جميع أنواع البلاء . . أمينال . . . .
ويسكب لنا المطر والأرزاق . . . أمينال

ثم يقوم أكبر القوم بذبحها .

وهناك مثل آخر يدل على قوة إيمان هؤلاء القوم حيث يعمد أصحاب النخيل في موسم الخريف إلى وضع آيات من القرآن الكريم على النخلة المثمرة وذلك لتحدث لها البركة وليحفظها الله من الآفات والسرقة . . والويل للسارق من عذاب الله إذا امتدت يده إلى ثمرة واحدة فيها القرآن مفتوحاً ، وتعتبر هذه الطريقة أكبر

حماية للنخيل . . ويقوم صاحب النخل بخرصه وإخراج زكاته مباشرة عند جنيه .

ويتحدث السقطري في أغنيته عن عادة ذبح الأبقار والأغنام عند وفاة إنسان ، وهي عادة منتشرة في كثير من بلاد المسلمين ، ويعتبرها عادة قبيحة وإسرافاً وتبذيراً للمال لجماعة من الفقراء . .

تقول الأغنية السقطرية[1] .

ليش يبكوا عليه . . وإيش يسووا فيه
لقد صار من أمر الله .
كل واحد يتوفى يذبحوا عليه غنم كثير
إيش الفائدة؟ وليش تذبحوا عليه
ليس ما تطلبوا ربكم في هذا الغنم من أجل إنزال المطر
المطر ساعة ما ينزل تنفتح السماء وتعم الأرزاق

ويروي سليم زبال في استطلاعه عن سقطرى (مجلة العربي)[1] هذه الحادثة التي تدل على عمق إيمان السقطرى بربه وخلوصه من كل شائبة من شوائب الشرك ودَخَنه ، يقول : «وفي ذات مرة تجمعت السحب بكثافة في السماء مما عاقنا عن التصوير فسألنا أحد أبناء البادية : هل تعتقد أن المطر سيهطل غداً؟

«سؤال خلناه بريئاً عادياً ، ولكن صاحبنا احتقن وجهه ووقف منفعلاً أمام الجميع وهو يصيح : استغفر ربك يا رجل !! هل تعتقد أني ساحر فأتنبأ بالغيب؟ !» .

ويروي سليم زبال أيضاً موقف سلطان المهرة وسقطرى السلطان

---

(١) مجلة العربي : استطلاع عن سقطرى بقلم سليم زبال العدد ١٥٣ أغسطس ١٩٧١ (ص٩٢ ـ ١١٤) .

عمرو بن سعد عندما عرضت عليه بريطانيا مبلغ عشرة آلاف ريال فضة ليتنازل عن سقطرى عام ١٨٣٤ ، ورغم أنه كان في حاجة شديدة للمال إلا أنه قال للقبطان هينس مندوب بريطانيا وشركة الهند الشرقية : «وحق إيماني الراسخ بأن لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له رب هذا الكون ومليكه فإني لن أتخلي عن ذرة واحدة من تراب سقطرى ما حييت» ثم رفع يده مؤكداً «إن سقطرى هبة الله للمهريين أورثها الآباء والأجداد للأبناء الذين أنا سلطانهم ، ولن أفرط فيها . . وداعاً يا قبطان هينس» .

ومن عادات بادية سقطرى التي تدل على الإيمان أنه إذا اجتمع خصمان في كهف أو مغارة أو خيمة وقت سقوط المطر فإنهما يتصالحان على الفور ويقومان بحك أنوفهما (يشرقّان) لأن الذي جمعهما معاً هو الله وقت نزول الخير والمطر .

ولأهالي سقطرى ، وخاصة في البادية ، أغاني ورقصات شعبية . . تصطف النساء في ناحية والرجال في ناحية أخرى . . وتنشد النساء ثم يرد الرجال عليهن . . وتحكي الأناشيد تاريخ سقطرى وفرحتهم بالمطر عند نزوله وشكرهم لله على عطائه ويظّلون في هذه المناسبات يرمثون (أي ينشدون الأغاني ويرقصون) حتى وقت متأخر من الليل ويشاركهم في ذلك دقات الطبول وعزف الناي .

المواصلات والاتصالات :

تعاني جزيرة سقطرى من عزلة شبه تامة عن بقية اليمن ، وبالتالي عن بقية العالم رغم ما تتمتع به سواحلها من مناظر خلابة وبحارها من جزر مرجانية وأنواع كثيرة وغريبة من الحيوانات

البحرية ، أما جبالها ووديانها فتتمتع بثروة نباتية ، حيث يوجد في سقطرى حوالى ٦٠٠ نوع من النباتات النادرة منها مائتي نوع تنفرد بها سقطرى ، وبالتالي تشكل عوامل جذب للسياحة وبخاصة الأوربية والأميركية .

ولا يوجد في الجزيرة ميناء صالح لرسو السفن ، وميناء العاصمة حديبو ليس ميناء بالمعنى الصحيح ، فالسفن تقف بعيداً عن الشاطئ ثم ينزل الركاب في قوارب صغيرة حتى يصلوا إلى حديبو ، وهو أمر يصبح مستحيلاً في موسم الرياح الموسمية القوية (صورة رقم ١) وتحتاج الجزيرة إلى ميناء (متواضع) لرسو السفن ، ويذكر تقرير حكومة عدن المحلية لتطوير سقطرى (١٩٨٤) أن إحدى الشركات الأجنبية قد قامت بدراسة المشروع دراسة وافية وقدمت عنه تقريراً إلى حكومة اليمن الديمقراطية الشعبية ، ولكن المشروع أهمل بسبب عدم وجود الاعتمادات المالية ، وبسبب انشغال الحكومة بصراعاتها الحزبية الدموية التي أدت إلى تشريد مئات الآلاف من أبناء الوطن وإلى قتل عشرات الآلاف . وكان آخر تلك المذابح الرهيبة ، نتيجة تصارع أجنحة الحزب الاشتراكي على الحكم ، مذبحة يناير ١٩٨٦ التي أدت إلى قتل أكثر من عشرة آلاف شخص ، ثم قام الحزب الاشتراكي بعد الوحدة بحرب الانفصال المدمرة عام ١٩٩٣ ، ولكن بفضل الله كانت تلك نهاية ذلك الحزب العلماني الذي بنى أيديولوجيته ومبادئه على الماركسية اللينينية الكافرة بالله وبالإسلام والمحاربة له أشد الحرب .

ويتم الاتصال بسقطرى عبر رحلة أسبوعية من مطار الريان بالمكلا إلى حديبو تنظمها خطوط اليمدا ، إلا أن هذه الرحلة غير منتظمة ، وتتوقف في كثير من الأحيان في موسم الرياح ، كما أن

مطار حديبو ليس فيه مدرج جيد للهبوط ولا نظام للاتصالات ولا بد من إيجاد ذلك حتى يتم إيصال سقطرى ببقية اليمن ومن ثم بالعالم .

ولم تكن توجد طرق برية داخل الجزيرة وكانت الرحلة تتم بواسطة الجمال عبر الجبال والطرق الوعرة (صورة رقم ١٣ و٤٢) وفي عقد الثمانينات من هذا القرن تمَّ إيجاد طريق دائري غير مسفلت يصل المدن الساحلية في الشمال والمدن الساحلية في الجنوب ، كما تم إيجاد طريق يصل حديبو بسهل نوجاد (الخصب) في الجنوب عبر طريق غير مسفلت يبلغ طوله عشرين كيلومتراً .

ولا بد من توسيع هذه الطرق وسفلتتها وإيجاد شبكة طرق جيدة ، حتى يمكن وصل أنحاء الجزيرة ببعضها ، وبالخارج ، وبالتالي يمكن إيصال المنتوجات المحلية إلى الخارج ، والعكس كذلك . . وينبغي إيجاد اتصال جيد بالراديو والشبكة اللاسلكية ما بين العاصمة حديبو وعدن والمكلا والقشن ، وهو أمر حيوي وضروري لإيجاد اتصال منتظم ودائم بين الجزيرة ومناطق الإدارة والتجارة .

وتحتاج الجزيرة إلى مولدات كهربائية تعمل بالديزل وتنير العاصمة حديبو والمدن الأخرى وهو أمر غير مكلف لصغر المدن وعدم اتساعها .

وينبغي أن تكون مشاريع التطوير مترابطة ومدروسة بعناية ، وتسمح للأهالي بالاشتراك فيها وأن يقرروا بأنفسهم ما يصلح لجزيرتهم مع تقديم المشورة والمساعدة الفنية المناسبة .

الفصل السابع

ثروات سقطرى النباتية

تحتوي جزيرة سقطرى على ثروة نباتية نادرة حيث قرر مجموعة من علماء النبات قاموا بمسح الجزيرة عام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧ ، أن في جزيرة سقطرى ستمائة نبات نادر منها مائتا نبات لا يكاد يوجد في غير جزيرة سقطرى[١] .

ونتيجة لعزلة الجزيرة وعدم وجود نشاط زراعي مكثف فيها فقد بقيت هذه النباتات النادرة التي توجد أساساً في المناطق الجبلية وسط الجزيرة وعلى سفوحها الممتدة شمالاً نحو بحر العرب وخليج عدن وجنوباً نحو المحيط الهندي .

وعلى الساحل حيث المياه غير عذبة وفيها ملوحة نجد أنواعاً من الشجيرات الملحية (Arthrocenemum Sp, Salt bush) ، والحشيش الملحي الشائك (Helechoadura Spiky, Salt grass) ، وعندما نبتعد قليلاً من الساحل نجد نباتات الأثل والطرفا ، بأنواعها المختلفة ومنها نوع سقطرى (Tamarix Socotrana) ، والحشائش السلكية

(١) مجلة العربي العدد ١٥٣ أغسطس عام ١٩٧١ تحقيق سليم زبال عن سقطرى ص٩٢ ـ ١١٤ .

(Aeluropus Sp, Wirey grass) مع جنبات (شجيرات) فصيلة الفاجونيا (القديسية) وهي أنواع كثيرة منها الفاجونيا العربية والفاجونيا السقطرية (F. arabica, Fagonia Socotrana) . وهي شجيرات تنتشر في سقطرى وفي الجزيرة العربية ، وتستعمل في الطب الشعبي .

وقد جاء في كتاب النباتات السعودية المستعملة في الطب الشعبي[1] وصف لشجيرة الفاجونيا العربية وأنها شجيرة كثيرة الشوك منتشرة في المنطقة الوسطى والشرقية من المملكة العربية السعودية وتستعمل في الطب الشعبي كمدر للبول ومسهل ومهضم . . ويستخدم منقوع الأوراق غرغرة لالتهابات الحلق والفم ، وتوضع منها كمادات على الجروح فتمنع تقيحها . . ويستنشق البخار الناتج من مغلي أوراق النبات الجافة لأمراض الصدر والربو .

ومن فصيلة الفاجونيا نوع يسمى الشويكة Fagonia bruguieri وهي شجيرة معمرة لها قاعدة خشبية خضراء ، سيقانها متعددة ، كثيرة التفرع ، وتوجد في شمال الحجاز والمنطقة الوسطى والنفوذ[2] . ويستعمل النبات كاملاً في الطب الشعبي لمداواة الربو والحمى والتيفود والحمرة والقيء والدوسنتاريا والإفرازات من المسالك البولية ، ويقلل من حجم الأورام . . وتستعمل القشرة في

---

(١) د . عبد الرحمن العقيل وزملاؤه : النباتات السعودية المستعملة في الطب الشعبي ، إصدار إدارة البحث العلمي ، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية ، الرياض ١٩٨٧ ص ١٨٨ ـ ١٩٠ .

(٢) المصدر السابق .

علاج الجرب ، أما الأوراق فمبّردة ومفيدة في الحميات والبهق والبثور والقيء والتسمم !![1] ومن فصيلة الفاجونيا نوع يدعى (حليوه) F. Critica وهي شجيرة شوكية كما يقول كتاب النباتات السعودية المستعملة في الطب الشعبي ، وتوجد في المنطقة الوسطى والشرقية . . وتستعمل في الطب الشعبي كواق من الجدري !!

ويذكر تقرير حكومة عدن المحلية عن تطوير سقطرى الصادر عام ١٩٨٤[2] النباتات في سقطرى (وهو من أهم مصادر كتابنا هذا) أن أشجار السنط (الأكاشيا) ومجموعة من الأعشاب الخشبية مثل أشجار المر القصيرة (Dwarf Commiphore) ونبات حب الملوك السقطري (له منافع طبية) (Croton Socotranis) والنجيليات (الحشائش) تكثر على سفوح الجبال .

وإذا توغلنا في الجزيرة على ارتفاع ١٠٠ إلى ٢٥٠ متر فوق سطح البحر نجد أشجار المرّ بكثافة ، وهي الأشجار التي اشتهرت بها سقطرى في الماضي وأدت إلى أن يرسل لها الإسكندر المقدوني مجموعة من جنده لاحتلالها .

وعلى ارتفاع ٥٠٠ متر فوق سطح البحر تزداد الأشجار كثافة فنجد مختلف أنواع السنط (الأكاشيا) وأنواع من التين البرّي السقطرى Ficus Socotrana ، وأنواع أخرى من نبات حب الملوك (الكروتون) Croton Suleifructus .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) Ministry of Local Government, Aden: Development Potentials of Socotra Island. Aug 1984: P3, 4. .

وعندما نصل إلى الجبال العالية الذرى نجد شجرة دم الأخوين الشهيرة المعروفة أيضاً باسم العندم والقاطر والأيدع ، والتي يسميها الأوربيون دم التنين Dragon blood أو شجرة التنين Dragon tree (Dracaena cinnabari) (الصورة رقم ٣٥) وأنواع أخرى كثيرة من شجر المرّ Myrrh trees (Commiphora) (صورة رقم ٤٣) وأشجار اللبان Frankincense (Bostwellia ameero) (انظر الصورة رقم ٣٨) .

وعلى السهل المنبسط جنوب جبال حجهر نجد أنواعاً من الجنبات والشجيرات مثل اليوفوربا بأنواعها المختلفة مثل الحليبة Eu-phorbia granlata وأبولبن (اليوفوربا العربية) Euphorbia arabica ، ومنها نوع خاص يوجد في جزيرة عبد الكوري التابعة لجزيرة سقطرى وتسمى يوفوربا عبد الكوري ويسميها الأهالي (أمتي) (الصورة رقم ٣٩) . وتستخدم أنواع اليوفوربا في الطب الشعبي في علاج لدغة الثعبان والعقرب والأمراض الجلدية . ويستخدم مغلي النبات للسعال والربو ولإدرار البول ولمعالجة الإمساك والسدد ، ونبات العدنه Adenium ، والتي تعرف في سقطرى باسم شجرة تريمو التي تنبت بين الصخور بدون زراعة ، ويستعمل الأهالي إفراز جذعها لأمراض العيون ، أما أوراقها فسامة (انظر الصورة رقم ٤٠) وسيأتي الكلام عنها مفصّلاً .

وتوجد في هذه السهول أيضاً مجموعة من نبات حب الملوك (الكروتون) Croton وأنواعٌ من الملوخية البرية Corchurus olitorius بالإضافة إلى نبات Lactuca (اللبنية) ، ونبات يعرف باسم Med-icago ، وهو عشب قائم معمر . وتستخدم الأوراق والبذور لإدرار

البول ولتضميد الجراح . أما البذور إذا استخدمتها الحامل فإنها قد تجهض . (هكذا يقول كتاب النباتات السعودية المستعملة في الطب الشعبي) .

وتحيط بالعيون أشجار النخيل بكثافة Palm groves (انظر الصورة رقم ١٥) كما توجد أشجار السدر (النبق) Ziziphus والتمر الهندي (الحومر) Tamarindus indica بالإضافة إلى النجيليات (الحشائش) الدائمة مثل Paspalidium, Eragrotis . . وفيما يلي وصف لبعض النباتات السقطرية المشهورة :

١ ـ **شجرة العندم ، الأيدع ، دم الأخوين** (انظر الصورة رقم ٣٥) **Dragon tree (Dracaena Cinnabari)** :

شجرة باسقة يبلغ ارتفاعها ما بين ستة إلى تسعة أمتار وتنمو بأعداد هائلة فوق قمم الجبال وخاصة في منطقة عصا جالو ودعرهو . ويعمد الأهالي إلى إحداث جرح في جذعها فتبكي تلك الشجرة دماً وتقطر قطراً متوالياً حتى أن الأهالي في السابق دعوها «القاطر» . وقيل إن اسم سقطرى مشتق من هذا القاطر الذي لا يتوقف . وقد وصفها أبو حنيفة الدينوري بقوله «دمعة شجرة هندية» . وقال عنها ياقوت في معجم البلدان «وهو صمغ شجر لا يوجد إلا في هذه الجزيرة . . وهو صنفان : خالص يكون شبيهاً بالصمغ في الخلقة إلا أن لونه كأحمر شيء خلقه الله تعالى ، والصنف الآخر مصنوع من ذلك» .

ووصفها اليونان القدماء ومن ذلك كتاب رحلة إلى البحر الأحمر Periplus maris Erythraei كما وصفها الطبيب العشاب

ديوسقوريدس Dioscorides ووصفها المؤرخ الروماني بليني كما وصفها الهمداني في صفة جزيرة العرب والقاموس المحيط للفيروزأبادي وتاج العروس للزبيدي . ووصفها الرحالة الأوربيون في القرن التاسع عشر الميلادي من أمثال ويلستد J. Wellsted وبينت Bent ومولر Muller . ووصفها بدقة مع صور فوتوغرافية فيرهابر Vierhapper . وتشبه الشجرة المظلة المفتوحة . . ومنظرها عجيب . . وهي شجرة معمّرة تعيش مئات السنين ، ويبلغ ارتفاعها أكثر من ثلاثة أمتاز . وهي سميكة الجذع والفروع ثنائية التفرع . وتتكون الأوراق الحادة في نهاية الأفرع وتوجد الأزهار في عناقيد متفرعة والثمار لبيّة كروية الشكل تحوي بذرتين أو ثلاث . وتوجد شجرة الأخوين على ارتفاع ٥٠٠ متر فوق سطح البحر فما فوقها . وهذا النوع لا يوجد إلا في سقطرى . وهناك أنواع أخرى مثل D.Ombet, D. Serrulata توجد في المرتفعات الجبلية بلودر ومودية وجبال المكلا وجبال برع وكلها في اليمن . وهناك أنواع أخرى خارج اليمن مثل الهند . وليس هناك نوع مثل النوع السقطري في العالم أجمع (أنظر كتاب النباتات الطبية في اليمن لعلي سالم باذيب) .

وقد عُرفَ القاطر بأسماء مختلفة منها العندم ، وأيدع ، ودم كهيل ، وإده ، كما سماها الأوربيون دم التنين Dragon blood tree ويطلق عليها الأهالي في العصر الحديث اسم «عريب» . . وهذه المادة اللزجة الحمراء القانية التي تنساب من جذع الشجرة المجروح تتجمد مكونة فصوصاً حمراء داكنة هشة تعرف باسم العندم أو الايدع وتصدّر إلى عدن ، ومنها إلى العالم الخارجي حيث تستعمل

كمادّة مطهرة وقابضة للفم واللثة كما تستخدم في مساحيق الأسنان . ويستخدمها السقطري لمعالجة المغص وفي بعض أنواع الكحل لتجلية العيون ولمعالجة جروحه وجروح ماشيته ، كما يستعملها لتلوين وزخرفة أوانيه الفخارية (انظر الصورة رقم ٣٦) ويزينون بها جدران المنازل . وقد وصف ابن البيطار شجرة دم الأخوين وخصائصها الطبية في كتابه «الجامع لقوى الأدوية والأغذية» وقال أنه صمغ أحمر يؤتي به من سقطرى ، جزيرة الصبر . . صالح لإدمال الجراحات الدامية بقطع السيف وشبهه (أي الجروح الحادة) ، وإذا احتقن به عقل الطبيعة (أي أوقف الإسهال) وقوّى الشرج وهو شديد القبض ، ويقطع النزيف من أي عضو كان ، وينفع من سجح الأمعاء ، ويقوّي المعدة ، وينفع من شقاق المقعدة . . وأضاف ابن جزلة أنه يقوي العين ، والشربة أي الجرعة الدوائية منه درهمان . (الدرهم وحدة وزن تساوي ٣,٤١جم) .

٢ ـ **الصبر (ألوفيرا)**[١] ويطلق عليه الألوه ومنه جاء الاسم العلمي اللاتيني Aloe vera (الألوه الحقيقية) ، ويدعى بالفرنسية ألوه سقطرى Aloes de Socotorat (انظر الصورة رقم ٣٧) وهو يتبع العائلة الزنبقية Fam Liliaceae وهو نبات معمر يصل طوله إلى ٤٠ سم ، حواف أوراقه مسننة وتحيط قاعدته بالساق . . ويعيش النبات في المناطق الجافة ونصف الجافة ويوجد في اليمن . .

---

(١) لقد وضعت كتاباً حافلاً بعنوان «ماذا في الأمرَّين من الشفاء . . الصبر والثُّفّاء» من إصدار دار المنارة بجدة وقد حوى الأحاديث الواردة في الصبر وشروحها ، وما جاء في كتب الطب القديم وكتب الطب الحديثة والأبحاث والمجلات العلمية ، فلينظره من يريد المزيد .

وأجود أنواعه السقطري كما يوجد في المهرة وحضرموت (من اليمن) وعمان وجنوبي الحجاز ومنطقة عسير وإفريقيا الاستوائية . وأجمع القدماء على أن الصبر كما يقول الرازي ثلاثة ضروب (أنواع) :

١ ـ اسقوطري : تعلوه صفرة ومصدره جزيرة سقطرى وهو أفضل تلك الأنواع .

٢ ـ عدني أو عربي (وهو من اليمن وبالذات من حضرموت والمهرة ويصدر من عدن) وهو دونه في الصفرة والبصيص والتفريق .

٣ ـ سمنجاني (وهي مدينة في شمال شرق أفغانستان من ولاية طخارستان (وراء بلخ) . . قال عنه الرازي وابن سينا أنه رديء ، منتن الرائحة ، وهو يضرب إلى السواد .

وأوراق شجرة الصبر طويلة غليظة (٣٠ ـ ٤٠ سم) لحمية هلامية منشارية والساق الزهري طويل وارتفاعه عادة ضعف ارتفاع الأوراق . والأزهار صفراء متداخلة الحواشي .

وقد وصف أبو حنيفة الدينوري في كتابه «النبات» طريقة استخراج الصبر فقال : وأخبرني رجل من العرب من أهل عمان عن معاصر الصبر عندهم . قال : نبات الصبر كنبات السوسن الأخضر ، غير أن ورق الصبر أطول وأعرض وأثخن كثيراً وهو كثير الماء جداً فيحصد ويلقى في المعاصر ، ثم يدق بالخشب ، ويداس بالأقدام حتى يسيل عصيره فيترك حتى يثخن ثم يجعل في الجرن ، ويشمّس حتى يجفّ ، وأجود ما يجنى من سقطرى ، وهي جزيرة بقرب ساحل اليمن» .

ويحتوي الصبر على الجليكوسيدات الأنثراكينونية مثل ألوين Aloin وباربالوين Barbaloin . ويستعمل عصير نبات الصبر طازجاً في دهان بشرة الجلد المحترقة من أشعة الشمس ويخفف آلام الحروق الجلدية ويستخدم في التئام الجروح والأمراض الجلدية .

وقد دخل الصبر في الكريمات ومستحضرات التجميل وتجدها تتفاخر بأن تكتب على غلافها صنع بمادة ألوفيرا (الصبر الحقيقي) وقد ثبت أن مادة أمودين الموجودة في الصبر لها فعالية مثبطة لبعض أنواع الأورام الخبيثة في الجلد بالإضافة إلى استعماله كمادة مسهلة . . وقد ذكرت المجلات العلمية ومنها مجلة أمراض الجلد الطبية المشهورة «Cutis» أن المواد الأنثراكينونيه الموجودة في الصبر (ألوفيرا) مفيدة في معالجة الالتهابات الجلدية وخاصة تلك الناتجة عن التعرض للشمس وللحروق ، وللسحجات والجروح الجلدية ولمرض الصدفية ولتقرحات القرنية Corneal ulcers .

وقد صحَّ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه أمر بمداواة التهاب العيون وانتفاخها بالصبر فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الحج أن عمر بن عبيدالله اشتكى عينيه فسأل أبان بن عثمان بن عفان ، فذكر أن عثمان حدّث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الرجل إذا اشتكى عينيه وهو محرم أن ضمّدها بالصبر . وقد أخرج هذا الحديث أيضاً بسند صحيح أبو داود والترمذي وأحمد والنسائي .

وأخرج أبو داود والنسائي (كتاب الطلاق من السنن) أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دخل على أم سلمة وهي معتدّة حين

توفي أبو سلمة رضي الله عنه وقد جعلت على عينها (أو وجهها صبراً) فقال : ما هذا يا أم سلمة؟ فقالت إنما هو صبر يا رسول الله ، ليس فيه طيب . قال : إنه يشّب الوجه ، فلا تجعليه إلا بالليل وتنزعينه بالنهار . . ويشبّ الوجه : من شبّ النار أي أوقدها فتلألأت ضياء ونوراً ، أي يلوّن الوجه ويحسّنه ويزيده نضارة .

وأخرج أبو داود وابن السني وأبو نعيم والترمذي قوله صلى الله عليه وآله وسلم : ماذا في الأمرّين من الشفاء : الصبر والثّفاء . والثُّفّاء هو الحرُف والمعروف لدى العامة بحب الرشاد .

٣ ـ شجرة اللبان «الكندر» **Olibanum** (الصورة رقم ١٧ و٣٨) . (Farankincense)

تنمو شجرة اللبان في سقطرى وحضرموت والمهرة وعمان وبلاد الصومال . وقد احتكر العرب تجارته في الأزمنة القديمة . وكانت للّبان عند القدماء خواص دينية وطبية وقد اهتم به بصورة خاصة الفراعنة ، ومنهم انتقل الاهتمام باللبان إلى اليونان والرومان وقد ورد ذكره في أسفار العهد القديم . . ويدخل اللبان ضمن الطقوس الدينية ، وقد ذكره المؤرخ الروماني بليني الأكبر في القرن الأول بعد الميلاد ووصف خصائصه الطبية ، وأنه يستخدم لأمراض الصدر وكدواء مضاد للتسمم بالشوكران (hemlock) ، وهو نبات طبي يحتوي على الهايوسيمين والأتروبين ، وتسبب الجرعة الزائدة منه تسمماً وهيجاناً وهذياناً مع ارتفاع في درجة الحرارة ، وقد يكون قاتلاً . ويستخرج اللبان بإيجاد شقوق وجروح في جذع شجرة اللبان بواسطة فؤوس صغيرة فيسيل منها سائل لبني سرعان ما

يجف ويتجمد ويصبح على شكل أقراص غير منتظمة أو حبات مستديرة أو على شكل كمثرى لها صفرة خفيفة أو خضرة خفيفة ومغطّاة بمسحوق خفيف من اللبّان نفسه .

وشجرة اللبان Olibanum تنتمي إلى الفصيلة Boswellia والعائلة Burserceae . ويستخرج اللبان من الأشجار التالية :

B. frereanea, B. bhaw - dajiana, B. Carteri وقد ذكر الموفق عبد اللطيف البغدادي في كتابه «الطب من الكتاب والسنّة» أن عبدالملك بن مروان قال : «ثلاثة أشياء لا تكون إلا باليمن ، قد ملأت الدنيا : اللبان والورس والبرد اليمني» . وللأسف فإن هذه الثلاثة جميعها لم تعد تصدّر من اليمن .

وذكر ابن القيم في كتابه الطب النبوي خصائص اللبان فقال : «وهو كثير المنافع قليل المضار . فمن منافعه أنه ينفع من قذف الدم ونزفه ، ووجع المعدة واستطلاق البطن (الإسهال) ، ويهضم الطعام ، ويطرد الرياح (الغازات Flatulence) ، ويجلو قروح العين ، وينبت اللحم في سائر القروح ، ويقوّي المعدة الضعيفة ويسخّنها ويجفّف البلغم ، وينشّف رطوبات الصدر ويجلو ظُلمة البصر ، ويمنع القروح الخبيثة من الانتشار . وإذا مضغ وحده أو مع الصعتر الفارسي جلب البلغم ونفع من اعتقال اللسان ، ويزيد في الذهن ويذكّيه . وإن بُخّرَ به نفع من الوباء وطيَّب رائحة الهواء» .

وقد وردت بعض الأحاديث الضعيفة والآثار في اللبان ، منها قوله صلى الله عليه وآله وسلم «بخّروا بيوتكم باللبان والصعتر» وقوله : «أكلُ اللبان يورث الحفظ ويذهب النسيان ويقطع البلغم» .

وذكر الإمام السيوطي في المنهج السوي والمنهل الروي في الطب النبوي أن رجلاً اشتكى إلى علي رضي الله عنه النسيان فقال : «عليك باللبان فإنه يشجّع القلب ويذهب النسيان» أخرجه ابن السني وأبو نعيم ، كلاهما في الطب النبوي ، وفي سنده ضعف . ويذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما أن شرب اللبان مع السكّر على الريق جيد للبول والنسيان . وقد رُوي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً شكى إليه النسيان فقال : عليك بالكُندر وانقعه من الليل فإذا أصبحت فخذ منه شربة على الريق ، فإنه جيّد للنسيان» والكندر هو اللبان باللفظ الفارسي ، وكلمة اللبان هي نفسها اللفظة الإغريقية واللاتينية أولبانم Olibanum .

وقد وصف اللبان ديوسقوريدس (عاش في القرن الأول قبل الميلاد) وجعله ضمن كتابه في العقاقير والأعشاب الطبية الذي يعتبر أقدم فارماكوبيا طبية التي شرح فيها خصائص ٩٥٨ عقاراً ونباتاً طبياً . وقال : «إن أجود أنواعه الذكر وأنه ينفع من وجع المعدة ويطرد الريح وينبت اللحم في القروح ويجفف البلغم ويجلو العين ويزيد في الحفظ وإذا مضغ بالصعتر نفع من اعتقال اللسان ، وبخوره نافع من الويّ ، يطيّب الهواء . وإذا تناوله الإنسان في إفطاره مع الزبيب الأسود وقلب الفستق أورث الذكاء . وينفع مع مربى الورد من يعاني من كثرة إدرار البول ومن يبول على فراشه» .

وقد بطل الاهتمام باللبان وركدت تجارته وإن كان لا يزال يستعمل في نطاق محدود في مجال الطب الشعبي ، وكمادة للبخور ومادة مثبتة للعطور ، وقد يستخدم في أنواع الحلويات الفاخرة .

ولا بد من إعادة الأبحاث الفارماكوليجية والطبيّة عن منافع اللبان فقد أطنب فيها القدماء من اليونان والعرب والفرس ، وذكره الرازي وابن سينا وابن البيطار وغيرهم وامتدحوا فوائده وخصائصه .

٤ ـ شجرة العدنة (تريمو) Adenium الصورة رقم (٤٠) :

توجد شجرة العدنه Adenium obesum في سقطرى ، وفي جبال اليمن وجبال عسير . وتنبت بين الصخور دون زراعة وتتميز شجرة العدنة السقطرية بضخامتها بالمقارنة مع الأنواع الأخرى . . . وهي شجرة معمّرة تعيش مئات السنين . وشجرة العدنة (العدين) التي توجد في المشرافه ، جبل برع ، إب ، وادي حربة في الضالع وفي الطريق ما بين شبوة وحضرموت (وكلها من اليمن) أقل حجماً وارتفاعاً من العدنة السقطرية التي توجد في جبال حجهر . . يقول البروفسور راد كليف سميث Radcliffe - Smith في البعثة البريطانية إلى سقطرى عام ١٩٦٧ في تقريره المنشور في كتاب برين دو (سقطرى : جزيرة السكينة) أن طولها يصل إلى ١٥ قدم (خمسة أمتار) وثخانة ساقها الأملس المنتفخ إلى ٤ أقدام (متر وثلث) . والساق رمادي مشوب بحمرة . والأوراق متبادلة في مجموعات طرفية بيضاوية . والأزهار متجمعة في نهايات الأفرع وردية اللون . والثمرة حرابية تنشق بمصراعين (كما يقول الأستاذ علي سالم باذيب في كتابه النباتات الطبيّة في اليمن) ، وتحتوي على عديد من البذور عليها خصلة من الشعيرات البنيّة .

ومن هذه الفصيلة ذاتها شجرة الخيار السقطري الغريبة الشكل Dendrosicyos التي يصل ارتفاعها إلى ٢٠ قدماً (٦ أمتار) وقطر ساقها ثلاثة أقدام (متر) وهي مثل الجزرة الكبيرة المقلوبة . .

وأوراقها في القمة لها رائحة مثل السمك . أما الثمرة والتي تدعى الخيار فهي صغيرة الحجم ولها رائحة السمك ولا يأكلها الإنسان ، وإنما تعطى للجمال . . وتسمى هذه الشجرة المعمّرة الغريبة قمحين في سقطرى (الصورة رقم ٤١) .

والشجرة الثالثة من هذه الفصيلة ، كما يقول البروفسور راد كليف سميث ، والمنتشرة في جبال سقطرى هي القرطب (هكذا تسمى في سقطرى) واسمها العملي Dorstenia gigas . . وتعتبر الدورستينا السقطرية (القرطب) هي الأصل القديم لكل أنواع الدورستينا وتتميز بغلظ ساقها وكونه مثل الجزرة المقلوبة ، وبارتفاعها (٣ إلى ٦ أمتار) وكونها معمرة تعيش مئات وربما آلاف السنين (انظر راد كليف سميث في كتاب سقطرى جزيرة السكينة لبرين دو ص١٨٩) .

وهذه الأنواع الثلاثة الموصوفة آنفاً تتميز بضخامتها وطولها مقارنة بالأنواع الإفريقية التي تعتبر أقزاماً بالنسبة لها . ويستخدم الأهالي العصارة المستخرجة من الساق مع الماء الفاتر لمعالجة الطفح الجلدي والبثرات ولتخفيف الحمى . وتستعمل العصارة كطلاء لمعالجة الأورام والتواء المفاصل . وقد قامت كلية الصيدلة بجامعة الملك سعود بالرياض بدراسة نبات العدنة الموجود في عسير (جبال أبها) **واكتشف الباحثون خمس مواد مضادة للسرطان هي :**

١ ـ ميثايل كويرسيتن 3.3 di - O - Methyl quercetine ، وتنتمي إلى مجموعة الفلافونات .

٢ ـ مادة سومالين Somaline .

٣ ـ مادة هونجلين Honghelin .

٤ ـ مادة هونجلو ساید (ألف) Honghelosside A .

٥ ـ ١٦ أستيل ستروبوساید 16 acetyl Stroposide . بالإضافة إلى الجلوكوزيدات القلبية المعروفة من قبل . . وهذا الاكتشاف يعتبر فتحاً في مجال مداواة السرطان ويحتاج إلى المزيد من الأبحاث حوله .

٥ ـ شجرة المرّ Myrrh (صورة رقم ٤٣) :

وصف هذه الشجرة العشاب المغربي (الأندلسي الأصل) أبو القاسم بن محمد بن إبراهيم الغساني المتوفى سنة ١٠١٢هـ في كتابه «حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار» فقال : «المرّ هو صمغ شجرة باليمن وقيل بجزيرة سقطرى ، يترك حتى يجمد . وهو اسم جنس مفردة مرّة ، معروف عندنا بفاس عند الصيادلة وغيرهم . وهو حار يابس في الثانية ونافع من السعال المزمن ، ويُصفّي الصوت ، وينوّمُ ، ويدرُّ الطمث . مفتّح محلّل للرياح ، وفيه تليين وقبض وإلزاق . ودخانه صالح لما يصلح إليه جُرمه ، مانعٌ من التعفّن حتى إنه يمسك الميّت ويحفظه من التغيّر والنتن . نافع من الأورام البلغمية ، يُدْملُ القروح ويكسو العظام العارية عن اللحم ، نافع من خشونة الأَجفان ، ويجلو آثار القروح في العين ويجلو بياضها ، نافع من القُلاع (التهابات في الفم واللثة) وخشونة الحلق ومن الربو وأوجاع الجنب (التهاب البلورا) ، نافع من انتفاخ المعدة واسترخائها ، مخرج للأجنة والديدان وحب القرع (نوع من الديدان الشريطية تصيب الأطفال خاصة ، وإسمها العلمي

(Hymenolopis nana) ، نافع من قروح الأمعاء والسحج والإسهال . وقد وصفها الملك التركماني الرسولي في كتابه (المعتمد في الأدوية المفردة) فقال : إذا نثر (المرّ) على الشجّ الحادث في الرأس ألزقه ، ويقتل الديدان ، والأجنّة يُخرجها . ويُخلط في الأكحال التي تتخذ للقروح والآثار الغليظة التي تحدث في العين . ويشرب للسعال القديم (المزمن) ، وليس يحدث في قصبة الرئة خشونة ، وهو في أدوية الفتق ، ويخلط بالقوابض فيوصلها . ويليِّن فم الرحم المنضمّ فيفتحه ، وإذا استعمل مع الأفستين أو الترمس أو عصارة السذاب أدرَّ الطمث ، وأخرج الجنين بسرعة» .

ولا شك أن المرّ واللّبان والصبر من الأشياء الثمينة التي احتكر تجارتها أهل اليمن وعُمان لمئات من السنين لأنها تنبت في بلدهم ، وتكثر الحاجة إليها ، في الأزمنة الغابرة في المعابد والهياكل الدينية . وربما دخل المر في تحنيط الموتى الذي اشتهر به الفراعنة وكان من أسرارهم وقد أشار إليه الغساني فيما سبق .

وقد وصفت دائرة المعارف البريطانية المرّ كالتالي :

«المرّ من الكلمة العربية التي تعني المرارة . وهو إفراز صمغي راتنجي أصفر ذو رائحة طيبة لونه أصفر إلى اللون البني الأحمر . ويستخرج بتجريح شجرة من صنف Commiphora ، وعائلتها الأشجار ذات الروائح الزكية Burseraceae . وكان القدماء يقدّرون المرّ الذي كان يدخل في عطورهم وبخورهم وأدويتهم ، كما كانوا يستخدمونه للتحنيط . . وكان المرّ في أوربا في العصور الوسطى شيئاً ثميناً ونادراً ما يمكن العثور عليه . . ولكن بمرور الزمن فقد المرّ

كما فقد اللبان أهميته وأصبحت تجارته محدودة جداً . ولا يزال المرّ يستخدم في مستحضرات تنظيف الأسنان dentifrices وفي صناعة العطور وفي العقاقير والأدوية المقوية ، وكمادة حافظة وواقية للعقاقير .

«وللمر خاصية تعقيمية بسيطة antiseptic ومادة قابضة ومادة طاردة للغازات Carminative . ويستخدم لمعالجة اللثة والفم إلى اليوم في العقاقير المستخدمة لهذا الغرض . . ويستخرج من المرّ زيت يدخل في تركيب العطور القوية النفاذة .

«وعند تجريح لحاء جذع شجرة المرّ يسيل منها سائل خفيف يتجمد بتعرضه للهواء ويأخذ شكلاً كروياً أو أشكالاً غير محددة تدعى أحياناً الدموع tears ثم يصفرُّ اللون ويَدكُن حتى يصير بنّياً . ويحتوي المر على ٢٥ إلى ٤٥ بالمئة مادة راتنجية و٣ ـ ٨ بالمئة زيت و٤٠ ـ ٦٠ بالمئة مادة صمغية .

«وكانت تجارة المرّ واللبان محتكرة لدهور طويلة بيد أبناء جنوب الجزيرة العربية الذين حافظوا على أسرارها وكانوا نشيطين في إيصالها إلى مختلف بلاد العالم الجديد حيث جنوا ثروات هائلة منها» . انتهى كلام دائرة المعارف البريطانية .

ويذكر الأستاذ علي سالم باذيب في كتابه (النباتات الطبية في اليمن) أن باليمن سبعة أنواع من شجر المرّ هي C. myrrha, C. abyssinica, C. Kua, C. habessineca, C. gileadenesis, C. Kataf and C. Opobalsamum .

وتوجد أشجار المرّ في سُقطرى وحضرموت وشبوة ولودر والمهرة

ومودية وأحور وفي جنوب حيس ومأرب والمشرافة (كلها في اليمن) ويستخدم المرّ في الطب الشعبي للالتهابات الرئوية ، ولقرح الجهاز الهضمي ، ولسوء الهضم ، ويطرد الغازات ويدرّ الطمث . وهو قابض للأغشية المخاطية في الفم والبلعوم والحنجرة .

ويدخل المرّ في تركيب بعض المراهم التي تعالج البواسير والنواسير والقرح السريرية . ويستعمل في معاجين وغسولات الأسنان والفم . كما يستخدم أيضاً في صناعة بعض العطور .

المرّ : الاسم العلمي Commiphora myrrha .

العائلة : البرسرية Burseraceae .

باللغة الإنجليزية Myrrh بالفرنسية Arbre a Myrrhe .

* * *

وتكثر في سقطرى أشجار النخيل حتى أن حديبو كانت تسمى تمردة أو مدينة التمر لأنه يصدّر منها ، ولا يزال يصدر التمر السقطري إلى حضرموت وشرق إفريقيا وبعض الأماكن الأخرى كما يوجد بها نخيل النارجيل . . ويعمد أصحاب النخيل في سقطرى إلى وضع أوراق مكتوب فيها آيات من القرآن العظيم على النخلة المثمرة فلا يستطيع أن يقربها أحد . . فالويل للسارق من عذاب الله إذا امتدت يده إلى تمرة واحدة فيها آيات من القرآن . . وهذا يدل على عمق إيمان أهل هذه الجزيرة الذين يعيش أغلبهم في شظف من العيش مع قناعة ووداعة .

الفصل الثامن

الثروة السمكية والحيوانية في سقطرى

تتميز سقطرى بثروة سمكية كبيرة إلا أنها ليست مستغلة لعدم وجود أسطول حديث للصيد ولا وسائل لحفظ السمك وتعليبه ، ورغم ذلك فإن الأهالي بخبرتهم الطويلة في البحر يصطادون كميات غير قليلة رغم استخدامهم قوارب صغيرة جداً للصيد ووسائل بدائية لاصطياده . وتصدّر سقطرى ما يقرب من خمسين ألف حوت من أسماك القرش بالإضافة إلى أسماك التونة والساردين وغيرها من الأسماك التي يملّحها الأهالي ويجففونها في الشمس . ونتيجة لذلك فإن الفاقد كبير لعدم وجود ثلاجات للحفظ ولا مصانع للتعليب .

وفي سقطرى ثروة حيوانية معتدلة ففي عام ١٩٨٤ كان لدى الرعاة البدو في سقطرى ٥٠,٠٠٠ من الماعز والأغنام و٤٠٠٠ بقرة و٤٠٠ حمار و٢٠٠ جمل ، كما يذكر ذلك تقرير حكومة عدن المحلية لتطوير سقطرى .

ويقول سليم زبال في استطلاعه عن سقطرى الذي نشرته مجلة العربي (أغسطس ١٩٧١) : «تنحدر أبقار سقطرى من فصيلة أبقار الفريزيان التي جلبها البرتغاليون عندما احتلوا الجزيرة عام ١٥٠٧م

لفترة قصيرة (أربع سنوات فقط) . ومع مرور السنوات ضعفت السلالات وصغر حجم البقرة ، وأصبحت لا تنتج أكثر من ليتر من الحليب يومياً .

«وتتميز الأغنام في الجزيرة بصغر حجمها وذيلها الرفيع المشابه لذيل الحمار ، وهي معروفة في أوربا وروسيا تحت اسم أغنام الذيل الطويل .

«أما الماعز فقد رأينا أنواعاً غريبة منها تضاءل حجمها حتى كاد أن يصبح كالقط الكبير يغطيها شعر كث وفير يصنعون منه الشملة المحلية» .

ويكثر في الجزيرة أنواع الوعول Ibix (انظر الصورة رقم ١٧) التي توجد في المناطق الجبلية . كما توجد أنواع من الأفاعي والطيور ، بالإضافة إلى قط الزباد الذي يستخرج من غدة (قرب فرجه) مادة دهنية تعرف باسم الزباد (صورة رقم ٣٤) .

وفيما يلي وصف لأسماك القرش الذي تتميز به سقطرى والتونة والعنبر الذي يكثر في بحارها ، ووصف لقط الزباد وفوائده واستعمالات كل واحد منها .

١ ـ **أسماك القرش (اللخم) shark** : (الصورة رقم ٥ ، ٦ ، ٤٤) . تتميز مياه سقطرى بكثرة أسماك القرش فيها . وهي أسماك قوية ولها قدرة على مهاجمة الإنسان . ويتميز القرش بجهاز عضلي قوي جداً ويمكن للقرش الأزرق الغطس بسرعة تفوق سرعة غواصة سريعة جداً . ومن الغرائب أن القرش غير حساس للألم حتى لو جرح ولذا فهو يستطيع المهاجمة ومواصلة العراك .

وتوجد أغلب أسماك القرش في المياه الاستوائية الدافئة ولذا تكثر في بحر العرب والبحر الأحمر . . ونصيب سقطرى منها نصيب وافر .

ورغم وسائل الصيد البدائية جداً إلا أن الصيادين السقطريين يصطادون في كل عام ما يزيد عن خمسين ألف حوت من أسماك القرش التي تُملّح وتُصدّر إلى الهند وشرق إفريقيا . . وينتمي القرش إلى الأسماك الغضروفية إذ يتكون الهيكل من غضاريف وليس من عظام وذلك ما يعطي القرش قدرة إنسيابية وحركية مع قوة عضلاته . . وأسنان القرش تتجدد بخلاف الحيوانات الأخرى فإذا سقطت سن أخلفتها أخرى . ويستخدم القرش الأسنان للإمساك بالفريسة وليس لتقطيعها إذ إنه يقوم غالباً بابتلاعها .

ويؤكل لحمه ، كما يؤكل لحم القرش الصغير طازجاً ويستعمل في تحضير عدد من الأطباق الشهية مثل كباب السمك والربيس المعروفة في عدن وحضرموت .

ويتم في الخارج استخدام جلد القرش كما أن كبده غنية بالزيوت وفيتامين ألف . ويستخدم الصينيون زعانف القرش في الطعام وتعتبر شوربة زعانف سمك القرش من الوجبات المشهورة واللذيذة لدى الصينيين وسكان جنوب شرق آسيا ، كما تستخدم أسنان القرش في صنع أدوات الزينة !!

وهناك أنواع عديدة من سمك القرش مثل :

أ ـ كلب السمك Dog fish ويعيش في المياه الرملية القاع ولا يبعد كثيراً عن الشاطئ . ويُستخدم جلده لتلميع وصقل الأخشاب والمعادن .

ب ـ القـرش الأزرق Blue shark ويبلغ طوله ٧,٥٠ مـتـراً وهو مفترس عـدواني قـوي جداً وسـريع جداً ، حيث تبلغ سـرعته ٤٨ كيلو متر في الساعة .

ج ـ القـرش النمـر The Tiger shark ويبلغ طوله إلى تسـعة أمتـار وهو شديد الفتك .

د ـ القـرش المطرقـة (الشـاكـوش) Hammerhead shark لأن رأسـه يشبه المطرقة وهو ولود على عكس الأسـماك الأخرى وهو بهذا أقرب إلى الثدييات مثل الحوت (العنبر) .

هـ ـ القـرش الأبيض العظيم ويبلغ طـوله ١٢ مـتـراً وهو أخطر حيوانات البحر على الإنسان فهو فتاك .

و ـ القرش الحوت : وهو أقرب الأسماك إلى الحوت . ومعلوم أن السمك يبيض ، والحوت (العنبر) من الثدييات يلد ولذا فهو يعتبر أكبر الأسـماك إذ إن طوله يبلغ ١٨ متراً ويتغذى على الحيوانات والنباتات وله كبد ضـخمة يستخرج منها ١٣٥ جالوناً من الزيت .

٢ ـ أسماك التونة (وتسمى الثمد والديرك) (الصورة رقم ٤٨) وهي أسماك منها الصغير ومنها الكبير الذي يزيد طوله على ثلاثة أمتـار ووزنه نصف طن وتضع الأنثى عشرات الآلاف من البيض الصـغيـر الذي لا يزيد حـجم الواحـدة منها على رأس الدبوس . وتفقس البيضة بعد يومين لتخرج منها سمكة صغيرة عارية بدون زعانف لا يزيد طولها على (عشر) البوصة ، وبعد ثلاثة أشهر تزن رطلاً ، وإذا قدر لها البقاء ولم تلتهمها الأسماك الأخرى تزن

ثمانية أرطال عند حلول العام . وفي العام الخامس تزن حوالي مائتي رطل وبعد عشرين عاماً من عمرها تتجاوز ألف رطل ، ولكن القليل من هذه الأسماك هو الذي تمتد حياته ليبلغ هذا الوزن والحجم .

وتعتبر سقطرى غنية بأسماك التونة ولا يستطيع الصيادون المحليون اصطياد الكثير منها بوسائلهم البدائية ، ولكن اليابان بأسطولها الضخم تجول البحار وتعتدي على هذه الثروة ولذا فإن اليابان أكبر منتج ومصدر لأسماك التونة في العالم .

٣ ـ العنبر (الحوت) (الصورة رقم ٤٦ ، ٤٧) : يعتبر الحوت (العنبر) أضخم المخلوقات على الكرة الأرضية . وهو حيوان ثديي ضخم يلد صغاره وليس من الأسماك . . **والحوت الذي ابتلع يونس عليه السلام هو من هذه الفصيلة . قال تعالى ﴿ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم . لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم . فاجتباه ربه فجعله من الصالحين﴾**[1] .

وقال تعالى :

﴿وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إلَه إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين﴾[2] ، وقال تعالى : **﴿وإنَّ يونس لمن المرسلين ، إذ أبق إلى الفلك المشحون .**

---

(١) سورة القلم : ٤٨ ـ ٥٠ .

(٢) سورة الأنبياء : ٨٧ ـ ٨٨ .

فساهم فكان من المدحضين . فالتقمه الحوت وهو مليم ، فلولا أنه كان من المسبِّحين ، للبث في بطنه إلى يوم يبعثون﴾[1] .

وقد استخدم الإنسان الحيتان كمصدر للّحم والعظم والزيت كما استخدم إفراز الحوت في طيبه وعطوره ، ويعتبر العنبر أحد أفخر أنواع الطيب ، وله استخدامات دوائية سنذكرها فيما يأتي .

حوت العنبر وأبو عبيدة : وقد ورد في السنة الصحيحة عن جابر رضي الله عنه قال : «بعثنا رسول الله ﷺ وأمّر علينا أبا عبيدة نتلقى عيراً لقريش ، وزودنا جراباً من تمر لم يجد لنا غيره ، فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة . قال : فقلت : كيف كنتم تصنعون بها؟ قال : نمصّها كما يمصّ الصبي ثم نشرب عليها من الماء فتكفينا يومنا إلى الليل . وكنا نضرب بعصينا الخبط ثم نبلّه بالماء فنأكله .

قال : «وانطلقنا على ساحل البحر فرفع لنا ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم فأتيناه فإذا هي دابة تدعى العنبر . قال أبو عبيدة : ميتة . ثم قال : لا ، بل نحن رسل رسول الله ﷺ وفي سبيل الله ، وقد اضطررتم فكلوا . قال فأقمنا عليه شهراً ، ونحن ثلاثمائة حتى سمّنا . قال : ولقد رأيتنا نغترف من وقب عينه بالقلال الدهن ، ونقتطع منه الفدَر كالثور أو قدر الثور ، فلقد أخذ منّا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلاً فأقعدهم في وقب عينه . وأخذ ضلعاً من أضلاعه فأقامه ثم رحّل أعظم بعير معنا فمرّ من تحتها . وتزودنا من لحمه وشائق ، فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

---

(٢) سورة الصافات : ١٣٩ ـ ١٤٤ .

فذكرنا ذلك له فقال : هو رزق أخرجه الله لكم ، فهل معكم من لحمه شيء فتطعمونا؟ قال : فأرسلنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأكله[1] .

وهذا الحديث الصحيح يدلُّ على عظم هذا الحوت حتى أن محجر عينه (الوقب ، الحجاج) جلس فيه ثلاثة عشر رجلاً ، وحتى أن ضلعه مرّ تحته الراكب على أعظم بعير للقوم ، وأن أبا عبيدة اجتهد لأصحابه في أكله رغم أنه ميتة لأنهم مضطرون ثم إن المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم أوضح لهم إباحة أكله على الإطلاق فأكل منه بنفسه تطييباً لهم ، وأنه حلال طيّب رزقهم الله إياه . وعليه فإن ميتة البحر كلها حلال سواء كانت سمكاً (بفلوس أي قشر)[2] أو غير سمك مثل مختلف الثدييات الموجودة في البحر . . وهو ما أكّده الحديث الآخر بقوله صلى الله عليه وآله وسلم عن البحر هو الطهور ماؤه ، الحِلّ ميته .

شرح الألفاظ : الوقب والحجاج هي محجر العين ، والقُلّة : الجرّة الكبيرة والجمع قلال والفدَر (بكسر الفاء وفتح الدال) هي القطع ، مفردها : فدرة . والوشائق جمع وشيقة وهو اللحم القديد أو اللحم يؤخذ فيغلى ولا ينضج ويحمل في الأسفار .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الذبائح وكتاب المغازي وأخرجه مسلم في كتاب الصيد (واللفظ له) وأخرجه أبو داود في سننه في كتاب الأطعمة باب في دواب البحر وأخرجه النسائي في كتاب الصيد وأخرجه أحمد في مسنده ج٣ :٣٠٩ ، ٣١١ وأخرجه مالك في الموطأ .

(٢) السمك يبيض وله قشر يسميه العرب فلوساً وزعانف وأما دواب البحر الأخرى فمنها الثدييات مثل الققمة وأسد البحر وكلب البحر والحوت وهو العنبر . . ويحرّم اليهود الثدييات وجميع دواب البحر ما عدا السمك .

وقد وصف البحار التاجر سليمان السيرافي الحوت (العنبر) والذي عُرف أيضاً باسم البال أو القيطس أثناء رحلته إلى الهند سنة ٢٣٧هـ فقال : «رأى سمكاً مثل الشراع ، ربما رفع رأسه فتراه كالشيء العظيم وربما يقع الماء من فيه فيكون كالمنارة العظيمة . فإذا سكن البحر ، اجتمع السمك فحواه بذنبه ثم فتح فاه فيرى من جوفه يفيض كأنه يفيض من بئر . والمراكب التي تكون في البحر تخافه فهم يضربون بالليل بنواقيس مثل نواقيس النصارى ، مخافة أن يتكئ على المركب فيغرقه» . .

وقد وصف رحالة آخر هو أبو زيد السيرافي الحوت في تذييله على كتاب سليمان السيرافي فقال : «وهذا الحوت المعروف بالبال ، ربما عُمل من فقار ظهره كراسي يقعد عليها الرجل ويتمكّن ، وسمعت من يقول أنه وقع من قديم الأيام إلى قرب سيراف منه واحدٌ فقصد للنظر إليها ، فوجد قوماً يصعدون إلى ظهرها بسلم لطيف . والصيادون إذا ظفروا بها ، طرحوا في الشمس وقطّعوا لحمها وحفروا لها حفراً يجتمع فيها الودك (الدهن) ، ويُغرف الودك من عينيها بالحرارة إذا أذابتها الشمس فيجمع ويباع على أرباب المراكب» .

وقد بدأ الاستغلال التجاري للحيتان منذ بداية القرن السابع عشر الميلادي . وكان صيد الحيتان حتى أوائل القرن العشرين يتم من قوارب تجديف مكشوفة بواسطة آلة تسمى الحربون Harpoon ثم تقتل بعد ذلك بالحراب . وفي عام ١٨٦٠ استطاع سفنيد فوين Svend Foyn النرويجي أن يبتكر مدفعاً حربونيا يطلق من سطح

السفينة وفي رأسه شحنة متفجرة . وبهذه الوسيلة تمكن الصيادون من القضاء على مئات الآلاف من الحيتان ، ففي الفترة فيما بين عامي ١٩٠٤ و١٩٣٩ تم القضاء على أكثر من ٦٣٠,٠٠٠ حوت من مختلف الأنواع كما تم قتل نصف مليون حوت في الفترة ما بين ١٩٤٥ و١٩٦٠ . . وأكبر الدول المصطادة للحوت اليوم هي اليابان التي حلت محل النرويج وروسيا . . وقد وُضعت قوانين مشددة للحفاظ على الحيتان من الانقراض .

وتعيش الحيتان في المحيطات والأنواع الأكبر مثل الحوت الأزرق والحوت ذي الزعنفة Fin whale والحوت المحدب Humpback whale تعيش في المناطق الباردة الجنوبية ، أما تلك التي تعيش في المياه الدافئة ، ومنها بحر العرب ، وما حول جزيرة سقطرى ، فهي التي تعرف بالعنبر Sperm whale .

ويتم اصطياد الحيتان من أجل لحمها الذي يحبّه اليابانيون بصورة خاصة ، وزيتها (معدل الناتج من حوت واحد مائة برميل من الزيت) وتستخدم العظام لصنع بعض الأثاث الفاخر كما يتم تحويل بقايا الحوت ودمه إلى مخصّبات Fertilisers .

ماهية العنبر (الطيب) : أما **العنبر** Ambergris فهو مادة يفرزها حوت العنبر Sperm Whale من أمعائه فتطفو على سطح البحر وخاصة في المناطق الاستوائية . وحظ سقطرى منه كثير وهو من أفضل أنواع الطيب . قال ابن القيم في الطب النبوي : «وأما العنبر الذي هو أحد أنواع الطيب فهو من أفخر أنواعه بعد المسك . . وقد

اختلف الناس قديماً في أصله فقالت طائفة هو نبات ينبت في قعر البحر فيبتلعه بعض دوابه فإذا ثملت منه قذفته رجيعاً فيقذفه البحر إلى الساحل وقيل هو طل ينزل من السماء في جزائر البحر فتلقيه الأمواج إلى الساحل . وقيل هو روث دابة بحرية . وقال ابن سينا في القانون : هو فيما يظن ينبع من عين في البحر ، والذي يقال إنه زبد البحر أو روث دابة بعيد ! !» .

والذي ظنه ابن سينا بعيد الوقوع هو واقع الأمر وتؤكد ذلك دائرة المعارف البريطانية حيث تقول : «العنبر Ambergris : مادة شبه صلبة تتكون في أمعاء حوت العنبر Sperm Whale ويستخدم في الطيب ولتثبيت الروائح الفاخرة والعطور الممتازة . ويتكون العنبر في أمعاء الحوت حول المواد غير المهضومة فيفرزها في برازه . . ولكن من غير المعلوم هل هذه العملية فسيولوجية (وظيفية) أو باثوليجية (مرضية) . . ويكون العنبر عند خروجه طرياً أسود اللون وله رائحة غير محببة . . وعندما يتعرض للهواء والشمس يجف ويصلب ويبهت لونه وتصير له رائحة طيّبة نفاذة . وقد يوجد في أمعاء الحوت عند اصطياده ، ولكنه غالباً ما يوجد طافياً في البحار الدافئة مثل جزر البهاماس (وهي الجزر التي اكتشفها كولومبس وتقع في المحيط الأطلسي بالقرب من كوبا) . وأكبر قطعة وجدت طافية منه كانت تزن ٤١٨ كيلو جراماً (٩٢٢ رطلاً)[1]» .

فوائد العنبر : ويوجد العنبر طافياً على سواحل سقطرى في قطع

---

(١) دائرة المعارف البريطانية الميكروبيديا ج١ : ٢٩٥ الطبعة ١٥ لعام ١٩٨٢ .

صغيرة . ولا يستخدم العنبر في الطيب والعطور فحسب ، وإنما يستعمل كذلك كأحد التوابل وكفاتح للشهية وعلاج للنحافة ولزيادة الوزن ولحالات الكرب (الكآبة Depression) والمناخوليا (Melancholy) وهي المزاج السوداوي الذي يصحبه تفكير في الانتحار .

وقد ذكر الملك المظفر يوسف بن عمر الرسولي ملك اليمن المتوفى سنة ٦٩٤هـ في كتابه «المعتمد في الأدوية المفردة» خصائص العنبر واختلاف الناس في أصله ، وذكر أنواعه وألوانه وفوائده الطبية العديدة ، وأنه نافع من أوجاع المعدة . ومن الرياح الغليظة ومن السدد ، ومن الشقيقة والصداع إذا تبخّر به وإذا طلي به ويقوي الأعضاء ، ويتخذ منه شمّامات يشمّها من عرض له الفالج (الشلل) واللقوة (شلل العصب السابع الذي يصيب الوجه Facial Palsy) والكزاز (التتانوس) فينتفعون بشمها . . ثم يقول وإن طرح منه شيء في قدح وشربه إنسان سكر سريعاً .

وتذكر دائرة المعارف البريطانية ودائرة معارف المخدرات أن تعاطي العنبر يسبب نوعاً من السكر ويحدث نشوة وتفريحاً Eu-phoria كما يسبب فقدان القدرات العقلية الدقيقة .

ولذا فإن استخدام العنبر بهذا المقدار المسكر حرام وقد ذكر ذلك فقهاء الإسلام الأقدمون . وذكر ابن حجر المكي الهيتمي العنبر ضمن المواد المخدرة والمسكرة وأن استخدامها كبيرة وفسق كالخمر لأنها تزيل العقل (انظر كتاب الزواجر : الكبيرة السبعون بعد المائة) .

ورغم هذا فقد أجمع الفقهاء على جواز استخدام العنبر في الطيب والدواء بالقدر الذي لا يسكر ، وقد ورد في الأحاديث الصحيحة وصف ريح النبي ﷺ بأنه أطيب من ريح العنبر[1] .

وهكذا فإن سقطرى قد اشتهرت بنوعين من أنواع الطيب : **العنبر والزباد** وكلاهما من إفراز الحيوانات الثديية ، فالأول (العنبر) إفراز أمعاء الحوت والثاني (الزباد) إفراز من غدة قط الزباد التالي وصفه .

قط الزباد (انظر الصورة رقم ٣٤) : هو سنّور متوحش أكبر من القط ويأكل الدجاج والتمر وسمك الساردين . ويُمسكه الأهالي ويضغطون على غدة بالقرب من فرجه فيفرز مادة دهنية تسمى الزباد ، لها رائحة نفاذة وتستخدم لتثبيت العطور الفاخرة . كما يستخدم مع أنواع الطيب الأخرى ويخلط بها فيعطيها قوة نفاذة في رائحتها . وإذا تم استخراج الزباد من السنور تُرك وأطلق سراحه فترة ثم يتم اصطياده والقبض عليه وإطعامه التمر ثم يستخرج منه مرة أخرى الزباد . وهكذا .

وقد اشتهرت سقطرى بالزباد والعنبر من أصناف الطيب كما اشتهرت بالبخور واللبان والمر والصبر ودم الأخوين عندما كانت هذه المواد ذات قيمة . . أما اليوم فإن قيمتها قد تضاءلت ولم يعد هناك من يهتم بهذه المواد إلا القليل .

فوائد الزباد الطبيّة :

جاء في كتاب المعتمد في الأدوية المفردة للملك المظفر يوسف بن

---

(١) انظر صحيح مسلم كتاب الفضائل ومسند أحمد ج٣/ ٢٠٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٨ وصحيح البخاري كتاب الصوم .

يوسف بن عمر الرسولي الغساني ملك اليمن المتوفى سنة ٦٩٤ ما يلي عن الزباد :

«الزباد نوع من الطيب يجمع من بين أفخاذ هرّ معروف بالصحراء ، يصاد ويطعم ويُعرق فيكون هذا الطيب من عرق بين فخذيه ، وهو أكبر من الهرّ الأهلي . والزباد حارّ في الدرجة الثالثة ، معتدل الرطوبة . وخاصيته إذا ضُمِّخت به الدماميل جففها ، وإذا استنشق المزكوم ريحه نفعه من الزكام . **وإذا سقي منه درهم مع مثله زعفران في مرقة دجاجة سمينة للمرأة التي بها عسر النفاس ، سهّل ولادتها ، وكان ذلك أنجح دواء ، . وإذا ذوّب منه قيراط في أوقية من شراب مفرّح أذهب الخفقان ، وكان دواء جيداً نافعاً من ضعف القلب»** .

ويوجد بسقطرى ثروة حيوانية لا بأس بها من الأغنام والأبقار ومنها أبقار صغيرة بدون سنام بالإضافة إلى الجمال التي تعتبر وسيلة الانتقال الأولى في داخل الجزيرة وتوجد في الجزيرة أنواع الوعول Ibix والبقر الوحشي (المها) Oryx كما تكثر بها الحيات وأنواع الطيور .

وتصدّر الجزيرة من المنتوجات الحيوانية السمن وسمك القرش المجفف المملح كما تصدّر الزباد والعنبر والصدف والشملة (سجاد مصنوع من أصواف الأغنام) بالإضافة إلى التمر والصبر ودم الأخوين واللبان والمر ، وإن كانت كل هذه الأصناف قد فقدت بريقها الذي كان لها في الماضي وأصبحت التجارة فيها محدودة جداً .

المراجع

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ محمد بن إسماعيل البخاري : صحيح البخاري كتاب الذبائح وكتاب المغازي ، دار الشعب ، القاهرة (طبعة مصورة) .

٣ ـ مسلم بن حجاج القشيري : صحيح مسلم (الجامع الصحيح) بشرح النووي ، دار الفكر ، بيروت ١٩٧٢ .

٤ ـ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني : سنن أبي داود (كتاب الأطعمة) ، ضبط وترقيم محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت .

٥ ـ أحمد بن شعيب النسائي : سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي ، المكتبة العلمية ـ بيروت .

٦ ـ أحمد بن حنبل : المسند ، تحقيق أحمد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة .

٧ ـ جلال الدين السيوطي : تنوير الحوالك شرح موطأ مالك ، دار الندوة الجديدة ، بيروت .

٨ ـ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، دار صادر ودار بيروت ، بيروت ١٩٥٧ .

٩ ـ مجموعة من المستشرقين : دائرة المعارف الإسلامية ، ترجمة أحمد الشنتناوي وزملائه ، دار المعرفة ، بيروت .

١٠ ـ الحسن بن أحمد الهمداني : **صفة جزيرة العرب** ، تحقيق محمد بن علي الأكوع وإشراف حمد الجاسر ، إصدار دار اليمامة ، الرياض .

١١ ـ علي بن الحسين المسعودي : **مروج الذهب** ، تحقيق محمد محيي حميد الدين دار المعرفة ، بيروت .

١٢ ـ القاضي محمد بن أحمد الحجري : **مجموع بلدان اليمن وقبائلها** . تحقيق إسماعيل الأكوع ، وزارة الإعلام والثقافة ، صنعاء ١٩٨٤ .

١٣ ـ السيد سقاف بن علي الكاف : **حضرموت عبر ١٤ قرناً** ، مكتبة أسامة ، بيروت ١٩٩٠ .

١٤ ـ ابن المجاور (يوسف بن يعقوب الشيباني) : **تاريخ المستبصر** (في تاريخ الحجاز واليمن وحضرموت وعمان) . تحقيق المستشرق أوسكار لوفجرن ، ليدن ، هولندة ، ١٩٥١ .

١٥ ـ السيد صالح الحامد : **تاريخ حضرموت** ، مكتبة الإرشاد ، جدة ١٩٦٨ .

١٦ ـ أحمد بن عبدالله بن علوي (شنبل) : **التاريخ** ، صنعاء بإشراف السيد عبد الله الحبشي .

١٧ ـ محمد بن علي باحنان : **تاريخ جواهر الأحقاف** ، مكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة ١٩٦٢ .

١٨ ـ السيد محمد أحمد الشاطري : **أدوار التاريخ الحضرمي** ، عالم المعرفة ، جدة ١٩٨٣ .

١٩ ـ الزركلي : **الإعلام** ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الخامسة ١٩٨٠ .

٢٠ ـ السيد علي بن حسين العطاس : **تاج الأعراس** .

٢١ ـ أحمد العبيدلي : **سكان سقطرى في المصادر العربية المبكرة** ، صحيفة الحياة ، العدد ١١١٠٨ في ١٣/٧/١٩٩٣ والعدد ١١١١٠ في ١٥/٧/١٩٩٣ .

٢٢ ـ أبو الريحان البيروني (محمد بن أحمد) : الصيدنة (طبعة مصورة للمخطوط) ، تحقيق الحكيم محمد سعيد والدكتور رانا إحسان الٰهي ، مؤسسة همدرد ، كراتشي ـ باكستان ، ١٩٧٣ .

٢٣ ـ ابن القيم (أبو عبدالله محمد بن أبي بكر) الطب النبوي ، تحقيق د . عبد المعطي قلعجي ، دار التراث ، القاهرة ١٩٧٨ .

٢٤ ـ الموفق البغدادي (عبد اللطيف) : الطب من الكتاب والسنّة . تحقيق د . عبد المعطي قلعجي ، دار المعرفة ، بيروت ١٩٨٦ .

٢٥ ـ الكحال ابن طرخان (علي بن عبد الكريم بن طرخان الحموي) : الأحكام النبوية في الصناعة الطبية ، تحقيق عبد السلام هاشم حافظ ، مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة ١٩٥٥ .

٢٦ ـ الغساني (أبو القاسم محمد بن إبراهيم) الوزير : حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار . تحقيق محمد العربي الخطابي ، دار المغرب ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٩٠ .

٢٧ ـ يوسف بن عمر الرسولي الغساني التركماني : المعتمد في الأدوية المفردة ، توزيع دار الباز للنشر بمكة المكرمة ودار المعرفة بيروت ١٩٨٢ .

٢٨ ـ داود بن عمر الأنطاكي : تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب (تذكرة داود) ، مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٥٢ .

٢٩ ـ علي سالم باذيب : النباتات الطبية في اليمن ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ١٩٩٣ .

٣٠ ـ د . عبد الرحمن العقيل وزملاؤه : النباتات السعودية المستعملة في الطب الشعبي ، إدارة البحث العلمي ـ مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية الرياض ١٩٨٧ .

٣١ ـ سليم زبال : استطلاع عن سقطرى : مجلة العربي العدد رقم ١٥٢ ورقم ١٥٣ لشهري يوليه وأغسطس ١٩٧١ .

٣٢ ـ تقرير الحكومة المحلية في عدن لتطوير سقطرى ، أغسطس ١٩٨٤ (باللغة الإنجليزية) .

٣٣ ـ تقرير وكالات الأمم المتحدة في عدن عن بعثة سقطرى (نوفمبر ١٩٨٤) باللغة الإنجليزية والصادر في يناير ١٩٨٥ .

٣٤ ـ د . محمد علي البار : ماذا في الأمرّين من الشفاء : الصبر والشفاء ، دار المنارة . جدة ١٩٩٦ .

٣٥ ـ د . محمد علي البار : سقطرى الجزيرة السحرية ، مجلة أهلاً وسهلاً (السعودية) عدد يناير ١٩٩٣ وعدد يونيه ١٩٩٣ .

٣٦ ـ دائرة المعارف البريطانية ، الطبعة ١٥ لعام ١٩٨٢ .

٣٧ ـ كتاب المعرفة : البحار والمحيطات ، توزيع الشركة الشرقية للمطبوعات ، بيروت .

٣٨ ـ Brain Doe: *Island of Tranquility*. IMMEL Publishing Ltd. London 1992.

٣٩ ـ Vitaly Naumkin: *The Island of Pheonix.* Ithaca. Press, - Reading. U.K. 1993.

محتويات الكتاب

المقدمة ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ ٥

الفصل الأول : تعريف بسقطرى ـــــــــــــــــــــ ٩

خريطة سقطرى العامة ـــــــــــــــــــــــــــــــ ١٢

الفصل الثاني : سقطرى في التاريخ القديم ـــــــــــ ١٣

سقطرى والهنود ١٣ ، سقطرى والفراعنة ١٦ ، سقطرى عند اليونان والرومان ١٨ ، الإسكند المقدوني وسقطرى ٢٢ ، كلام المسعودي في «مروج الذهب» ٢٢ ، كلام الهمداني في «صفة جزيرة العرب» ٢٣ ، كلام الهمداني في كتابه «الإكليل» ٢٤ ، ياقوت الحموي في كتابه «معجم البلدان» ٢٥ ، الجغرافي الشريف الإدريسي ودخول الإسكندر سقطرى ٢٦ ، البيروني وجزيرة سقطرى ٢٦ ، كوسماس التاجر اليوناني وسقطرى ٢٨ ، ديودوروس الصقلي وسقطرى ٣٠ ، كتاب رحلة إلى البحر الأحمر وسقطرى ٣١ ، دخول النصرانية إلى سقطرى ٣٢ ، سقطرى في العهود الإسلامية ٣٥ ، سقطرى والإباضية ٣٧ ، سقطرى في عهد الأئمة من عمان ٣٨ ، النصارى ينقضون العهد ويقتلون النساء والأطفال ٤٢ ، علاقة الهنود بسقطرى في العهود المختلفة ٤٤ .

الفصل الثالث : سقطرى في التراث الإسلامي ـــــــــــ ٤٩

سقطرى عند المسعودي ٤٩ ، سقطرى عند الهمداني ٥٠ ، سقطرى عند ياقوت ٥١ ، سقطرى وابن المجاور ٥٢ ، قصة الطيور السبعة ٥٤ ، السحر والقوادة في سقطرى ٥٦ ، سقطرى عند السالمي المؤرخ العماني ٦١ ، سقطرى وابن ماجد ٦١ ، سقطرى وسليمان المهري ٦٤ .

الفصل الرابع : غزو البرتغاليين لسقطرى وسواحل جنوب الجزيرة العربية ـــــــــــ ٦٧

مهاجمة عدن ٦٩ ، مهاجمة سقطرى سنة (١٥٠٧م)٧٠ ، المقاومة البطولية ضد البرتغاليين ٧٢ ، البرتغاليون يحولون مسجد السوق إلى كنيسة ٧٥ ، هجوم البرتغاليين على الشحر ٨٥ ، المعركة الثانية مع البرتغاليين في الشحر وهزيمتهم ٨٧ ، استنجاد سلطان المهرة بالبرتغاليين ٩١ ، مهاجمة البرتغاليين لعدن وعلاقتهم بها ٩٣ .

الفصل الخامس : بريطانيا وسقطرى ـــــــــــ ٩٧

حكم المهرة لسقطرى ٩٧ ، السلفيون يحتلون سقطرى وحضرموت والمهرة ٩٨ ، أول بريطاني يصل إلى سقطرى عام (١٦٠٩) ٩٩ ، زيارة السير توماس رو لسقطرى عام (١٦١٥) ١٠١ ، زيارة القبطان هنس والليفتنانت ويلستد لسقطرى ١٠١ ، سلطان سقطرى يرفض بإباء وشمم تأجير سقطرى ١٠٣ ، فشل حملة بريطانيا على سقطرى ١٠٣ ، سلطان سقطرى يرفض مرة أخرى تأجيرها لبريطانيا ١٠٥ ، السلطان الجديد يوقع اتفاقية مع بريطانيا ١٠٥ ، بريطانيا تحتل سقطرى رغم اتفاقية الصداقة ١٠٦ ، لغة أهل سقطرى حميرية قديمة مختلطة بالعربية ١٠٦ .

مجموعة من الصور لسقطرى (١ ـ ٤٨)
ومدنها وجبالها ونباتاتها وحيواناتها البرية والبحرية ـــــــ ١٠٩
الفصل السادس : جغرافية سقطرى ووضعها الحالي ـــــــ ١٢٩
موقع سقطرى ١٢٩ ، خريطة سقطرى ١٣٠ ، أهم مدن سقطرى : حديبو (مدينة التمر) ١٣١ ، مدينة قلنسية ١٣٢ ، بندر دليشة ١٣٣ ، عدد سكان سقطرى ١٣٣ ، قرية قطوب (كادوب) ١٣٤ ، قرية غوبّه ١٣٤ ، التضاريس والطقس والمياه ١٣٥ ، النشاط السكاني والاقتصادي ١٤٠ ، الوضع الصحي في سقطرى ١٤٤ ، الحالة التعليمية والثقافية ١٤٦ ، المواصلات والاتصالات ١٤٩ .
الفصل السابع : ثروات سقطرى النباتية ـــــــ ١٥٣
شجرة العندم (الأيدع ، دم الأخوين) ١٥٧ ، شجرة الصبر (ألوفيرا) ١٥٩ ، شجرة اللبان (الكندر) ١٦٢ ، شجرة العدنة والخيار السقطري ١٦٥ ، خمس مواد للسرطان من نبات العدنة ١٦٦ ، شجرة المر ١٦٧ .
الفصل الثامن : الثروة السمكية والحيوانية في سقطرى ـــــــ ١٧١
أسماك القرش (اللخم) ١٧٢ ، أسماك التونة ١٧٤ ، العنبر (الحوت) ١٧٥ ، قصة الحوت مع سيدنا يونس عليه السلام ١٧٥ ، قصة العنبر مع أبي عبيدة رضي الله عنه ١٧٦ ، العنبر الطيب : ماهيته ١٧٩ ، فوائده ١٨٠ ، قط الزباد ١٨٢ ، فوائد الزباد الطبيّة ١٨٢ .
المراجع ـــــــ ١٨٥

Dr. M. Albar
(M.R.C.P.,D.M.,M.B.B.Ch)

SOCOTRA
The Magic Island

AL-'ASR AL-HADITH
TEL: 814697 • P.O.Box: 14/5645
BEIRUT - LEBANON